المؤامرات

حقائق أم نظريات

؟

الدّكْتُورُ/ فَارُوْقُ عُمَرُ الْعُمَرُ

المؤامرات
حقائق أم نظريات ؟

الدّكْتُورُ / فَارُوقُ عُمَرُ الْعُمَرُ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى ٢٠٠٧م

قائمة المحتويات

المقدمة

يتعرض المرء أثناء حياته لأحداث مؤسفة دون أن يجد لها تفسيراً ، وتُمنى بعض الشركات ، بخسائر لم تكن في حسبانها ولأسباب لا علاقة لها بحسن أدائها أو جودة منتجاتها وتواجه بعض الجماعات مشكلات متعددة تؤرقها وقد تؤدي إلى إلحاق الأذى بها وبأفرادها، كما تواجه كثير من الدول تحديات صعبة وتهديدات مستمرة قد تقوض وجودها أو نظام الحكم فيها.

وحينما تحيق الكوارث والأزمات بالأفراد أو الجماعات أو المؤسسات المالية أو الدول فإنها قد لا تتمكن من معرفة أسباب ذلك إلا بعد فوات الأوان، أو أن أسباب حدوثها تظل غامضة ومبهمة، أو أنها تحتاج إلى أدلة قاطعة غالباً ما يتعذر على المحللين الحصول عليها.

وإذا كان بوسعنا أن نعزو بعض تلك الأسباب إلى سوء الحظ أو الصدفة أو الخطأ فإن كثيراً منها ناتج عن أيد خفية دفعت بالأمور إلى ما آلت إليه من سوء.

وحين البحث في كتبنا وصحفنا ومجلاتنا عن مفهوم المؤامرة وماهيتها وأسبابها إلى غير ذلك من الأمور التي توضح هذه الظاهرة الخطيرة ، فإننا نجد أن كتابنا ومثقفينا يركزون في تناولهم لهذه الظاهرة على جانب محدود منها وهو الجانب الذي يفسر ما نحن فيه من مصائب وتخلف وانتكاسات سياسية وعسكرية دون النظر إلى بعدها التاريخي والدولي ، ولهم في ذلك رأيين متعارضين ، رأي يقول بوجود مؤامرة تستهدفنا ورأي آخر يقول بعكس ذلك ، ولكل استدلالاته وقرائنه.

المعارضون لنظرية المؤامرة:

يتهم الفريق الرافض لنظرية المؤامرة المتمسكين والمصرين على نظرية المؤامرة بأنهم لا يملكون أدلة قاطعة وبراهين واقعية لتفسير ظواهر معينة من حولهم لذلك كان لجوؤهم لتحليل مالا يمكن تفسيره بأنه مؤامرة ، وهم يعانون من أعراض "البارانويا" وهي الشعور بالاختناق والمحاصرة والتوهم ، وتفسير الأمور السيئة على أنها مؤامرة ، وماهذا التفسير إلاعبارة عن ردة فعل الضعفاء العاجزين عن ربط ما يدور من حولهم ربطا منطقيا، وخاصة مع وجود جهة أجنبية يشعرون بأنها تتربص بهم الدوائر، وطبقاً لبعض الآراء فإن نظرية المؤامرة تكون أكثر انتشارًا في المجتمعات التي خضعت لاحتلال استعماري وخشيتها من عودة الاستعمار بصورة أخرى ، حيث تظل تلك المجتمعات تعاني من آثار هذه التجربة وويلاتها التي تلاحقها حتى بعد زوال الاستعمار.

والمشكلة في نظرهم أنه لا توجد أدلة على نظريات التآمر وكلها تذكرنا بمقولة "لينين" القديمة عن المؤامرة الرأسمالية للسيطرة على العالم اقتصادياً ، وأن الهدف من انتشار الحضارة والثقافة الغربية من مطعم وملبس ومأكل وطرق تعليم ومعاهد ومدارس هو سيطرة الفكر الغربي على الشرق و يخفي وراءه مؤامرة للتحكم بعقولنا وأحاسيسنا لتتربى الأجيال القادمة وهي مشبعة بالثقافة الرأسمالية فكرًا وسلوكًا وسياسةً، وهو الأمر الذي يدل على أن نظرية المؤامرة ستبقى لأجيال قادمة راسخة في المجتمعات الفقيرة والغنية على حد سواء وفي العالم الأول والثاني والثالث وستبقى مسيطرة على أذهان الناس طالما بقيت هناك عوامل جهل وتجهيل وإخفاء للحقيقة.

وكما ذكرنا سابقاً فإن المعارضين لنظرية المؤامرة يدللون بشواهد على شيوعها وانتشارها بل وقبولها حتى أصبحت ركناً أساسياً في حياة من يؤمنون بها ، وأنها تستحوذ على مساحة كبيرة من عقولهم وبشكل مخيف رغم انتشار التعليم وتبدل الحياة وتقدم وسائل الاتصال والإعلام ، وهم يقولون بأن المقصود بنظرية المؤامرة عند من يعتقدون بها ليس التعريف العلمي لها والقائم على فرضيات تدعمها الأدلة والقياسات وإنما المقصود منها في هذا السياق هو الوهم الأخاذ عندهم بأن ما يحيط بهم من أحداث وما يلحق بهم من أذى لايحدث اعتباطا ، ولكنه من صنع أطراف خفية غرضها إفساد حياتهم والتمكن منهم أو السيطرة على مقدراتهم.

وتكمن خطورة الاعتداد بنظرية المؤامرة من وجهة نظر هذا الفريق في تفسير الأحداث والظواهر الحياتية في أن يلغي الإنسان عقله ويستغني عن التفكير والتأهيل ويسقط مسئوليته في الاطلاع والمتابعة والتدقيق ، كما أن نظرية المؤامرة تفسد علاقة هذا الإنسان مع غيره من البشر وفهمه للثقافات والشعوب الأخرى ، فالإنسان الذي يأخذ بنظرية المؤامرة هو في واقع الأمر إنسان يحرم نفسه وعقله من حرية التفكير والتمعن والتحليل وقراءة الأحداث ويسلم أسمى ما يملك وهو عقله وإرادته لآخرين مجهولي الهوية والقدرات والدوافع ، وهناك مفارقة في سلوك المؤمن بفكرة المؤامرة ، إذ أنه لا يقبل أن يأكل لقمة جاهزة ومغلفة يمدها إليه مجهول على قارعة الطريق ودون سابق ترتيب دون أن يتفحصها ويتأكد من صلاحيتها ، ولكنه يتلقف نظرية المؤامرة بلا تردد أو استبصار، والغريب والمخيف في هذا النوع من الاعتقاد بنظرية المؤامرة أن أحداً لا يعتذر حينما يتبين خطأه أو عندما تنجلي الحقيقة ولا يبذل أي جهد لتحري الحقائق والمعلومات والمصادر فيتراكم الشعورعنده بوجود مؤامرة تستهدفه وتترسخ تلك الفكرة لديه ، مما يمنحها صفة الديمومة ويضفي عليها صفة الحدث الطبيعي ، وفضلاً عن مخالفة الأصول المهنية والمسؤولية الأدبية

والقانونية عند القائلين بنظرية المؤامرة ، فإن غياب المراجعة في حالات الخطأ هو تكريس له وتشجيع للإقدام عليه المرة تلوالأخرى ما دامت المسؤولية غائبة ، وهو الأمر الذي يفسر جزئياً شيوع وتكرار نظرية المؤامرة بلا رادع لمن يختلقها ولا مسئولية على من يروج لها فيسري مرض المؤامرة كالوباء دون تطعيم أو كالمرض دون علاج.

وهم يقولون كذلك بأن نظرية المؤامرة عربياً تأخذ أبعاداً متشعبة بدءاً من زرع الكيان الصهيوني في المنطقة ودعمه من قبل أمريكا والغرب وصولاً إلى اختيار بعض القادة في المنطقة ليكونوا حراسًا ووكلاء للغرب في تنفيذ مخططاته واستنزاف ثروات بلدانهم إلى زرع الفتنة بين العرب مروراً بحصارهم وإضعافهم لسهولة التحكم بهم وبمصائرهم لذلك أصبح كل شيء لدى العرب مؤامرة ، وحتى عدم وحدة العرب وتفككهم يعتبرونها مؤامرة غربية ، وقد تم استخدام مصطلح المؤامرة من وجهة نظر المعارضين لنظريتها لتبرير الهفوات وأوجه القصور التي يرتكبها المولعون بتفسير كل حدث سيء على أنه مؤامرة ، ثم فصلوا في نقدهم للعقل العربي المؤمن بالمؤامرة بقولهم إن نظرية المؤامرة استحوذت على عقل وفكر الإنسان العربي لدرجة مخيفه حتى صارت عبارة "مؤامرة" من المفردات الدارجة في اللغة اليومية ، ومن الشائع أن يفسر الإنسان العربي الأمور السيئة تفسيرا يتلاءم مع نظرية المؤامرة كلما واجهته مسألة أو قضية خارج إطار فهمه أو سيطرته أو تتصل بأطراف خارج محيطه.

ويستدلون على ذلك بأنه رغم مرور عدة أعوام على أحداث سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن هناك فئة لازالت تصر على القول بأن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية هي المسئولة عن هذه الأحداث ، وهذا نموذج لنظرية تجد قبولاً واسعاً واستثنائياً في البيئة العربية حتى في بعض الأوساط التي يعتقد البعض أنها محصنة من هذا الفكر مثل المفكرين والكتاب وكبار

المسئولين وامتدت ليتبناها بعض أفراد الجالية العربية المقيمة في الغرب ، بالرغم من ظهور كم كبير من الدلائل والبراهين القطعية والاعترافات الشخصية والصور للمنفذين لأحداث سبتمبر، إلا أن كل ذلك لم يقوض هذه النظرية أو يثني مؤيديها عن الاستمرار في اعتقادهم ، وانسحب هذا الاعتقاد ليشمل أحداثاً كثيرة عاشها العالم العربي ، والتي كانت تفسر على أنها مؤامرات ضد العرب والمسلمين .

وهناك أمثلة عديدة على ذلك منها اغتيال المغفور له الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية (رحمه الله) ورغم أن منفذ العملية هو ابن أخ الملك فيصل ، إلا أن العديد من نظريات المؤامرة حامت حول المخابرات الأمريكية والبريطانية والروسية متهمة إياها بأنها وراء الاغتيال.

وتأخذ نظرية المؤامرة بعدًا أكثر شمولاً في تبرير وشروع الغزو والاحتلال العراقي للكويت بأنها مؤامرة أمريكية أو في أحسن الأحوال مصيدة أمريكية نصبتها " أبريل غلا سبى" التي أشيع عنها أنها توارت عن الأنظار ولم تقل شيئا أو تذيع أياً من أسرار لقائها مع رئيس النظام العراقي السابق صدام حسين، وما زاد في تأكيد المؤامرة الأمريكية هو بقاء صدام حسين في السلطة حتى بعد اندحاره من الكويت بفترة طويلة ، وقد ظل الترويج لتلك المؤامرة حتى بعد سقوط صدام .

ومن هنا نلمس جانباً مهماً يحاول بعض المعترضين على تبنى نظرية المؤامرة لفت الأنظار إليه، وهذا الجانب هو أن التركيز على جهة التآمر يتمثل فى الغرب والولايات المتحدة على وجه التحديد فى الوقت الذى يغفل فيه أصحاب تلك النظرية عن دور دول أخرى متآمرة ذات سم ناقع قد تكون أشد ضرراً من الغرب أو أمريكا ولكن هذه الجهات إستطاعت الإستفادة من الظلم الصهيوني للفلسطينيين فأخذت توجه أنظار العرب إلى إسرائيل والغرب

وأمريكا وكأن هذه الدول هى مصدر الشرور والمؤامرات الوحيد حتى لا ينتبهوا إلى المؤامرات التى تحيكها ضدهم .

المؤيدون لنظرية المؤامرة :

يرى الفريق الثاني أن العرب ضحية مؤامرة أو مؤامرات عديدة حاكتها أياد خارجية وخاصة الغربية أو الأمريكية بمساعدة من الدوائر الإسرائيلية لاستعمارنا ونهب ثرواتنا ولسلبنا حقوقنا وأراضينا وتباين مواقفنا، بل واقتتالنا فيما بيننا. ويقول المؤيدون لنظرية المؤامرة بأن المعارضين لنظرية المؤامرة لم يقدموا تفسيراً علمياً واحداً لأحداث نعيشها يوميًا ، وهل هي من قبيل الصدفة مثلاً أم أن هناك مخططات مسبقة يتم تنفيذها في الموعد المحدد لها ؟ وأن المعارضين لنظرية المؤامرة لم يخرجوا عن التنظير الذي يصطدم مع الواقع الماثل أمامنا على الصعيد العربي والعالمي ، وإذا وقفنا قليلاً أمام مثال اغتيال الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية (رحمه الله) فقد كان معروفاً بمواقفه العربية والإسلامية المنقطعة النظير، ولم يكن الاغتيال إلا رداً على مواقفه التي كان يجاهر بها خاصة فيما يتعلق بفلسطين وبيت المقدس تحديداً، وهذه المؤامرات وإن كان يتم تنفيذها حالياً لكنها تعود إلى حقب بعيدة جرى فيها الكثير من التخطيط والإعداد ، وقد تمثلت البداية في زرع الكيان الصهيوني في فلسطين والدعم اللامحدود من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وحتى الكثير من دول أوروبا ومنها فرنسا التي تعتبر صديقة للعرب شاركت في تدعيم ذلك الكيان وتقويته عسكرياً ، فالمفاعل النووي الإسرائيلي صممته فرنسا ومولته وأشرفت على تركيبه ، كما أن الاتحاد السوفييتي كان ضالعا بالأمر بصورة أو بأخرى ، أما زرع الفتنة بين الدول العربية وبذر الخلافات فيما بين قادتها فقد حققت المؤامرات نجاحاً كبيراً في هذا المجال.

ولاحظ أولئك المؤيدون لنظرية المؤامرة أنها ليست حكراً على منطقة إقليمية في العالم دون أخرى وليست محصورة في منطقة وشعوب بعينها ، وليست موجودة عند العرب دون غيرهم أو عند الغرب وليس عند غيرهم حتى ننفي وجودها بمكان ثم نغض الطرف عن وجودها في مكان آخر ، فالإيرانيون ، على سبيل المثال : ينظرون إلى أمريكا كزعيمة للمؤامرة عليهم منذ أيام الشاه ويصفون الولايات المتحدة الأمريكية بأنها مهندسة المؤامرات في العالم وأنها وراء كل عمل تخريبي وتجسسي ، وأنها تخرج من مؤامرة لتحيك أخرى وهم يرجعون ذلك إلى كراهيتها للثورة الإيرانية وحقدها على النجاحات التي حققتها وما قامت به من إزاحة لحليفها وعميلها شاه إيران السابق وأنه لن يكون هناك استقرار في المنطقة مادامت القوات الأمريكية ترابط على ضفاف الخليج العربي، بينما ترى أمريكا أن إيران هي التي تحيك المؤامرات وأنها تتآمر بصورة مباشرة وغير مباشرة عليها لأنها تعلم أنها العقبة التي تحول دون استيلاء إيران على جاراتها العربيات ، ولولا وجودها في المنطقة لما ترددت إيران في الإقدام على ذلك ولو للحظة واحدة كما هو حاصل في جزر الإمارات التي استولت عليها إيران ومحاولاتها التمدد على حساب دول الجوار.

وإذا خرجنا من الدائرة العربية نجد المؤامرة متمثلة في كثير من المناطق الدولية خاصة بؤر التوتر ، فالصينيون كذلك كانوا ينظرون إلى "هونغ كونغ" كمؤامرة بريطانية لزرع الرأسمالية في الجسد الشيوعي والقارة الصينية الكبيرة ونفس الشيء بالنسبة للدعم الأمريكي "لتايوان" لبقائها منفصلة عن الصين، والهند كذلك تنظر إلى الصين بنفس تلك النظرة وتتهمها باستمرارها في حياكة المؤامرات ضدها ومحاربة أي تقدم فيها وتشاركها في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية لحرصهما سوياً على بقاء الهند دولة متخلفة و كسوق مفتوحة لمنتجات الدولتين معاً ، إلا أن الهند ترى أنها استطاعت الخروج عن ذلك الطوق إلى مصاف الدول المتقدمة، فكانت تفجيراتها النووية ودخولها النادي النووي

الدولي رغماً عن كل تلك المؤامرات التي حيكت ضدها ، وقد دفع ذلك باكستان إلى أن تأخذ نفس النظرة التآمرية عن الهند بأنها تخطط للقضاء عليها منطلقة من تفسيرات التاريخ والعودة إلى مآسي الماضي بينهما والحرب التي فككت باكستان وقسمتها إلى شطرين (باكستان الحالية - بنجلاديش) والنزاع الذي لايزال دائراً حول كشمير، والدول الأفريقية تعيش نفس الهاجس لتآمر الغرب على سرقة ثرواتها الطبيعية واستنزافها وإثارة الفتن الداخلية والإقليمية ، وتركيا ترى أن هناك مؤامرة عليها من الغرب لرفض طلبها للانضمام إلى الاتحاد الأوربي.

وإذا عرجنا إلى الدول الغربية نفسها نجد أن المؤامرة هناك تأخذ بعداً اجتماعياً وسياسياً، فأمريكا مثلاً لازالت تتصارع مع نفسها مع فكرة المؤامرة ولم تجد تفسيراً للكيفية التي تم بها اغتيال الرئيس "كينيدي" ومن الذي دبر اغتياله في الخفاء، ونفس الأمر ينسحب على اغتيال الممثلة "مارلين مونرو" التي تم ربط موتها بالرئيس كينيدي ، ولم يحسم الأمر حتى الآن ، وهل اغتيلت أم انتحرت ؟ ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لاغتيال داعية حقوق الإنسان الأمريكي "مارتن لوثر كينج" وقد توفي المتهم باغتياله في السجن دون أن يعرف هل هو القاتل حقاً ؟.وحتى الرئيس الأمريكي "كلينتون" لم يسلم هو الآخر من التآمر عليه وهذا ما ذهبت إليه زوجته "هيلاري" مطلع عام ٢٠٠٠ بعد أن ظهرت فضيحة "لوينسكي" فرأت أن هناك مؤامرة يمينية ضد زوجها. ونفس الشيء ينسحب على أحداث "١١ سبتمبر" فهناك اتهام من الأمريكيين ضد حكومتهم بإخفاء الحقائق والأسرار عن ذلك الحدث ولم يقتنعوا حتى الآن بما قدمته من تفسيرات وشنت بسببها حروبا ضد القاعدة ، والبريطانيون لم يستطيعوا حل لغز موت الأميرة ديانا والمصري عماد الفايد واتهموا القصر بتدبير هذه المؤامرة بسبب الإشكالات التي أحدثتها وهزت سمعة القصر الملكي والملكة وولي العهد "تشارلز" زوجها.

وأخيراً وليس آخراً هناك مؤيدون لهذه النظرية يتهمون العولمة بأنها مؤامرة كبرى من دول كبرى في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الدول الفقيرة "العالم الثالث" لفرض نظام غير متكافئ يجعل منها سوقاً لتصريف منتجاتها فقط ويقضي على الصناعات الصغيرة الناشئة، وهذا مايفسر المظاهرات التي تحدث في الكثير من دول العالم المتضررة خاصة مع انعقاد اجتماعات المنتديات الاقتصادية العالمية التي تكون أمريكا هي الراعي الرئيسي لها ، وحتى المنظمة الفرانكفونية اتهمت أمريكا بالتآمر ضدها لتحجيم دورها وتقليص فاعليتها التي بدأت تزداد في الدول الناطقة بالفرنسية وخوفها مما قد تشكله هذه المنظمة من تكتل يمثل خطراً على المصالح الأمريكية في تلك الدول.

مما سبق سرده نرى أن لكلٍ من الرأيين وجاهته وحججه ، ولا يجب على المرء أن يكون حكماً يؤيد رأياً أو يعارض آخر دون تمحيص ، وإنما يجب عليه البحث في المؤامرة كظاهرة لا تتعلق بنا وحدنا بل بنا وبغيرنا كمنهج و كأداة خطيرة يجب دراستها والتمعن في جوانبها المتعددة وآثارها المدمرة ، وعليه الرجوع إلى كتب التاريخ وقصصها كي يستعين بها على توضيح هذه الظاهرة ويحاول تصنيف بعض أنماطها عبر أحداث التاريخ ، ويسعه في هذا المجال أن يلاحظ أن الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا أول وأكثر من تعرضوا للمؤامرات لأن دعواتهم كانت واضحة وضوح الشمس بينما كانت المؤامرات تحاك ضدهم في دامس الظلام ، ولذلك فإننا سنورد صوراً من المؤامرات التي حيكت ضدهم في معرض حديثنا عن المؤامرات كما هو وارد في الفصل التالي.

الفصل الأول

أولاً : ■ المـؤامـرات على الأنـبـيـاء والرســـــل

ثانياً : ■ مؤامرات الأفراد والجماعات والمؤسسات

■ المؤامرات واستغلال الطقوس والمعتقدات

■ مؤامرات الحزب الشيوعى على الملاك

■ المؤامرات على الشركات

■ المؤامرة الإلكترونية

■ المؤامرة المركبة

ثالثاً : ■ المؤامرة الاستعمارية

■ التنافس الاستعمارى والمؤامرات

■ المؤامرة السياسية

■ المؤامرة الاقتصادية

www.books4all.net

المؤامـــرات

أولاً : المؤامرات على الأنبياء والرسل[1]

إن الفتن والمؤامـرات مـوجـودة منذ أن خلق الله سـيـدنـا آدم إلى أن يرث الله الأرض ومـا عليـهـا، وعلى سطور هذه الصـفـحـات سنتعرض لبعض المؤامرات على الأنبـيـاء والرسل صلوات الله وتسليمـاته عليـهم أجمـعين. كمـا وردت في كتـاب " أطلس تاريخ الأنبياء والرسل " لمؤلفه الأستاذ سامي بن عبدالله المغلوث وفي كتب غيره من المؤرخين .

منتدى سور الأزبكية www.books4all.net

١- آدم (عليه السلام) :

لقد انصرفت مشيئة الله تعالى إلى خلق سيدنا آدم عليـه السـلام، قـال الله تبارك وتعالى للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة : ٣٠ .

وقد دخل سيدنا آدم وأمنا حواء الجنة وهناك عاشا حلم الجنس البشــري، وكان الله سبحانه وتعالى قد سمح لهما بأن يقتربا من كل شيء وأن يستمتعا بكل شيء ما عدا شجرةً واحدة، إلا أن إبليس امتلأ صدره حقداً على سيدنا آدم عليـه السـلام لأنه كان السبب في غضب الله عليه، واســتغل إبليس ذلك وفكر في المؤامرة على آدم وزوجته مستغلاً إنسانية آدم، ثم جمع كل حقده في صدره واستغل تكوين آدم النفسي وراح يثير في نفسه ويوسوس إليه يوماً بعد

يوم "مـاذا يحــدث لو أكلت من هذه الشـجـرة"؟ ربما تكون هذه الشــجـرة هي شــجــرة الخلد التي يتـمناها آدم، وهكذا أخطأ الشــيطان وأخطأ آدم، أخطأ الشيطان بسبب كبريائه وأخطأ آدم بسبب فضوله، وليعلم آدم وحـواء ويعلما جنسـهما من بعدهما أن الشيطان طردهما من الجنة وأن الطريق إلى الجنة لا يمر إلا بطاعة الله وعداء الشيطان، وهكذا تآمر إبليس على سيد الخلق وعلى ذريته من بعده حيث امتد التآمر إلى ابني آدم عليه السلام لنجد لذلك وصفًا في القرآن الكريم ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ** ﴾ . المائدة: ٢٧ .

لقـد قدر الله تعـالى لآدم أن يشـهـد أول انحـيـاز من أحـد أبنائه لروح الشـر إبليس فأطاعه واستسلم لمؤامرته ومن ثم وقعت أول جريمة قتل على الأرض،كان قابيل أول مولود يقبل على الدنيا من أولاد آدم عليه السلام وكان هابيل المولود الثاني وكان ذلك المولود هابيل أول شهيد على ظهر هذا الكوكب، قتل على يد أخيه قابيل .

وهناك وفي هذه اللحظة بدأت عوامل الشـر وشـهدت الأرض أول دم بشـري يراق وبدأت أيضـاً أول خـيـوط المؤامـرة تحـاك منذ تلك اللحظة، وبعـيـداً عن الخـوض في أسـبـاب الخــلاف حـيث أن بعض المفسـرين نقلوا عن بعض الإسرائيليات كلاماً كثيرا عن هذه الأسباب فمنهم من قال إن سبب الخلاف هو أن قابيل نقم على أخيه هابيل عندما تزوج المرأة الجميلة وترك له الدميمة أي "القبيحة"، وهذه قصـة لم ترد في القرآن الكريم مـصداقا لقوله تعالى ﴿ **إنما يتـقـبل الله من المتـقين** ﴾ وهو بيـان لسـبب رفض قـربان قـابيل لأن إيمانه كـان منتقصاً، وكذلك الادعاء بأن اسمي "قابيل وهـابيل" عبرانيان فقـابيل تعني في العبرية الحداد، وهابيل تعني النسمة . فهل كان في زمنهما عبرانيون ولغة عبرانية ليكون الاسمان عبرانيين ؟ قال قـابيل لأخيه لنخرج إلى الصحراء

"ليخلوا به" فلما كانا في الصحراء وثب على هابيل فقتله، ولما سأل الرب قابيل عن أخيه هابيل حاول الكذب وسد في وجهه باب النكران إذ قال الرب إن صوت دم أخيك صارخ الي من الأرض ولعنت الأرض قابيل وفتحت فاها مستقبلة دم أخيه وأقر بجريمته وببشاعتها وبث ربه خوفه من أن ينتقم منه، لذلك فر إلى بلاد "نود" وفيها بنى قرية وولد له ولد دعاه "أخوخ" وسمي قابيل المكان الذي أقام فيه باسم ابنه.(٢)

وتنتهي القصة في الإسرائيليات عند هذا الحد دون ذكر للغراب ولا لسبب تقبل الله سبحانه وتعالى قربان هابيل وليس فيها أن الله عليم بما يجري من حوادث ولا بما جرى لهابيل، ولم تطلعنا القصة إلا على جانب الحسد عند قابيل ودافع الشر عنده ولم تظهرنا على مواعظ ودروس القصة .

وقد حكى القرآن الكريم قصتهما ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق** ﴾..الخ الآيات وتسمية هذه القصة بالنبأ لأن الله سبحانه وتعالى ينأى بهذه القصة أن تكون مجرد قصة من قصص الخيال ولكنها من القصص الواقعية وليست خيالاً، وسبب الخلاف كما ورد هو قبول الله سبحانه وتعالى القربان الذي قدمه هابيل ولم يتقبله من قابيل، ووفقاً للروايات أن هابيل كان راعي غنم فقدم شيئاً من أبكار أغنامه وأسمنها وقدم قابيل شيئاً من ثمر الأرض التي زرعها شكراً لله حيث كان عامل زراعة، وقد اهتمت الآيات القرآنية التي أوردت ذلك بالحوار بين القاتل والمقتول وتبيان حسد قابيل وقصور تفكيره ورعونته وكلها صفات ولدت الشر فيه على النقيض من أخيه هابيل الذي آثر ألا يكون جباراً في الأرض وألا يبدأ أخاه بالعدوان ورفض أن يلجأ إلى العنف رغم قدرته على الذود عن نفسه، إلا إنه كان يدرك أن نهايته ومصيره محتوم لا فرار منه وأن الله سبحانه وتعالى قدر ذلك فاستسلم لإرادة الله وقدره، ولكن ما يهمنا في ذلك هو التفكير في الكيفية والمنهج الذي أراد به قابيل التخلص من أخيه هابيل

وكيف خطط له واستدرجه والسبل التي سلكها لتنفيذ خطته وهذه الطريقة وهذا المنهج هو التآمر بعينه ، فالحديث ليس عن القدر ونفاذه لكن التفكير والاستدراج والتخطيط وتحديد الزمان والمكان واختيار الآلة والوسيلة التي نفذ بها عملية القتل تدل على ما يمكن أن نسميه اليوم المنهج التآمري، وإن كان هذا المنهج لم يكن معروفاً لديه وإنما تصرف وفقاً للجانب الشرير الكامن في الطبيعة البشرية.

لقد قتل أحد أبناء آدم شقيقه، لقد قتل الشرير أخاه الطيب، ثم بعد برهة من الوقت اندلع حزنه على أخيه كالنار فأحرقه الندم، اكتشف فجأة أنه الأسوأ والأضعف وقتل الأقوى والأفضل، نقص أبناء آدم واحداً وكسب الشيطان واحدًا آخر من أبناء آدم، قال الله تعالى ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**﴾ القصص:١٥ .

٢ - نوح (عليه السلام) :[٣]

لقد اختار الله تعالى عبده نوحاً وأرسله إلى قومه فكان نوح بمقياس العظمة أعظم إنسان في عصره .

لقد تحرك قوم نوح في اتجاهين بعد دعوته، الاتجاه الأول هو اتجاه الذين آمنوا به وبرسالته وبأن الله هو الذي يستحق العبادة، أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه الكفار الذين حاولوا مساومة نوح من أجل قبولهم الإيمان بدعوته فاشترطوا أن يطرد الذين آمنوا به من الفقراء والمساكين، إلا إنه رفض ذلك لأنهم ليسوا ضيوفه ولكنهم ضيوف الرحمن، فالرحمة بيت الله يعز فيها من يشاء ويطرد منها من يشاء، واستمر الصراع وتشعبت المناقشات والحوار الذي لا فائدة من ورائه، وفكروا كثيراً فيما سيفعلونه به وبدأوا التخطيط في التآمر

عليه، لأنهم كانوا سيستفيدون من بقاء الأوضاع على ما هي عليه، وجاءت ساعة التنفيذ فاتهموه بأنه بشر مثلهم، وهكذا اندلعت الفتنة بين نوح ورؤساء قومه.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩)﴾ هود: ٢٨ – ٢٩ .

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ هود:(٣٦) وقد وصف الله تعالى مكرالكافرين بقوله ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾. نوح : ٢٢

٣ - هود (عليه السلام) :(٤)

كان هود من قبيلة عاد التي تسكن مكاناً يسمى الأحقاف وهي صحراء تمتلئ بالرمال، أما مساكنهم فقد كانت لها أعمدة شديدة الارتفاع والفخامة، وكانوا عمالقة وأقوياء، ولم يكن في زمانهم أحد في قوتهم، ولكن كانت عقولهم مظلمة تعبد الأصنام ويحاربون دفاعاً عنها.

وقد كذب قوم هود نبيهم لأنهم قالوا لماذا اختار الله بشراً من بيننا ليوحي إليه؟ واستمر الصراع بين هود وقومه وازداد قوم هود استكباراً وعناداً وطغياناً وتكذيباً واتهموا نبيهم بالجنون وأعلن هود براءته منهم ومن آلهتهم. ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ﴾ المؤمنون:٣٣ والملأ هم الذين لهم المصلحة في استمرار الأوضاع الفاسدة، وسوف نلاحظ أن هؤلاء الملأ يتآمرون في كل قصص الأنبياء من مواقع السلطة والثراء والغنى والترف الذي يولد التعالي على خلق الله والحرص على استمرار المصالح الخاصة إلا من كان قلبه متقبلا للإيمان،

ولكن غضب الله كان عظيماً فأرسل عليهم الرياح مسلطة سبع ليال وثمانية أيام لم تر الدنيا مثلها قط. ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ الحاقة : ٧ وقد نجا هود ومن معه وهلك الجبابرة.

٤ - صالح (عليه السلام) :[٥]

لقد جاء بعد قوم عاد قوم ثمود وتكررت قصة العذاب بشكل مختلف مع ثمود التي كانت تعبد الأصنام، وقال صالح لقومه ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ . هود:٦١ نفس الجملة يقولها كل رسول ونبي، لا تتبدل ولا تتغير، فهذه هي دعوة التوحيد، وقد طالبه قومه بمعجزة تثبت أنه رسول الله إليهم فقال لهم: ﴿ يَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ هود:٦٤ .

وأصدر الله أمره لصالح أن يأمر قومه بأن لا يمسوها أو يؤذوها وأن يتركوها في أرض الله لأن عقابهم إن هم عصوا الله سوف يكون العذاب الأليم، وعاشت الناقة بين قوم صالح فآمن منهم من آمن، وبقي أغلبهم على الكفر والعناد وتحولت الكراهية ضد سيدنا صالح إلى الناقة المباركة وبدأت المؤامرة تنسج خيوطها ضد الناقة، وقد جاء التدبير والتخطيط من رؤساء قومه وهم مرة أخرى الملأ الذين استكبروا من قومه ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾- الأعراف:٧٦ .

وقال أحد الكافرين في اجتماع لرؤساء القوم ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ القمر: ٢٤ .

وبدأوا يخططون ويدبرون المؤامرة الكبرى لإزاحة صالح عن طريقهم، فتلك هي أساليب المتآمرين، وهذا هو سلاحهم منذ خلق الله آدم، لا يعمدون إلى العقل أو الفكر إنما تمتد أيديهم إلى السلاح وتقتل من يعارضهم ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾. النمل :٤٨ إنهم أداة الجريمة فهم مجرمو المدينة المشهورون، وهكذا انتهت مرحلة التخطيط وتحديد مكان التنفيذ، فبدأ الغروب يلوح في الأفق ثم ازداد الظلام الساقط على الجبال وقد أعد المجرمون الأسلحة والسيوف والسهام وذهبوا إلى مكان الناقة وامتدت أيديهم الآثمة القاتلة إلى الناقة وسالت دماؤها ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾ القمر:٢٧ . وبهلاك الناقة هلك الجميع لأن الله تعالى أرسل عليهم صيحةً واحدةً فكانوا كهشيم المحتظر.

www.books4all.net

٥ - إبراهيم (الخليل عليه السلام) :[٦]

هو أحد أولي العزم الكبار (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد) بترتيب بعثهم هو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين، وقد وفى وزاد الوفاء بالإحسان قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ النجم: ٣٧ .

وكان من فضل الله عليه أن جعله إماما وجعل في ذريته النبوة، وبدأت رسالته بتفنيده العقيدة الشمسية لأنها ختام جولته مع عبدة الكواكب والنجوم ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ . الأنعام:٧٨ .

وبعد أن أعلن إبراهيم أن الشمس ربه انتظر حتى جاء المغيب وغربت الشمس وأفلت هي الأخرى مثل كل المعبودات التي تأفل.

وبدأ صراعه مع قومه ولم يسكت عنه عبدة النجوم والكواكب، فبدأوا المؤامرة بالجدال والتخويف والتهديد والتنكيل به ولكن حجة إبراهيم استطاعت أن تظهر الحق ثم التفت سيدنا إبراهيم في نهاية المطاف إلى عبدة الأصنام، ولكن الصراع هنا كان أقوى وأشد لأن أباه كان في دائرة المؤامرة حيث كانت مهنته صناعة التماثيل، فالابن يقف مع الله والأب يقف مع الباطل، فقال الأب لابنه : إذا لم تتوقف عن دعوتك سأقتلك ضرباً بالحجارة وانتهى الأمر عند طرد إبراهيم من البيت، وذهب إبراهيم ليحطم التماثيل إلا واحداً وهو كبيرهم، وقال لقومه لقد علقت الفأس في عنق كبير الآلهة فلم يقل لماذا فعلت ما فعلت، إنه لا ينطق ولا يسمع ولا يرى ولا يضر ولا ينفع، لقد الزمهم الحجة وأسكتهم بالبرهان وناقشهم بمنطق الكفر وحين تهاوت الحجة ونهض الكبرياء وحين أسقط دليلهم ميتاً نهض العناد وأصدر كبير الكهنة أمره بإحراق إبراهيم بالنار ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء : ٦٨

٦ - لوط (عليه السلام) :[٧]

قال تعالى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الشعراء:١٦٠

لقد دعا لوط قومه إلى عبادة الله ونهاهم عن كسب السيئات والفواحش فقد كان قومه يرتكبون الجرائم وكانوا يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ولا يتناهون أبدًا عن منكر فعلوه. وقد كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء.

مرت سنوات على دعوة لوط بغير أن يؤمن له أحد سوى أهل بيته إلا زوجته، ولما رأى منهم ما رأى دعا الله أن ينصره ويهلك المفسدين فأرسل الله إليه الملائكة وقالوا له لا تجزع ولا تخف ولن يصلوا اليك، وكان هؤلاء القوم قد

تنادوا من كل صوب حتى ينفذوا مؤامرتهم ضد ضيوفه، فيسقط الأمر من يد لوط وهو الذي كان يعارض ما كانوا يفعلون.

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ القمر: ٣٨ .

ولقد طمست إشارة جبريل عليه السلام أبصارهم فخرجوا من البيت وهم يظنون أنهم يدخلونه، وقد هلك قوم لوط ومحيت مدنهم وتحولوا إلى بحيرة من الموت .

٧ - يوسف (عليه السلام) :[٨]

تتكرر قصة هابيل وقابيل مع إخوة يوسف عليه السلام فنجد أن المؤامرة هي المؤامرة وإن اختلفت الطريقة التي تم بها التنفيذ حسب الزمان والمكان وتطور وانتقال الحياة البشرية من عصر إلى عصر، لكن المؤامرة لا تخرج عن إطارها العام، وهذا الاطار هو استمرار كيد الشعوب والأقوام الضالين على الأنبياء والرسل عليهم السلام .

لقد تعرض يوسف طوال حياته لمؤامرات كانت تأتيه من أقرب الناس إليه وهم إخوته، ولأن يوسف لم يكن أخاً شقيقاً لهم، فقد كانوا لا يحبونه ولا يحبون التصاقه بأبيهم وملأ الحسد قلوبهم بسبب حب أبيهم له، فجلس الإخوة يكيدون له ويدبرون مؤامرة لقتله ولكن رأي الأغلبية استقر على إلقائه في البئر والتخلص منه .

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ يوسف: ١١ : ١٢ .

وقد أدرك الأب أنهم يكذبون وعبر عن هذا فقال : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ يوسف : ١٨

وما نتصوره نحن أنها مأساة ومحنة وفتنة لأنها تأتي من أقرب الناس، إلا أن الله تعالى قد وعده النبوة ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف : ٢٢

ولا شك أن الله تعالى قد مكن ليوسف في الأرض بعدما اشتراه رجل من الطبقة الحاكمة سماه القرآن "العزيز"، وقد كان يوسف أجمل شاب في عصره ومن صفاء قلبه ونقاء سريرته أضيف على هذا الجمال المزيد من الجمال الملائكي "ما هذا بشراً "! يوسف : ٣١

وقد كانت امرأة العزيز تراقب يوسف من حين لآخر بصفة مستمرة ويزداد إعجابها به لحظة بعد أخرى واكتشفت عشقها له وبدأت تقترب وتلتصق به أكثر فأكثر ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ يوسف: ٢٣

فبدأت تخطط للتآمر عليه وتنفذ ما تشعر به تجاهه وحرصت على أن لا يفر منها هذه المرة، فخرجت من التلميح إلى التصريح ولكنه أبى أن يعصى الله تعالى، فأخذت تنسج مؤامرتها وتنتقل بها من الحوار بالكلام إلى الأيدي، فانطلقت وراءه وهو يهرب ولكن الباب انفتح فجأة وبادرت زوجها الذي وجدته أمامها بإلقاء التهمة على يوسف " ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يوسف : ٢٥

ولما تأكد الزوج من خيانة زوجته، بعدما شهد شاهد من أهلها ﴿ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾ إشارة إلى عدم نجاتها من سلطان الشيطان في هذه اللحظة، فقال تعالى لإبليس يوم الخلق ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾. الحجر : ٤٢

لقد صرف الله عن يوسف كيد النساء وأصبح حبهن له نوعاً من الرغبات المستحيلة وثبتت براءة يوسف أمام الجميع كما صورها القرآن الكريم باعتراف امرأة العزيز بمؤامراتها نتيجة انفعالها ومشاعرها وحبها له ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ يوسف:٥١ وكان نتيجة تلك المؤامرة هى إلقاؤه في السجن.

٨ - شعيب (عليه السلام) :(٩)

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ هود :٨٤ .

وبنفس الدعوة التي يدعوها كل نبي لا تختلف من نبي إلى آخر ولا تتبدل " أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ".

وقد كان أهل مدين ينقصون المكيال والميزان ولا يعطون الناس حقهم، فخلت نفوسهم من نظافة القلب واليد، وكان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم نوعاً من أنواع المهارة في البيع والشراء ودهاء في الأخذ والعطاء، وقد كانوا أيضاً يخيفون المارة ويقطعون السبيل ويعبدون الأيكة (شجرة) من دون الله ، وأخذ شعيب ينصحهم ويوجههم إلى الطريق الصحيح ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ هود : ٨٨

فإن ما يريده شعيب هو الإصلاح لقومه، إصلاح القلوب والعقول، إصلاح الحياة العامة لأن ظلم الناس سيولد عندهم مشاعر الألم واليأس واللامبالاة وتكون النتيجة أن ينهزم الناس من الداخل وتنهار علاقات العمل والثقة بينهم.

وبعد دعوته لهم وتحذيرهم من العناد وتخويفهم من مصارع المكذبين السابقين دعاهم إلى الاستغفار والتوبة، إلا إنهم اختاروا العناد والمكابرة.

﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ الأعراف : ٨٨ .

وبدأ قوم شعيب في التآمر عليه لأنهم ضاقوا ذرعاً به فهددوه بالقتل ثم بالطرد من قريتهم أوالعودة إلى ملتهم وديانة عبادة الأشجار والجمادات، واستمر الصراع ونفض شعيب يده منهم وقد هجروا الله وكذبوا نبيه واتهموه بأنه مسحور وكاذب وطالبوه بأن يسقط الله عليهم كسفاً من السماء ان كان من الصادقين ومن ثم أدركتهم صيحة جبارة فخروا مصعوقين.

٩- سيدنا موسى (عليه السلام) :[١٠]

بدأت تربيته في بيت فرعون، وقد كان لا يراه أحد إلا أحبه وكان يعلم أنه واحد من بني إسرائيل، وكبر موسى وبلغ أشده وقد وجد موسى رجلاً من أتباع فرعون "مصري" وهو يقتتل مع رجل من بني إسرائيل واستغاث به الرجل الضعيف فتدخل موسى وأزاح بيده الرجل الظالم فقتله، فقد كان موسى قوياً إلى الحد الذي يكفي فيه أن يضرب بيده ضربة واحدة ليزيح خصمه، فإذا هو يقتله، وقد قال موسى ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ القصص : ١٥ وأصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب، وقد فوجئ موسى أثناء سيره بنفس الرجل الذي أنقذه بالأمس يناديه ويستصرخه اليوم وأدرك موسى أن هذا الإسرائيلي مشاغب وصرخ موسى في وجهه ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ القصص : ١٨ .

قال موسى كلمته واندفع نحوهما يريد البطش بالمصري، واعتقد الإسرائيلي أن موسى سيبطش به هو، فدفعه الخوف من موسى إلى استرحامه صارخاً ﴿ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ .... ﴾ القصص : ١٩ .

وأدرك المصري الذي كان يتشاجر مع الإسرائيلي أن موسى هو قاتل المصري الذي عثر على جثته أمس، فجاءه من يحذره من مؤامرة تحاك ضده مصداقاً لقوله تعالى ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ القصص: ٢٠ .

ويخفي الله عنا اسم الرجل الذي جاء يحذر موسى وقال له إن الملأ يعدون لك المؤامرة ثم إزداد العنت والظلم على بني إسرائيل فهاجر بهم سيدنا موسى علية السلام من مصر، وعلي الرغم من المعجزة الربانية التي أنقذ الله بها موسى ومن معه حينما انشق البحر فبلع فرعون وجنوده،الا أنه واجه مؤامرات بعضهم الكثيرة وتشكيكهم بدعوته.وأنكروا فضل الله تعالى في أول سانحة لاحت لهم حينما ذهب موسى ليناجي ربه واستخلف مكانه أخاه هارون ريثما يعود، إلا أنهم لم ينتظروا عودة موسى فصنعوا عجلاً من الذهب وأخذوا يعبدونه، فأبقاهم الله تعالي في ارض التيه أربعين عاماً.

١٠- يحيى (عليه السلام) :[١١]

قال تعالى في سورة مريم : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ مريم : ٧ وذلك لأن هذا الاسم لم يكن مألوفاً عند اليهود، ويسميه المسيحيون يوحنا المعمدان لأنه كان يغطس رؤوس التائبين بالماء كرمز على غسل قلوبهم وتطهيرها من الدنس .

لقد كان يحيى معاصراً لسيدنا عيسى عليهما السلام وقريبه من جهة الأم (ابن خالته)، ويقال إن رسول الله ﷺ خرج على الصحابة يوماً فوجدهم يتذكرون فضل الأنبياء، فتدخل المصطفى حين رآهم لا يذكرون يحيى فقال لهم أين الشهيد ابن الشهيد؟ يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب، كان مولده

معجزة فقد جاء لأبيه زكريا بعد أن يئس من الذرية لكبر سنه، وقد جاء بعد دعوة نقية تحرك بها قلب زكريا .

لقد كان يحيى عطوفاً يطعم الحيوانات والطيور من طعامه رحمة بهم وكان يحب القراءة، فلما صار صبيا نادته رحمة ربه : ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم : ١٢ لقد صدر الأمر ليحيى وهو صبي أن يدرس الكتاب بإحكام "كتاب الشريعة" ولقد كان النبي يحيى إذا وقف بين الناس ليدعوهم إلى الله أبكاهم من شدة الوعظ والخشوع، وقد كان الملك في ذلك الزمان طاغية ضيق العقل غبي القلب مستبداً وكان الفساد منتشراً في بلاطه، وتصادف أن خطط هذا الملك الطاغية لاغتصاب زوجة أخيه وقيل أخت زوجته، وكانت لها ابنة فاتنة الأنوثة وذات شهرة ذائعة في الرقص اسمها سالومي، وقد سأل الملك يوماً يحيى هل يجوز له أن يتزوجها؟ فقال له يحيى عليه السلام لا يجوز، ولكن الملك أمر يحيى بأن يجد له فتوى ترضيه، فرفض يحيى أن يوافق الملك على رغبته، فاستشاط الملك غضبا واستبد برأيه فأدخل يحيى السجن، وعندما شاهدت ابنة الزوجة (الراقصة) يحيى يحدث الملك أحست بنبل أخلاقه وجلال شخصيته وذهبت إليه في سجنه الذي سجنه الملك فيه وشاهدته يجلس منخرطاً في الصلاة فألقت بنفسها على قدميه وسألته أن يحبها كما تحبه وتهواه ؛ حينئذٍ قال لها يحيى "ليس في قلبي مكان لحب غير الله"، ورجعت المرأة يائسة من توسلها له وحز في نفسها ذلك الرفض وهي التي تعرف أن كل من حولها يتمناها، واعتبرت ماحدث لها إهانة مابعدها إهانة وانصرفت وقد امتلأ قلبها بكراهيته وبدأت منذ انصرافه تنسج خيوط المؤامرة للنيل من يحيى (عليه السلام) بالاتفاق مع الملك الذي سيطرت عليه بأنوثتها ورقصها ثم كشرت عن وجهها للملك وقالت له أنت تريدني وأنا أريد رأس يحيى بن زكريا فأفاق الملك من سكره وأحس بالخوف وقال لها اسأليني أي شيء آخر فقالت أريد دم

يحيى وبعد برهة من الوقت أصدر الملك لقائد الحرس أمره بقطع رأس يحيى في السجن وجيء برأسه في طبق وقدم للفتاة فجاءت به إلى أمها.

١١- سيدنا عيسى بن مريم (عليه السلام) :(١٢)

لقد انطلق سيدنا عيسى في دعوته إلى الله على أساس أنه لا وسيط بين العابد والمعبود، أو الخالق والمخلوق ونهاهم عن البيع والشراء عند الهيكل ليكون مكان عبادة لا تجارة، وحاول عيسى عليه السلام أن يوجه إليهود إلى الوصايا العشر التي نزلت على سيدنا موسى، وأن لها معاني أعمق مما يفسرون فالوصية السادسة لا تنهي عن القتل المادي كما تصوروها، وإنما تطال كل اعتداء أو إساءة للآخرين والوصية السابعة لا تنهى عن الزنا بمعنى اتصال رجل بامرأة ليست من حقه فحسب وإنما تنسحب إلى كل أنواع الزنا، فتستطيع العين أن تزني لو نظرت لما هو حرام وقد أثارت دعوة عيسى كهنة اليهود، فقد كانت كل كلمات عيسى تتحداهم وتعريهم وتعلن الحرب عليهم، ومن ثم بدأت المؤامرات تدبر لعيسى من كهنة إليهود، وإثبات أنه جاء ليحطم "شريعة موسى " وأرادوا إحراجه عندما التفوا حوله ليسألوه عن رجم الزانية حسب شريعة موسى، وقد أحضروا له امرأة خاطئة تستحق الرجم، فنظر عيسى إلى المرأة ثم إلى الكهنة وقد كان يعلم بأن الكهنة أعظم خطأً من المرأة، وأدرك عيسى عليه السلام المؤامرة فإذا عارض حكم الرجم فإنه بذلك يقف ضد شريعة موسى، ولكنه رد عليهم بذكاء قائلا : "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر"، وبدأ تحرك الملأ من القوم ضد النبي الجديد لأن الفكرة نفسها تقلق الطغاة والجبابرة وتهدد مصالحهم.

واستمر عيسى عليه السلام في حربه الفكرية بإعلان ألوهية الله، فليس من حق أحد أن يستذل الآخر أو أن يستغل أحد جهد أحد لبناء مجده الشخصي

أو الإثراء على حسابه أو هضم حقوقه، وقد أثرت دعوة النبي في أعضاء الأسرة الواحدة لأن العقول مختلفة فترى الأب يؤمن والابن يكفر أو ترى الزوجة تؤمن والزوج يكفر وبهذا الاختلاف ازدادت حدة العداوة والكراهية والحرب ضده لأنه حسب قول المتآمرين عنه بأنه جاء ليفرق بين الأب وابنه، أو الزوج وزوجته.

وبرغم المعجزات الكثيرة التي أتى بها وأيده الله بها إلا أن الكافرين لم يقتنعوا كعادتهم منذ الأزل، وعاد الله عز وجل ليمد عيسى بالمعجزات الباهرة ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) ﴾

المائدة : ١١٢- ١١٤

لقد مضى عيسى في دعوته لكنه وجد السوء والخطيئة من حوله فتجرأ عليه الفريق الذي لم يؤمن من إليهود والذين كانوا متأثرين بالأفكار الضالة فآذوه واتهموه بالسحر وخرق "شريعة موسى" التي ابتدعها "اليعازر"، فلما يئسوا منه ورأوا الضعفاء والفقراء يجتمعون حول كلماته أخذوا يدبرون له المؤامرات ويكيدون له ويؤلبون الرومان عليه، وقد اجتمع مجلس السهندريم "المجلس التشريعي الأعلى لكهنة لليهود" للتآمر عليه والقيام بقتله، ومضى رؤساء الكهنة يخططون سراً في الطريقة التي يقبضون بها على عيسى دون إثارة شغب أو ثورة فأغروا أحد تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر وهو يهوذا الاسخريوطي فساعدهم في القبض على عيسى ليصلبوه.

ولم يكن للكهنة إليهود سلطة حكم الإعدام في ذلك الوقت حيث كان ذلك من سلطات الوالي الروماني، غير أنهم اقنعوا الوالي بمؤامرة مزعومة يدبرها

عيسى ضد أمن الإمبراطورية الرومانية، وقيل إنهم أقنعوه بأن الأمر خاص بتقاليدهم وديانتهم فآثر عدم التدخل، وهكذا تم إحكام المؤامرة وكان المارة يسبونه و يهزأون به قائلين "يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك مما أنت فيه إن كنت أنت ابن الله فانزل عن الصليب".

وقد قال الله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

النساء: ١٥٧: ١٥٨

وكما يقول" إنجيل برنابا " وهو أقرب الأناجيل إلى القرآن الكريم إن الذي شبه به هو يهوذا الإسخريوطي الذي باع سيدنا عيسى لأعدائه وأرشدهم عنه "إذ تغير يهوذا في النطق والوجه فصار شبيها بيسوع حتى أننا اعتقدنا بأنه يسوع أما هو (أي الإسخريوطي) فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا أنت يا سيدي معلمنا أنسيتنا الآن!

هذا مرور خاطف على سيرة بعض الرسل والأنبياء وما واجهوه من مؤامرات في سبيل نشر دعوة الله سبحانه وتعالى، وقد أجلنا الحديث عن المصطفى ﷺ إلى موضع آخر من الكتاب، وبالإمكان الرجوع لكتب التاريخ من أجل الاستزادة ولنا بعد ذلك أن نعود إلى المؤامرات التي تقاسمها ولا يزال يتقاسمها بقية البشر.

ثانيًا : مؤامرات الأفراد والجماعات والمؤسسات :

لاشك بأن بإمكان مؤيدي نظرية المؤامرة القول بأن معارضي نظرية المؤامرة يخطئون حين يظنون أن للمؤامرة نسقا واحدا يتم بموجبه تعميم سماته على

جميع أنواع المؤامرات، إذ أن للمؤامرات أشكالاً متعددة وأنواعاً مختلفة وأن المؤامرة قد تكون فردية يقوم بها فرد بمفرده ضد فرد آخر أو مجتمع أو مؤسسة، أو قد تكون مؤامرة جماعية تقوم بها جماعة ضد فرد أو جماعة أو مؤسسة ضد مؤسسة أخرى، وما إلى ذلك من أنواع المؤامرات التي يغفل عن ذكرها المعارضون لنظرية المؤامرة، بل إن بعض أنواع تلك المؤامرات يكاد يخرجها من إطار المؤامرة إلى إطار الجريمة المفضوحة، لأن من طبيعة المؤامرة الغموض والقصد الجنائي بحيث لايكاد المرء أن يفرق أحيانًا بين المؤامرة والفعل الجنائي والجريمة، سواء ضد فرد أو مؤسسة أو دولة، ولتوضيح ذلك نضرب الأمثلة الثلاثة التالية :

المثال الأول:(١٣)

قرر شخص " ع.أ. " بالاتفاق مع مجموعة من أقاربه الانتقام من المحامي الذي اعتاد إهانته أمام الجيران بصفة مستمرة، وكان هذا الشخص قد عاتب المحامي على ذلك، فقام ذلك المحامي بسبه والاعتداء عليه ضرباً، فقرر أن ينفذ مؤامرته بالتخطيط مع أربعة من أقاربه بالصعود إلى شقة والده والسؤال عنه، إلا إنه كان بالخارج وعند عودته من خارج المنزل كانوا بانتظاره، وما أن وصل حتى انهالوا عليه ضرباً ثم قام أحدهم نتيجة مقاومته بذبحه وكانوا قد أحضروا سيارة تابعة لمحافظة الجيزة ليفروا بها عقب تنفيذ خطتهم، وعند هروبهم وقف باقي الزملاء ومعهم الأسلحة البيضاء يهددون كل من يحاول الاقتراب للتدخل، ومن ثم اختفوا عن الأنظار بعد أن تركوا السيارة بحي جنوب الجيزة.

المثال الثاني :[١٤]

قامت إحدى الزوجات في المغرب العربي بالتآمر على زوجها بعد أن اشتدت حدة الخصام والخلافات الزوجية بينهما وبعد استشارتها عرافة، قامت باتهامه بالانتماء لجماعة إرهابية عقب مغادرته المنزل إلى مدينة أخرى من أجل التخطيط لعمليات ضد السياح هناك.

وبعد بحث الشرطة عنه وجدته في مدينة أخرى بين أهله وذويه، وبالاستماع إليه صرح بأنه قد غادر بيت الزوجية في أعقاب خلاف حاد مع زوجته، وقد قضت المحكمة بإدانة الزوجة والعرافة التي شاركتها في المؤامرة حينما إلتجأت إليها فأخبرتها بأن الفنجان قد دلها على المكان الذي يوجد فيه زوجها مع جماعة من الملتحين في تلك المدينة.

www.books4all.net منتدى سور الأزبكية

المثال الثالث : [١٥]

تآمر رجل أعمال مع بعض أفراد جماعة دولية تعمل على إدارة شبكة محلية للتنقيب عن الآثار وتهريبها بمعاونة عدد كبير من المصريين والأجانب (من سويسرا، ألمانيا، المغرب، كينيا و كندا)، فضلا عن معاونة اثنين من ضباط الشرطة (نائب رئيس قسم، ورئيس قسم الشكاوى بالمرور) .

وقد تم التخطيط لتلك المؤامرة بدقة وسرية تامة، حيث كان التنفيذ ناجحًا للغاية وذلك بتهريب تلك الآثار على أنها تحف مقلدة ولعب أطفال، وقد اتفقوا على أن يتم ذلك من خلال صناديق تصدير الفاكهة والخضروات أو داخل حقائب خاصة يحملها رجل الأعمال بنفسه بالتعاون مع مسئول علاقات عامة في المطار ومسئول هيئة الاستثمار، فيسمح له بالمرور من صالة كبار الزوار على أنه مستثمر.

وقامت الدولة بعد إلقاء القبض على رجل الأعمال ومساعديه باتخاذ إجراءات وقائية تم بمؤداها حظر عمليات التنقيب عن الآثار لبعثات أجنبية علمية اشتبه في تورطها في التآمر على البلد وكذلك حظر التعامل مع خبراء آثار دوليين ثبت تورطهم في القضية.

وإذا ما قمنا بتحليل مبسط للأمثلة الثلاثة السابقة نجد أن الفرق واضح بينها رغم أنها جميعاً تحمل سمات المؤامرة، ففي **المثال الأول** : نرى أن بعض الأشخاص قاموا بنصب كمين للمحامي والاتجاه إلى منزله والسؤال عنه وانتظاره في الشارع ثم قتله والتعدي بالسكاكين على كل من حاول الاقتراب للتدخل ومنع ارتكاب الجريمة، وعلى الرغم من اتفاق الجناة على رسم خطتهم وإيقاع الأذى بالمحامي المجني عليه إلا أن فعلتهم تلك لا يمكن أن تسمى مؤامرة متكاملة الأركان لأنها كانت فعلاً صريحاً كشف منفذوه عن نواياهم وعن وجوههم وارتكبوا جريمتهم أمام ملأ من الناس، كل ذلك يبعدهم عن انطباق أركان المؤامرة بشكلها المعروف عليهم وذلك لأنهم لم يرتكبوا ما ارتكبوه من وراء ستار حتى لا يتم اكتشاف أمرهم بل كشفوا اللثام عن وجوههم ولم يكن يهمهم الاستدلال عليهم من قبل رجال الأمن بقدر ما كان يهمهم الحاق الأذى بالمحامي المغدور، وهذا الأمر ينزع عن الفاعلين صفة السرية وهي صفة أساسية من صفات المؤامرة، وأقصى ما يمكن إطلاقه من وصف على ما قاموا به هو ارتكابهم لمؤامرة مكشوفة .

أما المثال الثاني المتعلق بالسيدة التي أرادت أن تلصق بزوجها صفة الإرهاب نظراً للخلافات الشديدة بينهما وهو الأمر الذي جعلها تتقصى أماكن وجوده والالتجاء إلى عرافة حتى تساعدها في ذلك، وما أن حصلت على المعلومات اللازمة حتى فكرت بالتآمر عليه عبر توريطه في المشاركة في جريمة اعتقدت انه متورط بالإعداد لها وكادت تلك السيدة أن تقترب من مفهوم التآمر على زوجها، إلا أنها قامت بنفسها بإبلاغ الأجهزة الأمنية عن ارتباط زوجها مع

مجموعة إرهابية. وهنا نلاحظ مرة أخري أنها كشفت عن هويتها ظنًا منها أنه تم الإيقاع بزوجها وأنه سيلقى في السجن لمدة طويلة وأن أمرها لن يكتشف، إلا أن ظنها خاب حينما تبين لها أن ما قالته العرافة كان عبارة عن رجم بالغيب مما دعا رجال الأمن إلى استدعائها والتحقيق معها ليتم اكتشاف حقيقة الأمر، وبناءً على ذلك فإن ما قامت بفعله يمكن تسميته المؤامرة غير المتكاملة لأنه وإن لم يكن دور السيدة ليكتشف لو أن الأمور سارت على هواها للإيقاع بزوجها، إلا أن اتصالها شخصياً برجال الأمن رفع عنها غطاء السرية وجعلها محل مساءلة حينما تبين للجميع بأنها كانت وراء الوشاية المغلوطة بزوجها، ولذلك فإن فعلتها تلك كانت أقرب إلى المؤامرة من المتورطين بها كما رأينا في المثال الأول إلا أن المؤامرة تظل في هذه الحالة مؤامرة ناقصة.

أما المثال الثالث : فكان لمؤامرة متكاملة اتفق منفذوها على تهريب الآثار من مصر واتخذوا كافة الاحتياطات الوقائية وحاولوا إخفاء أي ارتباط لهم بالجريمة، وكادت تلك المؤامرة أن تؤتي أكلها لولا تدخل عوامل لا علاقة لهم بها وهي كفاءة رجال الأمن العالية، وفي الأمثلة الثلاثة سالفة الذكر تم القبض علي الجناة، وعلى الرغم من أن ما يجمعهم جميعاً هو تخطيطهم وتنفيذهم لمؤامرات مختلفة، ولكن ما يفرقهم هو اقترابهم أو ابتعادهم عن اتباع منهج التآمر كما سيرد ذكره لاحقا، وإذا كان من الصعب حصر جميع أنواع المؤامرات لشدة تنوعها واختلاف أساليبها، فإن ذلك لايمنع من محاولة تصنيف بعضها وإضافة تصنيفات أخرى لها كما سيرد ذكره في الفقرات التالية.

المؤامرات واستغلال الطقوس والمعتقدات (١٦)

يلجأ بعض المتآمرين إلى التستر بالشعائر والطقوس وإيهام الغير بدخول الجنة والمغفرة إذا اتبعوا تعليماتهم وإرشاداتهم حتى وإن كان في ذلك إيذاء

لهم أو لغيرهم أو إرتكاب الجرائم كالقتل والسرقة وغيرها، ومن أمثلة ذلك قصة حدثت في هونج كونج كان بطلها زعيم جماعة دينية أطلقت على نفسها اسم جماعة التنين الأخضر والتي وعد كل امرأة بدخول الجنة إذا عملت في الدعارة، وذكرت صحيفة "ساوث شاينا مورننغ بوست" التي نشرت الخبر أن النساء قلن إن زعيم الجماعة أخبرهن أنهن سيدخلن الجنة ويصبحن في مصاف الآلهة إذا جمعت الواحدة منهن ٦٤ ألف دولار أمريكي (٥٠٠ ألف دولار هونج كونج) من العمل كداعرات، وذكرت النساء أنهن عملن كعاهرات، وكن يقدمن الأموال للجماعة التي جنت ما يقدر بنحو ٢٣٠ ألف دولار شهرياً من هؤلاء النسوة، وكانت جماعة التنين الأخضر قد أنشئت عام ١٩٩٣ وبلغ عدد أعضائها نحو ٦٠ شخصاً. هذه المؤامرة التي تم التخطيط لها للإثراء على حساب فتيات ساذجات انقدن وراء المخطط دون تدبر أو تفكير حيث نجح بتضليلهن تحت ستار الدين المزعوم. وهذه قصة من قصص تحدث يومياً باسم الدين والدين منها براء، أما المشاركون فيها فقد كانوا مخدوعين حينما اعتقدوا أنهم سائرون إلى الجنة وهم في الحقيقة أخطأوا الطريق وتوجهوا إلى النار.

مؤامرة الحزب الشيوعي على الملاك : (١٧)

ومن المؤامرات مؤامرات يخطط لها أناس في غاية الذكاء وتقوم على تقطيع أوصال المجتمع وضرب بعضه ببعض حتى ينجح منهجهم الثوري أو الفوضوي، ومن أمثلة ذلك "لينين" الذي تأثر بأفكار كارل ماركس مثله في ذلك مثل "بليخانوف" زعيم الماركسيين الشرعيين الذين كانوا يؤمنون بالتغيير عن طريق الانتخابات والمجالس النيابية، إلا أن "لينين" كان ديكتاتورى النزعة فعارض مبدأ تحسين أحوال العمال الذي نادى به الحزب الروسي الاشتراكي الديمقراطي، وهو الذي كان من المفترض به أن يدافع عن العمال ليحصلوا على

حقوقهم، إلا أن مخططه لم يكن يركز على حصول العمال على حقوقهم بقدر ما كان يهدف إلى الإطاحة بحكم القياصرة، ورغم نجاحه وزملائه بتحقيق ذلك في عام ١٩١٧ إلا إن حقده على أصحاب الأراضي والأثرياء كان دفيناً، فتآمر على تحطيمهم والقضاء عليهم بلا هوادة، وساعده في ذلك "تروتسكي" زعيم الحزب الشيوعي في عام ١٩١٨، فقام بزرع الفتنة ليثير الفلاحين ضد أصحاب الأراضي لأن الحزب الشيوعي كان يريد تصفية هذه الطبقة الاجتماعية، فأثمرت هذه البذور عن حرب شرسة بين الفلاحين العاملين في الأراضي وأصحابها من " الكولاك"، وحدثت مجاعة راح ضحيتها نحو ٣ ملايين نسمة، فقام لينين باتهام هذه الفئة بالعمل على تجويع الشعب وتعذيب الملايين ثم قام باستعداء الفئات الاجتماعية ضد بعضها البعض سواء كانت دينية أو اجتماعية متبعاً منهجاً فوضوياً ودامياً، وبدأت الحكومة منذ عام ١٩٢٩ حملتها العارمة ضد الكولاك للاستيلاء على الأراضي وتحويلها إلى مزارع جماعية، مبيحة بذلك قتل كل من يعارض هذا الإجراء من أصحاب الأراضي . وقد استغل الفلاحون هذه المؤامرة وقتلوا المعترضين على ذلك واستولوا على أراضيهم، وهكذا نجح لينين في إنشاء دولة عن طريق الإرهاب مستخدماً شتى أنواع المؤامرات ضد أعدائه وأصدقائه على حد سواء.

المؤامرات على الشركات : (١٨)

تبدأ هذه المؤامرات بجمع المعلومات عن الشركات الإنتاجية المحلية والمؤسسات المالية وكل ما يتعلق باقتصاد الدولة عامة من مال وتجارة وسلع ومنتجات وتقنيات حساسة ومعرفة الأسرار الخاصة بالسياسة الاقتصادية ودراستها جيداً، والتنافس الاقتصادي الذي يشهده العالم حالياً يجعل من التآمر الاقتصادي أو السعي نحو سرقة الأسرار الاقتصادية قضية رئيسية

على أجندة أقطاب الاقتصاد العالمي الدول الثماني (الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، بريطانيا، المانيا، إيطاليا، روسيا، الصين، اليابان) أما مؤامرات الشركات ضد بعضها البعض فيصعب حصرها في كتاب واحد أو حتى عدة كتب، فللشركات عالمها الخاص بالتآمر وأدواتها الخاصة في تنفيذها التي تختلف عن بقية الأدوات،

ومثال ذلك المؤامرة على شركة "جنرال موتورز"(١٩) ، وهي من قصص المؤامرات على الشركات التي نالت شهرة عالمية،حيث تم توجيه الاتهام إلى رئيس قسم مشترياتها وسبعة من الموظفين بأنهم أخذوا عشرة آلاف وثيقة وأقراص حاسبة معهم عندما التحقوا بشركة اخرى، وتم العثور على أربعة صناديق مملوءة بالوثائق داخل شقة رئيس قسم المشتريات في ألمانيا احتوت على أسرار خاصة بتطوير صناعة السيارات بشركة موتورز.

وهذه المؤامرة تضمنت الحصول على تفصيلات عن أسرار نموذج سيارة جديدة وتفصيلات عن الإستراتيجية المستقبلية لشركة "موتورز" الخاصة بمبيعاتها ورؤيتها للتحديث وعملائها ووكلائها في الخارج وأساليب البيع وكميات الإنتاج المتوقعة خلال السنوات المقبلة والإضافات المتوقع إدخالها في الإنتاج، كما احتوت هذه التفصيلات على قوائم الشراء المستقبلية والعقود المبرمة مع الوكلاء على صعيد دول العالم والسياسة الشرائية التي تتبعها الشركة.

وقد عانت شركة(٢٠) "IBM" من نفس تلك المؤامرة التي عانت منها شركة "موتورز" حينما تجسست عليها شركة يابانية، وقد حدثت هذه الواقعة في أوائل الثمانينيات من القرن العشرين عندما أقدم اثنان من موظفي الشركة اليابانية على التجسس على شركة "IBM" ونقل وثائق من شركة "IBM" تتعلق بسياستها التصنيعية وبرامجها وخطوط إنتاجها وخططها المستقبلية وحجم

إنتاجها وتسويقها في الخارج وعملائها ووكلائها في مختلف دول العالم، وقد قام بكشف عملية التجسس اليابانية هذه "إدوارد أومالي" رئيس قسم الاستخبارات المضادة في شركة "IBM" وأعلن عنها هو بنفسه صراحة في محاضرة ألقاها في مؤتمر عقد في فرنسا عام ١٩٩٦ حول "قانون الجاسوسية"، وأوضح أنه قدم العون لشركة "IBM" في اكتشاف عملية التجسس اليابانية التي خطط لها وأدارها مهندس ياباني في عملية معقدة وصعبة جداً، ونفذها اثنان من موظفي الشركة اليابانية، وأعلنا بعد القبض عليهما ومحاكمتهما أنها يرغبان في إلحاق أكبر خسائر بشركة "IBM" وضرب خطوط إنتاجها وتشويه صورتها في السوق وقد دفعا لقاء الحصول على المعلومات المكلفين بجمعها عن شركة "IBM" مبلغ (١٦٥ ألف دولار).

وقد أفاد تقرير من الكونجرس الأمريكي أعد عام ١٩٩٧ من قبل الاستخبارات المركزية والـ "FBI" بأن أعمال الجاسوسية التي استهدفت الشركات الأمريكية خلال العشر سنوات الماضية أي من (١٩٨٧-١٩٩٧م) كلفت الاقتصاد الأمريكي خسائر باهظة وشكلت خطرًا على ازدهاره وقدراته التنافسية في الأسواق العالمية.

وقد قدرت المخابرات الأمريكية أن هناك ٦ ملايين وظيفة ضاعت على الأمريكيين خلال العشر سنوات الماضية من عام (١٩٩٥- ٢٠٠٥م) نتيجة للتجسس الاقتصادي، ومن الصعب حصر حجم الأموال التي فقدتها الشركات الأمريكية بسبب سرقة أسرارها، وتقول المخابرات المركزية الأمريكية أيضاً أن هناك (٥١) دولة تتجسس على الولايات المتحدة الأمريكية، وأن هدفها الأساسي جمع المعلومات الاقتصادية.

المؤامرة على شركة آفيري : [٢١]

كان "ف. لي" في عام ١٩٩٧ من كبار المتخصصين في علوم البوليمرات بشركة "آفيري فاسون دول" في كونكورد بولاية أوهايو،وكانت الشركة تسعى لتحصل على موطئ قدم لها في آسيا لتستطيع أن تجني معدلات نمو مطردة، وعلى الرغم من مكانة "فيكتور لي" في شركة آفيري إلا أنه تآمر مع شركة تايوانية على شركة آفيري، وخطط "فيكتور لي" للحصول على ملف سري للغاية يحتوي على مذكرة مفصلة عن خطط الشركة الرامية لتوسيع نشاطاتها في آسيا برغم توقيعه عقداً مع شركة آفيري يتضمن عدم الإفشاء أو الحصول على أية معلومات لاستخدامه الشخصي أو للآخرين إلا في حدود ما يفوض به من قبل المسئولين خطياً.

واستطاع " لي" برغم هذا الشرط من التآمر من خلال تخصصه بعلم تغير أحوال المادة اللاصقة على صعيد اللزوجة واللدونة والمرونة بإرسال ثلاثة طرق اختباريه للسيلكون وصفها بنفسه بأنها سرية للغاية وهي لصاقات لبطاريات ديو راسيل ذاتية الاختبار وإرسال تقرير لكبير علماء الشركة التايوانية المنافسة عن تكنولوجيا تغليف خماسي الطبقة بمادة السيلكون، وهو علم يحتاج لسنوات عديدة لإتقانه، وقام المدعي العام باستصدار أمر بتسجيل كل مكالماته والتدقيق في سجلاته المالية بعدما أبلغت عنه شركة آفيري بنفسها لأنها شكت بنشاطه الخفي والتآمر عليها مع منافسين لها، وأكد المدعي العام أن الشركة المنافسة في آسيا وهي الشركة التايوانية استطاعت بفضل هذه المعلومات خفض تكاليف منتجاتها وتحسين مستواها وتحقيق أرباح غير متوقعة والسيطرة على السوق الآسيوية تماماً، وهي أرباح كانت شركة آفيري تسعى إليها ولكنها نتيجة لهذه المؤامرة تكبدت خسائر فادحة تصل إلى ملايين الدولارات.

اتهامات بسرقة أسرار "ك.ك." لبيعها لـ"ب.ك." (٢٢)

اتهم مدّعون أمريكيون ثلاثة أشخاص بسرقة أسرار شركة "ك.ك." للمشروبات الغازية ومحاولة بيعها لشركة "ب. ك." المنافسة وحسب الادعاءات فإن موظّفة إدارية هرّبت في حقيبة يدها ملفات من الشركة ومنتوجاً جديداً للشركة.وإضافة إلى تلك الموظفة، اتهم اثنان من الموظفين بسرقة أسرار تجارية لشركة "ك.ك." .

وقالت "ب. ك." إنها تعاونت مع مكتب التحقيقات الفيدرالي "FBI" ومع "ك.ك." على أثر تلقيها اتصالا من شخص أراد بيعها معلومات إلا أن "ك.ك." أكدت إنه لم يتم كشف سر تركيبة مشروبها الأساسي والذي يُباع في علب بيضاء وحمراء وقال المدير التنفيذي للشركة إن "هذه المعلومات هي شريان الشركة" مؤكدًا أنه تجري مراجعة التدابير الأمنية للمؤسسة، أما المتحدث باسم "ب. ك." فقال إن شركته كانت سعيدة لمساعدة منافستها. وأضاف: "المنافسة قد تكون أحيانا شرسة ولكنها يجب أن تكون أيضا شرعية وعادلة".

وحسب ما يقوله المحققون فإنه تم إرسال رسالة إلى "ب. ك." في مايو ٢٠٠٦ من قبَل شخص يُطلق على نفسه اسم "ديرك" يدّعي فيها أنه موظّف رفيع في الشركة المتآمر عليها ويملك معلومات للمقايضة.ويدّعي عميل متخفي لـ "FBI" أنه إلتقى بالشخص الذي قيل إنه المدعو "ديرك" في مطار أتلانتا الدولي في يونيو ٢٠٠٦ .

وخلال اللقاء، سلّمه مغلفًا يحتوي على بيانات وزجاجة في داخلها مشروب، ويدّعي العميل المتخفّي أنه دفع لـ"ديرك" مبلغ ٣٠ ألف دولار ووعده بدفع مبلغ ٤٥ ألف دولار إضافي في وقت لاحق .

وفي ٢٧ يونيو ٢٠٠٦ عرض عميل آخر شراء الأسرار التجارية الأخرى بـ ١,٥ مليون دولار، ويَدّعى أن اثنين من المشتبه فيهما فتحا حسابًا مصرفيًا بهدف استلام المبلغ، وقد تم توقيف المشتبه فيهم الثلاثة في اليوم ذاته.

ويقول محققون إنهم يملكون أفلاماً مصوّرة تُظهر موظفة وهي تبحث في ملفات الشركة وتحمل وعاء لمشروب يحمل اسمًا مكتوبًا باللون الأبيض، يشبه وصف منتوج جديد لـ "ك.ك."، قبل أن تضعه في حقيبة يدها.

وقد قال المدّعي الأمريكي ديفيد ناهمياس "نحن ملتزمون بحماية الملكية الفكرية التي تشكّل عاملاً أساسيًا من أجل بقاء مؤسسسات مواطنينا ناجحة في اقتصاد القرن الواحد والعشرين"، وأضاف "سرقة أسرار تجارية ثمينة أمر غير مقبول من قبَل وزارة الدفاع وكذلك من قبل المنافسين، كما تُظهر هذه القضية".

وهناك قصة مؤامرة مالية حدثت في عهد نابليون يجدر ذكرها في هذا المجال، فلقد تولى قيادة جيش نابليون جنرال يهودي اسمه" سولت "، وكان من المفترض أن يساند " سولت " هذا جيشاً فرنسياً أخر يقوده " جروشي " وجاء جيش بروسيا ليساند جيش الإنجليز في المعركة، وكان واضحاً منذ بداية المعركة التفوق الإنجليزي الكاسح، إلا أن روتشيلد طلب من القائد الإنجليزي لغاية في نفسه التأخر في إعلان الانتصار مقابل رشوة سخية، ثم استأجر روتشيلد مركباً وعاد به مسرعاً إلى لندن، وأشاع عند وصوله أن الإنجليز قد اندحروا في المعركة ووقف أمام البورصة يبيع أسهمه من جانب ويشتريها بوساطة أهله من جانب آخر حتى انهارت البورصة الإنجليزية واشترى إليهود الأسهم .وجاء اليوم التالي ليحمل أنباء الانتصار الإنجليزي في معركة ووترلو فارتفعت الأسعار وكسب ناتان روتشليد زعيم إليهود خمسة

ملايين جنيه استرليني في اقل من يوم واحد مما مكنه من السيطرة على بنك إنجلترا، وهذه القصة وردت ضمن أحداث هزيمة نابليون في معركة ووترلو[٢٣]

المؤامرة الالكترونية (المعلوماتية) :

نحن نعرف أن أي نشاط للمعلومات يدار بواسطة الحاسبات الإلكترونية يطلق عليه معلوماتية فتحتفظ الدول والمؤسسات والهيئات بالمعلومات وذلك بالوسائل التي تراها مناسبة لها، ولكن عندما تتحول هذه المعلومات إلى الشكل الإلكتروني فهنا تكمن الخطورة وخاصة في وقتنا الحاضر، فالدخول غير المسموح به من حيث الصلاحية أو الناحية القانونية بنية السلب أو الخرق أو الإتلاف يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون.

ولا شك أن الأدوات الحديثة في تعقب هذه المعلومات من داخل البيئة المعلوماتية الخاصة بالدول والمؤسسات والهيئات بل والأفراد خاضعة لمن يمتلك ويتحكم في هذا الفضاء كوسيط لنقل وتبادل وإرسال واستقبال المعلومات، وبالتالي فالمتحكم يصنع الثغرات أو نقاط الضعف التي توجد في نظم المعلومات المتاحة للمتآمر عليه إما عمداً أو بالمصادفة، أو يحدث ذلك مع التقدم العلمي حيث تظهر وسائل وأدوات لفتح تلك الثغرات عمداً أو أثناء التصنيع أو التركيب أو الصيانة وبالتالي يسهل التسلل للهدف عن طريق نظمه وبرامجه أو قواعد بياناته والحصول على كل ما يتداوله أو يخزنه أو يعالجه من معلومات لها أهميتها.

ويذكر العديد من خبراء أمن المعلومات أن الكثير من البرمجيات وقواعد البيانات تحتوي على بوابات خلفية تركها مصمموها عن عمد لاستخدامها عند الحاجة وهذا ما أوضحه مؤتمر القاهرة لأمن المعلومات الذى عقد عام ٢٠٠٣

حيث جاء على لسان أحد الخبراء بأن بعض الدول المتقدمة تكنولوجياً[٢٤] تلزم جميع شركات البرمجيات بإيداع نسخ كاملة مجاناً من البناء الكودي أو الشيفرة الداخلية لجميع برامجها لدى الجهات الأمنية المختصة، وهذا يعني أن أي حاسب في أطراف العالم يعمل بهذه البرمجيات يصبح عرضة للتسلل والاختراق من قبل من يملك تكنولوجيا الاتصال،

وبالتالي يستطيع أي متآمر تغيير المعلومات أو إعادة توجيهها في مسار مختلف عن مسارها الطبيعي باستخدام أدوات الاعتراض وفك التشفير التي يستخدمها ضد تكويد وتشفير المتآمر عليه.

وقد أوضح بعض المسئولين في مجال تكنولوجيا المعلومات أن أخطر تهديد يواجه شبكة الإنترنت ومستخدميها هو البرامج التجسسية وليست الفيروسات كما كان معروفاً من قبل فأصبح التجسس الإلكتروني من أهم أدوات جمع المعلومات وتعقبها فالمتآمر الذي كان يهدف لتدمير شبكة ونظم معلومات المتآمر عليه عن طريق تطوير الفيروسات المدمرة اكتشف ضياع وقته وطاقاته دون المقابل المناسب فأصبح من أهم اهتماماته تطوير برامج التجسس واستخدامها للوصول إلى ملفات ومجلدات المتآمر عليه أو أرقام بطاقات الائتمان وسرقة أرقام الحسابات للبنوك التابعة له.

وقد نشرت صحيفة السياسة الكويتية مقالاً بعنوان ٢٠ مليون دولار خسائر عمليات المؤامرة الالكترونية، إذ لاحظت الهيئة المشرفة على تعاملات الأسهم والسندات "سيكيورتيز أند إكستشينج كوميشن"[٢٥] عمليات قرصنة من الذين يتربصون بحسابات المستثمرين في البورصة الأمريكية ونشرت تحذيراً في موقعها الإلكتروني يتضمن تعليمات لحماية حساباتهم من المتآمرين عليه نتيجة نشاطات القرصنة .

وقد تم اكتشاف عملية تم التخطيط لها بدقة وفي سرية تامة للتآمر على أحد العملاء والذي كان يعمل لحسابه الشخصي قبل عدة أسابيع من هذا التحذير حين بدأت تصله رسائل إلكترونية من شركة للسمسرة كان يتعامل معها، وفي خلال دقائق كانت أسهمه وسنداته المسجلة في شركات أمريكية شهيرة قد تم بيعها كما تم إفراغ ما يقدر بنحو ٦٠ ألف دولار من الأسهم النشطة التي لم يتعامل بها منذ عام ٢٠٠١، إلا إن الذي أنقذ هذا العميل من هذه المؤامرة هو فشل هؤلاء المتآمرين في تغيير عنوان البريد الالكتروني لتأكيد الصفقة والا كانوا حصلوا على كل شيء مثلما حدث مع ضحايا آخرين .

ومثال آخر على ذلك هو ما أفردته صحيفة الشاهد[٢٦] في مقال بعنوان آسيوي يسطو على حسابات العملاء في ١٣ بنكاً محلياً وعالمياً عبر الإنترنت وهي واقعة فريدة من نوعها في دبي حين كشفت شرطة دبي النقاب عن مؤامرة دبرها أسيوي يبلغ من العمر٣١ عاماً بدقة متناهية حيث حدد أحد مقاهي الإنترنت مكاناً لتنفيذ مؤامرته في دبي واستطاع الدخول إلى شبكات البنوك الإلكترونية وتمكن من تحويل بعض المبالغ المالية عن طريق الشبكة إلى حسابات وهمية كان قد خطط لها مسبقاً عن طريق أنظمة فتح الحسابات الإلكترونية، وقال مصدر مختص بأن الحصر المبدئي يوضح أن المبلغ هو ٣٠٠ ألف درهم من البنوك المحلية فقط. ومثال آخر نسرده لنبين الآثار الاجتماعية السلبية لمثل تلك الجرائم، فقد نشرت صحيفة الأهرام المصرية[٢٧] في مقال لها بعنوان القبض على طالب استولى على البريد الإلكتروني لزميلته بسبب رفضها خطوبته لها مما جعله يشعر بإهانة كرامته، ففكر وخطط ليتآمر على زميلته الطالبة حينما قام بتنفيذ مؤامرته في سرية ودقة وسرق بريدها الإلكتروني وأرسل منه رسائل مسيئة لسمعتها تتضمن عبارات وأوصافاً تطعن في شرفها لجميع أصدقائها وأقاربها وهدد بنشر صور مخلة لها عبر الإنترنت بهدف ابتزازها وتهديدها، وقد تم استئذان النيابة وضبط الطالب الذي اعترف بارتكابه واقعة التشهير بها بعد إصابته بحالة نفسية سيئة نتيجة رفض الطالبة الارتباط به .

المؤامرة المركبة[٢٨] :

المقصود بالمؤامرة المركبة هو أن يتآمر طرف ما على طرف آخر أو أن يكون جزءاً من الأطراف المتآمرة، ثم يكتشف بعد ذلك أنه نفسه هدف أو ضحية لمؤامرة أكبر تستهدفه وتستهدف ضحيته معه فى آن واحد . ولنا أن نتخيل الطرف المستفيد من هذه المؤامرة وهو يستهدف ضحيتين في آن واحد أحدهما عدوه وآخر شريك له في مؤامرته، ومثل هذا الأمر يتطلب منه تخطيطاً دقيقاً وقلباً غادراً فظاً لايعرف الرحمة واستخبارات عالية حتى يموه الأمر على الجميع فلا يعرفون حقيقة نيته . ولعل أقرب مثال نضربه على ذلك: ما جاء فى كتاب الكاتب رياض الريس "رياح الجنوب"عن قصة شخص اسمه مهدى واسمه الحركى تفاريش (أى رفيق بالروسية)، وكان هذا الشخص يعمل مع الفلسطينيين في لبنان، وذات يوم فلتت منه جملة قال فيها "إنه يريد الشهرة عن طريق قتل شخصية كبيرة يختتم بها حياته " . وسواءً قال ذلك بقصد أو على سبيل التباهي فإنه لم يكن يدري أن آذان المخابرات فى اليمن الجنوبى آنذاك كانت تبحث عن شخص له ذات المواصفات، وسبب ذلك أن تلك الفترة من الزمن شهدت تقارباً بين " سالم ربيع على" رئيس النظام الإشتراكى للشطر الجنوبي مع الرئيس "أحمد الغشمى" رئيس الشطر الشمالى، وهو ما كانت تخشاه أجهزة المخابرات في اليمن الجنوبى التى كان يقودها صالح مصلح والتي كانت مرتبطة بالمخابرات الروسية والتي كان يسيئها أي تقارب بين اليمن الجنوبى واليمن الشمالى لأن ذلك سيؤدي إلى تقارب اليمن الجنوبى ذي المنظار الأيديولوجى الماركسي مع المملكة العربية السعودية، فاتصلت مخابرات مصلح بتفاريش ذي الشخصية المهزوزة وزفت إليه خبر قرب تحقيق فرصته المرتقبة للشهره، وشرحت له الخطة فوافق عليها خاصة بعد أن أقنعته بأن الأمر سيكون فى غاية السهولة وأن الخطة الموضوعة محكمة وأنه سيذهب كمبعوث من الرئيس سالم ربيع إلى الرئيس أحمد الغشمى ليحمل له رسالة موجودة فى

حقيبة خاصة ولا تسلم إلا للرئيس الغشمى نفسه، وأنه سيزود بمسدسين أحدهما يربطه فى ساقه وهو المسدس الذى سينفذ به عملية الاغتيال والمسدس الآخر يسلمه إلى ضباط الحراسة الخاصين بالرئيس الغشمى قبل الدخول عليه مباشرة حتى يطمئن الحرس بأنه غير مسلح، ثم تقضى الخطة بأن يسلم الرسالة للرئيس الغشمى ليقرأها ثم يقوم أثناء قراءة الرئيس الغشمى للرسالة بإخراج المسدس المربوط بساقه فيطلق النار عليه ويقتله . ولكن كان السؤال المهم هو كيف يأخذ الرسالة من الرئيس سالم الربيع وهو لا يعرفه ؟ وكيف يسلمها إلى الغشمى وهو لا يعرفه أيضاً ؟ فكان الجواب أن مبعوثاً حقيقياً للرئيس سالم ربيع علي سيأخذ رسالة حقيقية منه ليسلمها للرئيس الغشمى فى حقيبة مغلقة، ولكن قبل توجه المبعوث إلى الطائرة سيقوم رجال المخابرات التابعين لصالح مصلح بإستبداله في المطار ليحل تفاريش محله وأن الرئيس الغشمى لا يعرف عن المبعوث الذى ينتظره سوى أنه قادم من عدن على متن طائرة ليسلمه الرسالة شخصيًا، وأن هناك عنصراً من عناصر مكتب الرئيس الغشمى متعاون مع مخابرات صالح مصلح سيقوم بإدخاله للغشمى فور وصوله. وفعلاً سارت الأمور وفق الخطة المرسومة إلا شيئاً واحداً لم يدر بخلد تفاريش وهو أنه حينما جلس مع الرئيس الغشمى فى المكتب وفُتحت الحقيبة فإذا بها لاتحتوى على رسالة بل كانت قنبلة الموت التي انفجرت فوراً وأودت بحياة الرئيس الغشمى وتفاريش معاً . وقد اكتملت المؤامرة المركبة حينما تم اتهام سالم ربيع من قبل حزبه بالجريمة التى لم يرتكبها وتم إعدامه بعد يومين من مقتل الغشمى في ٢٦ يونيو ١٩٧٨ .فتخلص المتآمرون بجريمتهم المركبة من عدوين لهم ومتآمر معهم وأحبطوا محاولة التقارب بين اليمن والسعودية .

ثالثًا : المؤامرة الاستعمارية:

قبل أن نتطرق إلى أسباب الحروب بين الدول والمؤامرات التي تحاك لتنفيذها، نود أن نشير إلى الحروب الأهلية لأنها الباب الذي يدخل منه المستعمر لتنفيذ مؤامراته، وسوف نضرب بعض الأمثلة لعدد من تلك الحروب التي تبدأ بين أفراد المجتمع الواحد ثم تتحول إلى أداة من أدوات استعمار الفريقين المتناحرين .

الحروب العرقية و الدينية :(٢٩)

إن من أهم أسباب هذه المؤامرة ما يتعلق بخلافات الدين أو الجنس فهي خلافات تقع في صميم النوازع البشرية. ولقد كان التعصب العنصري بدوره سببًا لعدة حروب، ويزعم بعض اليابانيين أن القنبلة الذرية ما كانت لتلقى على ألمانيا برغم الخسائر الفادحة التي ألحقتها بأوروبا ولكنها ألقيت على اليابان بسبب التعصب العنصري.

ولقد شهد العالم الكثير من الحروب الدينية، فالحرب بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا والحرب الأهلية في إنجلترا كلها حروب دينية وعرقية، وكذلك الحرب الصليبية الأولى والتي انتهت باستيلاء الغرب على الأراضي المقدسة في ١٢ أغسطس عام ١٠٩٩ تلتها سبعة حروب صليبية، وقد تسترت هذه المؤامرة بالدين ولكن سببها كان هو سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية بين شعوب أوروبا ولنشوب حروب بين الممالك الأوروبية والتي أدت إلى إنهاكها اقتصادياً، مما جعل فكرة غزو الشرق المسلم المزدهر فكرة مغرية للأوروبيين تحت ستار الدين، لتحقيق تقدم اقتصادي على حساب الدول المتآمر عليها .

ومن أمثلة ذلك : الحروب بين الهندوس والسيخ [٣٠] ذات التاريخ الطويل والتي أدت إلى معارك دامية بينهما، وقد حاول كل طرف منهما النيل من الطرف الآخر وصمم السيخ على الاستقلال بولايتهم وإقامة دولة خاصة بهم في البنجاب تعرف باسم "خاليستان"، ولكن الحكومة المركزية شعرت بذلك وبأن كبار مسئوليها أصبحوا مستهدفين وبأن هناك مخططات انفصالية عند السيخ فقامت بمهاجمة المعبد الذهبي في أمريتسار وبالتحديد في ٦ يونيو ١٩٨٤ وقتلت زعيمهم "جانت سينغ بندرا نويل".

وقد قامت طائفة السيخ بإحداث اضطرابات ضد الهندوس ولم يكتفوا بمهاجمة أعضاء الحكومة من الهندوس بل شملت اعتداءاتهم السيخ المعتدلين وحولوا المعبد الذهبي إلى معقل للإرهابيين، وقد استغل السيخ المجازر التي تعرضوا لها على يد الهندوس ومن الحكومة الهندية وكثفوا من ضغطهم على جميع الجبهات فاستخدموا سلاحاً مهماً هو سلاح الحبوب ومنعوا نقله إلى سائر أجزاء الهند مما هدد المجتمع الهندي بمجاعة كبيرة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً الحرب الأهلية في رواندا وبوروندي[٣١] وهما دولتان صغيرتان تقعان في وسط أفريقيا، إلا أن كلاً منهما كانتا على موعد مع الاضطرابات إذ انفجر بركان الصراع الدموي فيهما بسبب الخلافات القبلية التي ترجع جذورها إلى النعرات القبلية بين قبيلة الهوتو التي يشكل أفرادها ٩٠٪ من السكان وقبيلة التوتسي التي يشكل أفرادها حوالي ١٠٪ من السكان،و كانت تجمعهما ثقافة واحدة ولغة واحدة، ولكن سرعان ما ازدادت الفجوة بين القبيلتين إبان الحقبة الاستعمارية نتيجة تعمد المستعمر الالماني حتى الحرب العالمية الأولى والبلجيكي حتى استقلال بوروندي عام ١٩٦٢ من استبعاد قبيلة الهوتو من الإدارة الحكومية والاعتماد على التوتسي باعتبارهم أكثر رقياً وكذلك لاعتناق ملكهم المذهب الكاثوليكي في عام ١٩٣١وهو نفس

مذهب المستعمر البلجيكي، كما خطط التوتسي لاستغلال عمل وإنتاج الهوتو الذين يعمل معظمهم فى الزراعة ووسعوا الفجوة بجعل التعليم حكراً على أولاد التوتسي، وبجعل المنح الدراسية إلى الخارج من نصيبهم، مما مكن قبيلة التوتسي من استعباد الهوتو وتحقيرهم، بل والأكثر من ذلك ارتكاب مجازر بشعة بحقهم لمحاولاتهم العديدة الحصول على حقوقهم الشرعية، وعلى الرغم من معارضة عقلاء التوتسي فقد قام الجيش الحكومي بالانتقام من الأبرياء الهوتو فاتحاً أمامهم المقابر الجماعية أو التهجير إلى الدول المجاورة وخاصة رواندا التي يعيش فيها أفراد من القبيلتين والتي انتقلت إليها عدوى الاقتتال بين المهاجرين من القبيلتين بالإضافة إلى المواطنين الأصليين من الطرفين . وقد جرت انتخابات تشريعية فاز فيها الهوتو، ولكن حرباً أهلية نشبت بين الطرفين عقب مؤامرة إسقاط طائرة الرئيس وهو من الهوتو، في ١٦ أبريل ١٩٩٤، وكان معه في نفس الطائرة رئيس رواندا وهو من الهوتو أيضاً . واستولى التوتسي بعد ذلك على السلطة لأول مرة منذ الاستقلال، وقاموا بتبني العرف الثأري حيث قاموا باقتحام معسكر اللاجئين الهوتو في مدينة كيبيهو بتاريخ ٢١ أبريل عام ١٩٩٥ وقتلوا ثمانية آلاف شخص من أصل ٣٠ ألف لاجيء وأصبح الأمن والاستقرار في هذا البلد بعيد المنال بعد أن زرع الاستعمار بذور الفتنة وسلم السلطة كهدية ملغومة أو مسمومة إلى طرف وحرم منه طرفاً آخر.

وفي سريلانكا[٣٢] التي تقع في المحيط الهندي على بعد ٥ كلم من جنوب الهند وعاصمتها كولومبو، كان للإختلافات العرقية موعد مع الحرب والدمار، ففي فترة من الزمن قام الملك السنهالي بطرد التاميل من لانكا، ومنذ ذلك التاريخ وسريلانكا تغمرها دماء الحرب الأهلية التي اندلعت بلا هوادة أو رحمة، والجدير بالذكر أن السنهاليين يشكلون ٧٤٪ من السكان بينما يشكل التاميل حوالي ١٢,٦٪ من سكان سيرلانكا .وقد نالت سريلانكا استقلالها عن بريطانيا في ٤ فبراير ١٩٤٨ وقررت حكومتها أن تبقى في الكومنولث

البريطاني، إلا أنه في الفترة التي تلت الاستقلال عصفت بالبلاد أزمات سياسية واقتصادية فضلاً عن مطالب التاميل المستمرة في الانفصال. وتصاعدت حرب الانفصال منذ عام ١٩٨٥ وقضت على آلاف الأشخاص بعد صراع عرقي طائفي عنيف، والاختلاف العرقي بينهما يرجع إلى أن السنهال من أصل إيرياني والتاميل من أصل درافيدي إلى جانب الاختلاف الديني بينهما، فالسنهال يدينون بالبوذية، أما التاميل فديانتهم الهندوسية ولكل طائفة منهما لغة وثقافة وسياسة خاصة بها.

وحينما شعر التاميل بالمخطط الذي يدبره السنهال بهدف تهميش أبناء طائفتهم اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، بدأوا بالتململ والإحتجاج بعد أن عانوا من سيطرة الأغلبية السنهالية البوذية الذين امتدت مخططاتها إلى حد حرمان التاميل من تولي المناصب العليا، ورفضت الحكومة الاعتراف أيضاً بحقوقهم السياسية كأقلية تشكل خمس السكان، فاندلعت الحرب الأهلية بين الطرفين وأدت إلى مصرع أكثر من مليون سريلانكي وإعاقة ربع مليون، وقد قام المتمردون التاميل بالتخطيط لتنفيذ مؤامراتهم لاغتيال رئيس الوزراء الهندي السابق راجيف غاندي في مايو عام ١٩٩١، كما قاموا باغتيال الرئيس السريلانكي راناسنج بريماداسا في ٢٨ مارس ١٩٩٣ .

لقد تعمدنا أن نذكر بعض أنواع الحروب الأهلية كمدخل يلجأ إليه المستعمرون للسيطرة على مقدرات الدول المفككة اجتماعيًا وعرقيًا ومذهبيًا دون إدراك أطراف النزاع للخطورة الناتجة عن تناحرهم، وبسبب إصرار كل طرف على الحصول على الحد الأقصى وليس الممكن من الطرف الآخر .

وسنعود مرة أخرى إلى ذات الموضوع ولكن بعد أن نتطرق إلى نقطة مختصرة تتعلق بالحروب وأسبابها، إذ أن أسباب الحروب تختلف باختلاف الدوافع والظروف وهوالأمرالذي يعني أن تهديدًا وشيكًا أو توترًا بسيطا قد

يؤديا إلى نفس النتيجة، فمن الممكن أن تؤدي أتفه الأسباب وأعظمها خطرًا إلى الحرب، كما أن اختلاف المصالح والمنافسة على أماكن إستراتيجية بين دولتين يمكن أن يولدا أيضاً حربًا ضروسًا، إضافة إلى الحروب العدوانية التي تجري بهدف الاستيلاء على أراضي الغير واستعمار شعوبها ونهب ممتلكاتها وخيراتها، مثلما أن هناك الحروب العادلة وهي الحروب التي تخوضها الشعوب من أجل التحررمن الاستعمار أو الظلم أو الاضطهاد بمختلف صوره.

ولكل حرب إستراتيجيتها وخططها الخاصة بها، ولكن مايهمنا في هذا المجال هو الإشارة إلى الحرب التي تعتمد على المؤامرات، وهو الأمر الذي يجعلنا نتطرق إلى فكرة الإستراتيجيات بشيء من الاختصار الشديد.

فما هي خلاصة فكرة الإستراتيجية وما هي أنواعها بصفة عامة ؟

مفهوم الإستراتيجية: (٣٣)

يعتبر مفهوم الإستراتيجية من المفاهيم الكثيرة التداول في العلوم المختلفة، إذ يستخدم هذا المصطلح استخداماً واسعاً للدلالة على أكثر من معنى حسب المجال المستخدم فيه سواء في الشؤون العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية دون تعريف واضح لمعناه أو تحديد دقيق لأبعاده .

وواقع الأمر أن علم الإستراتيجية يمكن أن يعني فن قيادة القوات والذي يتقنه بمهارة بعض القادة العسكريين، فعلى سبيل المثال نجد براعة الإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر في القيادة دون أن يدونوا خبراتهم عنه ثم أصبح هذا الفن يمارس في العصور الوسطى بواسطة الأمير أو الحاكم الذي كان يجمع بين السلطة السياسية وقيادة الجيش وكذلك الإمكانيات الاقتصادية اللازمة للإنفاق على هذا الجيش، ومن ثم نشأت العلاقة بين السياسة والإستراتيجية

أي أن هذا الفن تمثل في استخدام أفضل الوسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية لتحقيق الأهداف الموضوعة بواسطة الأمير أو الحاكم الذي كان يجمع في يده جميع السلطات والإمكانيات، ومع تجارب الحروب والاقتتال والعدوان أمكن تحديد ثلاثة أنواع من الإستراتيجيات يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- الإستراتيجية المباشرة:

وهي الحرب السافرة التي تعد فيها الجيوش المتحاربة عدتها لمواجهة بعضها البعض بشكل مباشر، ثم دخولها في الحرب بمفردها أو بمساعدة أطراف أخرى ويطلق على تلك الحرب الحرب التقليدية نسبة إلى نوع الأسلحة المستخدمة فيها وقد يتم اللجوء إلى الإستراتيجية المباشرة لشن حرب وقائية حتى تتمكن الدولة المهاجمة من مفاجأة عدوها بحجة أن الحرب أصبحت حتمية من جانب العدو ولمنعه من الحصول على مكاسب قد يحصل عليها إذا بدأ هو بالحرب، وأن أي تأجيل في بدئه قد يعرض الدولة إلى مخاطر أكبر.

وقد تطبق الإستراتيجية المباشرة بالغزو المباشر لدولة أخرى بهدف تحقيق مصالح إستراتيجية تراها الدولة المعتدية مستخدمة القوة العسكرية ضرورية بالنسبة لها رغم أن ذلك يعتبر إجراء مخالفا لكافة المواثيق والقوانين الدولية وفي هذه الحالة، يبدأ الغزو باحتلال الأراضي واغتصاب الأموال والثروات، وقد ينتج عنه في النهاية استعمار للدولة التي تم غزوها بشكل جزئي أو كلي .

وقد تكون الإستراتيجية المباشرة في صورة تدخل دول كبرى أو مجموعة دول أو منظمة دولية مثل: التدخل السوفييتي لقلب أنظمة الحكم فى دول الخليج العربية واليمن الشمالى عن طريق اليمن الجنوبي حينما أمد اليمن الجنوبى بالسلاح والعتاد ليطيح بالحكم فى اليمن الشمالي وإتخاذ اليمن الجنوبي

كقاعدة لتصدير الثورة إلى الدول الخليجية بتبنيه لجبهة تحرير ظفار ضد عمان وجبهة تحرير البحرين ضد البحرين ، ويعتبر الصراع العربي الإسرائيلي من الحروب التقليدية. وقد استحدث نوع آخر من الحروب وهي الحرب بالوكالة . ومثال ذلك لجوء الاتحاد السوفييتي السابق إلى الإستعانة بالقوات الكوبية وإنهاء هذه الحروب لصالح أثيوبيا . في الحرب التي دارت في الأوجادين (الصومال الغربي) بين القوات الصومالية والأثيوبية .

٢- إستراتيجية أسلحة الدمار الشامل (الحرب القذرة) : [٣٤]

وهي ثاني أنواع الاستراتيجيات وتعني الحرب النووية أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل التي تستخدم فيها القدرات النووية المتاحة، وهذا النوع من الحرب يغلب على نشوبها حالة اللجوء إلى الخيار المقيت، ولذلك فإن الدول عادةً ما تتجنب استخدام أسلحة الدمار الشامل خوفاً من الفناء المتبادل لها ولغيرها من دول الجوار ولكنها إذا قررت ذلك فإنها في لحظة مغامرة مميتة تبادر إلى أخذ زمام السبق فتبدأ باستعمال أسلحة الدمار الشامل، أو شن ضربتها النووية أولاً لشل قدرة الدولة المعادية حتى لا تلجأ إلى الرد بأسلحة مماثلة .

ويدخل ضمن أسلحة الدمار الشامل الأسلحة الكيماوية، والبيولوجية وتتمثل في استخدام مواد كيميائية أو بكتيرية أو فطرية أو سمومها لتعجيز العدو أو إلحاق الضرر به أو الحد من قدراته وإنقاص مواده الغذائية والحيوانية والنباتية بما يمكن أن يؤثرعلى قراراته السياسية، وتشن مثل هذه الحروب بنثر مواد كيميائية سامة أو بيولوجية على الأعداء بالوسائل المختلفة كالرش بالطائرات مع اتخاذ الإجراءات الوقائية المضادة لهذه العملية الهجومية .

وقد يشتمل شن الحرب الكيميائية على استعمال أنواع من المواد كالدخان للإخفاء، أو الأسلحة المطلقة للهب "قاذفات اللهب"، وقنابل النابالم، وفي أحيان

كثيرة يكون الهجوم بالأسلحة البيولوجية أو الكيميائية على هيئة سحب من الرذاذ الذي يظل يحمله الهواء لفترة طويلة.

ومن أهم مميزات الأسلحة الكيميائية بالنسبة للمعتدي هي أنها تحدث أضراراً محدودة في المباني والمنشآت حتى يمكن الاستفادة منها بعد احتلالها لأنها تستهدف الأفراد دون المنشآت، إذ أن وقوع هجوم كيميائي على مطار ما يجعل من الممكن إعادته للعمل بصورة طبيعية في غضون أيام قليلة، كما أنها قد لا تستخدم لتحقق أهدافا عسكرية معينة، بل ربما إنها تستخدم لحماية الأمن فقد يكون المطلوب هو اخراج ارهابيين من مخابئهم أو مجرد إحداث نوع من الاختناق للأفراد كما في حالات مكافحة الشغب.

الا أن كلا الإستراتيجيتين لهما مخاطرهما الجمة التي لا يحمد عقباها، ولذلك فإننا نجد أنه من النادر جداً أن تتجه الدول إلى إفناء بعضها البعض عن طريق اللجوء إلى أسلحة الدمار الشامل، كما أننا لا نجد حروباً تقليدية مباشرة تقع كل يوم بين الدول، ولذلك فقد اتجهت الدول إلى نوع ثالث من الاستراتيجيات أطلق عليها اسم الإستراتيجية غير المباشرة أو إستراتيجية الفتن والمؤامرات.

٣-الإستراتيجية غير المباشرة (إستراتيجية الفتن والمؤامرات) : (٣٥)

تتضمن الإستراتيجية غير المباشرة عدة مفاهيم يختلف بعضها عن البعض الآخر، إلا أن بينها جامعاً مشتركاً هو عدم الهجوم على العدو هجوماً مباشراً صريحاً بل يكون الهجوم فيها خفياً غير مباشر.

والمفهوم الأول لهذه الإستراتيجية يتبلور في عدم دخول القوات النظامية المدافعة عن أرضها في حرب مباشرة مع المعتدي وذلك لأن العدو الذي يراد

محاربته يتمتع بقوة أعظم من قوته من حيث الجنود والعتاد والتنظيم، أو من حيث الحلفاء الذين يساندونه ويدعمونه، لذلك يلجأ الطرف المعتدى عليه، وغالبًا ما يكون هو الأضعف، إلى الإستراتيجية غير المباشرة فيقوم بتشكيل جماعات صغيرة لمهاجمة العدو أو نصب كمائن بغية إحداث الفوضى وإيقاع التدمير في صفوفه ثم تنسحب هذه الجماعات المتسللة إلى معاقلها بعد قيامها بمهامها .

ومن أمثلة هذه الإستراتيجية : ما قام به نحو ٣٠ ألف جزائري في معاركهم مع الجيش الفرنسي المسلح بأحدث الأسلحة والذي كان يتألف من ٣٠٠ ألف جندي، فضلاً عن حرب العصابات التي كانت تدور في فيتنام بين قوات "فيت كونج" والقوات الأمريكية المزودة بأحدث أنواع الأسلحة، بالاشتراك مع قوات فيتنام الجنوبية.

والمفهوم الثاني للإستراتيجية غير المباشرة[٣٦] هو فتح جبهة ثانوية في إقليم العدو أو في إقليم دولة تابعة له بعيداً عن جبهة القتال الأساسية.فنابليون عندما دخل مصر عام ١٧٩٨م ليهاجم فيها الإمبراطورية البريطانية كان يتبع الإستراتيجية غير المباشرة، وكذلك الحلفاء في الحرب العالمية الثانية عندما فتحوا جبهة ثانوية في جنوب إفريقيا كانوا يتبعون بذلك الإستراتيجية غير المباشرة، فضلاً عن ما يحدث حالياً فى العراق وأفغانستان وبعض الدول الأخرى، وقد ازدادت أهمية الإستراتيجية غير المباشرة في السنوات الأخيرة لعدة اعتبارات سياسية وعسكرية منها :

١ - أن جميع الدول التي كانت خاضعة للاستعمار قد اتبعت هذه الإستراتيجية للوصول إلى الحرية لأن المستعمر غالبًا مايكون أقوى وأرقى تنظيماً وأوفر عتاداً، فلا سبيل للأضعف إلا اتباع هذه الاستراتيجيات ليحقق طموحاته.

٢ - أن الإستراتيجية الذرية جعلت الحرب النووية مستبعدة لأنها إن وقعت أدت إلى دمار شامل لجميع المتنازعين ولا فرق في ذلك بين منتصر ومهزوم، كما أن الحرب التقليدية أصبحت وخيمة العواقب لأنها يمكن أن تنقلب إلى حرب ذرية مع الوقت، أو تستخدم فيها بعض الأسلحة الفتاكة التي تستخدم فيها أنواع مخففة من أسلحة الدمار الشامل .

٣ - أن المعسكر الشيوعي السابق أعلن دعوته في التخلي عن الحرب التقليدية على نحو ما كان ينادي به" لينين" ليسلك منهج الإستراتيجية غير المباشرة في مساندة حروب التحرير ليضعف بذلك الغرب، وقد أعلن الرئيس "خروشوف" صراحة عن ذلك من خلال الخطبة التي القاها عام ١٩٦١م وقال فيها بأن من أهداف الاتحاد السوفييتي مساندة حروب التحرر القومي، والحروب غير التقليدية داخل العالم الحر، وفي المقابل ظهرت مدرسة عسكرية جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية تدعو إلى حرب العصابات المضادة لمقاومة الإستراتيجية السوفيتية أو الصينية غير المباشرة (٣٧) .

ويستفيد من يلجأ إلى هذه الإستراتيجية في محاربة خصمه عن طريق إشغاله بحروب أخرى وتأييد الطرف المعتدى عليه و تقوية روحه المعنوية وإظهار شرعية قضيته وذلك لكسب تأييد المجتمع الدولي، في مقابل النيل من خصمه وخصم الطرف المعتدى عليه وتعريته أمام المجتمع الدولي، وبهذه الطريقة يتمكن العدو من إضعاف عدوه بطريقة غير مباشرة دون أن يدخل في حرب مباشرة معه، كما يستفيد المقاومون من هذا الدعم المادي والمعنوي لأنهما يؤديان إلى مزيد من التفاف الشعب حولهم وبالتالي تكسبهم تأييداً لمواصلة الكفاح والحصول على المساعدة والمساندة والدعم من الدول الصديقة، فقوات المقاومة في الجزائر حينما كانت تحارب المستعمر الفرنسي حاربته وفقاً لأصول الإستراتيجية غير المباشرة وحصلت على الدعم من معظم الدول العربية

ويوغسلافيا وغيرها، و كذلك اعتمدت حروب التحرير في أنجولا وموزمبيق على معسكرات قائمة بالخارج في الكونغو وتنزانيا .

وفي المقابل من ذلك فإن الدول التي تتعرض للهجوم بواسطة الإستراتيجية غير المباشرة عادة ما تلجأ إلى ما تسمى الإستراتيجية المضادة للإستراتيجية غير المباشرة حتى تستطيع مواجهة عناصر خصومها، ومحاولة شق صفوف الفدائيين وعزلهم عن الشعب وإنشاء قوات مناهضة لهم من ذويهم، فعندما دخلت القوات الألمانية روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية استغلت القوميات المتعددة التي يتكون منها الاتحاد السوفييتي لتكوين قوات تحارب في صفوف القوات الألمانية ضد الجيش الروسي، وكذلك تقوم بتزويد الجيوش النظامية بأسلحة خفيفة وتنظيمها في مجموعات صغيرة ليتاح لها مواجهة قوات العدو إلى جانب استعمال طائرات مروحية في نقل الجنود النظاميين كما حدث في حرب الجزائر وحرب فيتنام.

و المفهوم الثالث للإستراتيجية غير المباشرة[٣٨] وهوما يهمنا في هذا البحث فهو إثارة الفتن والمؤامرات داخل إقليم العدو لتأليب طائفة ضد طائفة أخرى، أو بثورة مذهب على مذهب آخر، أو تحريك أقلية لرفع سقف تطلعاتها إلى حد غير معقول والمطالبة بامتيازات مبالغ فيها من الأغلبية، أو تشجيع الأكثرية على غمط حقوق الأقلية حتى تصاب الأخيرة بإحباط شديد يدفعها للانسلاخ عن المجتمع وتمني الشر له أو مساعدة عدوه، أو نحو ذلك مما يؤدي إلى إضعاف العدو من الداخل .

ولا شك أن الفتن والمؤامرات والنزاعات لا تحدث بالصدفة وأن جزءاً هاماً من الإستراتيجية الكبرى للدول المتآمرة يتمثل في زرع الفتن بغرض تحقيق بعض المكاسب الهامة، وبقول آخر فإن افتعال الفتن والمؤامرات أصبح إلى حد ما بديلاً عن الحرب على اعتبار أن المؤامرات وسيلة رئيسية تسعى من خلالها الدول المتآمرة لتحقيق أهدافها .

ونصل من ذلك إلى أن الإستراتيجية غير المباشرة بوسائلها المتعددة كانت الأسلوب المفضل للدول منذ القدم كي تحقق مبتغاها دون الدخول في حروب مكلفة بالنسبة للدول المتآمرة بما يمثله ذلك لها من تبعات اقتصادية وبشرية واجتماعية وسياسية لا حصر لها في حين أن المؤامرات الخفية تحقق لها كل ذلك، بل ربما أكثر منه دون أن تتحمل كل تلك التبعات، وقد تنجح إستراتيجيتها غير المباشرة فترى غريمها يتهاوى من الضربات المتلاحقة دون وجود دليل ملموس يدل على أنها متورطة فيما يحدث له من نكبات ومصائب . وهى لا تكشف عن وجهها إلا حين اقتطاف ثمرة مؤامراتها، وهى لا تدخل في الصراع المباشر أياً كان نوعه إلا بعد نفاذ كل حيلها أو اتخاذ غريمها كل السبل لوقاية نفسه من فخاخ المؤامرات الخفية، أو تعرضها لهجوم كرد فعل على اكتشاف ضلوعها في المؤامرة .والتآمر الخفي لا يستوجب أن تكون الدول المتورطة فيه دول قوية، إذ أن الدول الضعيفة نسبياً والتي تفتقر إلى العتاد المتطور والإمكانيات المادية الهائلة والجيش الجرار تستطيع أن تلعب لعبتها وتنقض على عدوها بوسائل متعددة، فالحرب غير المباشرة لعبة تلعبها الدول القوية والضعيفة على حد سواء .

وتعتبر إثارة النعرات العرقية والمذهبية والطائفية وغيرها من أمضى الوسائل التي تمهد الأجواء للمستعمر عن طريق الاستعانة به، أو انتهازه الفرصة المناسبة للانقضاض على الدولة المستهدفة في اللحظة المناسبة بعد تقسيم الدولة إلى كيانات متفرقة مذهبياً أو اجتماعيًا أو جغرافياً إن أمكن ذلك.

وتخطيء المجتمعات المتجانسة إذا اعتقدت أنها بمنأىً عن مهالك المؤامرات، إذ أنها عادة ما تكون كامنة بانتظار من يخطط لإيذاء ذلك المجتمع المستقر ولإيقاظ الفتنة بوسائل مختلفة مثل زرع أعوان له يحرضون كل طرف ضد الطرف الآخر مستخدمين الحوادث التاريخية التي يمكن أن يكون قد مر بها

المجتمع المستهدف أو تعميق الشعور بالظلم عند فئة معينة في المجتمع وإثارة الريبة عند الطرف الآخر، ويسعى من يلجأ إلى الإستراتيجية غير المباشرة إلى جعل المجتمع مهيأً للاقتتال والثأر مع مرور الوقت،أو بإشعاله شرارة الفتنة في الوقت الذي يراه مناسباً لخدمة أهدافه. وتختلف المجتمعات في استجابتها لتلك المؤامرات وفقاً لدرجة وعيها وتجانسها واندماجها اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً فالمجتمع المتنافر يكون أكثر استعداداً لإيذاء نفسه، أما المجتمع الواعي فإنه يبتكر أساليب متعددة للتنازل الواقعي المتبادل الذي يخدم الجميع حتى وإن كانت مكوناته غير متجانسة.

التنافس الاستعماري والمؤامرات (٣٩)

تعتبر المؤامرة الاستعمارية من أشد المؤامرات ضراوة ودماراً وآثاراً على الشعوب والدول، وللمؤامرة الاستعمارية أسباب ودوافع مختلفة تبعاً للدوافع والظروف والمصالح كالتنافس على أماكن إستراتيجية بين دولتين مما يدفعهما للدخول في سلسلة من المؤامرات ضد بعضهما البعض، أو أن التآمر قد يستهدف احتلال أرض واغتصاب أموال شعب ونهب ثروات أمم، ومنذ قديم الزمن إلى يومنا هذا والدول والشعوب تكرر نفس قصص مكر المتآمر وآلام الضحية .

أما الدول المستأسدة على غيرها فقد طورت مع مرور الأيام مفهومها لأسلوب تنفيذ مؤامراتها، مما مكنها من التغلغل في البناء الاجتماعي والسياسي والإقتصادي والتعليمي والتربوي والديني والثقافي وغير ذلك من المجالات للدول المتآمر عليها حتى أصبحت معظم حروبها تدار من خلف المكاتب وليس في ساحات القتال .

وقد برزت المنافسة الاستعمارية في تاريخنا المعاصر بين أكبر كتلتين بعد الحرب العالمية الثانية، تقود الكتلة الأولى الولايات المتحدة الأمريكية وتقود الثانية الاتحاد السوفييتي، وقد حرص قطبا الكتلتين اللذان ورثا معظم أراضي الاستعمار القديم على الإمساك بزمام الأمور حتى لا تخرج أي دولة عن طوعهما، وهكذا تحول الحليفان اللذان واجها ألمانيا النازية إلى عدوين لدودين يريد كل منهما التوسع على حساب الطرف الآخر وهما في ذات الوقت لا يريدان الدخول في حروب مباشرة بينهما قد تؤدي في نهاية المطاف إلى اندلاع حرب نووية مما جعلهما يتجهان إلى استخدام الحرب غير المباشرة بشتى أنواعها بزرع الفتن والمؤامرات ضد بعضهما البعض وهو ما كان يعرف بالحرب الباردة .

وخرجت الدول الأوروبية التي كانت تمثل الاستعمار القديم من الحرب العالمية الثانية منهكة اقتصاديا و بناها التحتية مدمرة بنسب متفاوتة مما اضطرها إلى الاعتماد على القطبين المتنافسين اللذين ورثا تحالفاتهما القديمة وما تضمنه ذلك من استعمار لدول أخرى واحتاجت تلك الدول للأموال من أجل الحصول على التكنولوجيا المتطورة والاحتياجات الغذائية والضرورية مما يعني ربط نظمها الاقتصادية إما بالنظام الرأسمالي الحر وعلى رأسه أمريكا، أو بالنظام الاشتراكي الشيوعي وعلى رأسه الاتحاد السوفييتي ، وكانت القروض والمساعدات خاضعة لرقابة شديدة حتى يتم التأكد من مصداقية الولاء لهذا الطرف أو ذاك والحصول على الخامات النادرة وتوظيف أموالهما في الدول المنضوية في تحالف مع أي منهما أو في الدول التي كانت خاضعة للاستعمار القديم، وهو مايهمنا في هذا المجال، إذ أن الدول التي كانت خاضعة للاستعمار القديم والحديث هي أكثر الدول تأثراً بالإستراتيجية غير المباشرة "استراتيجية الفتن والمؤامرات"

ونخلص من ذلك إلى أن الدول الإستعمارية تلجأ إلى أشكال متعددة من المؤامرات لإحكام سيطرتها على غيرها من الدول كالتي سنحاول عرضها في الفقرات التالية:

المؤامرة السياسية :[٤٠]

يعد هذا النوع من أخطر أنواع المؤامرات حيث يكون الاستهداف موجهًا إلى ركيزة الدولة الأساسية وأهم عناصر قوتها المتمثلة في الإطاحة بنظام الحكم القائم، ومن هنا فإن المؤامرة السياسية تحديداً وإن كانت تتشابه مع غيرها من المؤامرات الاقتصادية والاجتماعية والدينية من حيث الهدف لكنها أقوى من حيث التأثير على النظام مباشرة فهي تستهدف أهم نقاط الاختلاف في أية دولة مثل الأقليات والعرقيات الدينية والعناصر السياسية الحزبية والعسكرية، ولا توجد دولة في العالم تخلو من هذه المشاكل، لذا تقوم الأطراف المتآمرة بإثارتها ثم تعود لتتدخل تحت شعارات مختلفة مثل "حقوق الإنسان" أوالمساهمة في البحث عن حلول للمشكلة التي كانت هي أصلاً المسبب في تأجيجها، وقد أطيح بأنظمة كثيرة خاصة في العالم الثالث عبر استغلال تلك المسألة والدفع بها إلى إحداث فتنة طائفية يتم التخطيط لها ودعمها من الخارج، وانعكاسات هذه الفتنة خطيرة على أمن وقدرات الدولة ومقوماتها، والمقصود هنا النزاعات المصطنعة التي يفتعلها المتآمر وليس المظالم الحقيقية التي تحتاج إلى تدخل لإنصاف المظلوم. ويسعى المخططون للمؤامرات السياسية على استغلال عناصر شتى في الدولة المستهدفة أهمها مشكلة الاقليات وهى بؤرة الصراعات الداخلية التي تستغلها الدول المتآمرة لإثارة القلاقل وقت الحاجة، وتستخدمها في ممارسة الضغوط عليها من الخارج، إضافة إلى إحداث تنازع وتناصر داخلي وتحريض

١

هذه الأقليات على المطالبة بالاستقلال وإنشاء حكم ذاتي لها استناداً على هويتها العرقية والثقافية والحفاظ على كيانها السياسي ومن أمثلة تلك المؤامرات:-

المؤامرة السياسية على كمبوديا: [٤١]

تقع كمبوديا في شبه جزيرة الهند الصينية وتحيط بها فيتنام وتايلاند ولاوس، أما طول شواطئها على خليج سيام فيبلغ ٤٣٣ كلم.

وفي عام ١٦٥٨ طلب ملك كمبوديا مساعدة ملك فيتنام لمواجهة ضغوطات السياميين (تايلاند) ومنافسيه على العرش من الداخل، وما هي إلا مدة قصيرة حتى تزايد تدخل الفيتناميين شيئاً فشيئاً حتى سيطروا على مملكة كمبوديا وسعوا إلى فتنمة الخمير بجعلهم يتخلون عن تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم ومعتقداتهم، والخمير كلمة تطلق على سكان كمبوديا القدماء .

وفي عام ١٨٤٥ تآمر الفيتناميون بالتعاون مع السياميين (تايلاند) لوضع كمبوديا تحت سيطرتهم بالمناصفة بحيث يعين الطرفان ملوك الخمير بالتناوب لنهب ثرواتها الزراعية والاقتصادية من خلال الثروة السمكية الهائلة بها وغير ذلك.

ولأن الملك يعرف بنية السياميين والفيتناميين حاول إبعاد مطامحهم عن البلاد بطلبه سراً من فرنسا أن تتدخل عام ١٨٥٣ لحماية بلاده حيث أن كثافة كمبوديا السكانية ضعيفة مماجعلها محل أطماع الدول المجاورة ، وفي ١٨٦٣م وضعت مملكة كمبوديا تحت الحماية الفرنسية.

ولم تيأس فيتنام وتايلاند فأتتا عليها بحرب متواصلة لمدة أكثر من ٢٠ عاماً، ولقي أكثر من مليون شخص مصرعهم خلال ست سنوات فقط

(١٩٧٥-١٩٨٠) وتهجير الآلاف منهم وبدأت حملة تطهير واسعة من الجيوب المعادية للنظام.

تولى رئاسة كمبوديا "بول بوت" رئيس الحزب الشيوعي الكمبودي، إلا إن انقسام الخمير الحمر على أنفسهم جعل دعم الدول المجاورة لكل فصيل موالي لهم يضرب كمبوديا في العمق، فنال بعضهم دعم الصين وحصل البعض الآخر على دعم فيتنام وتايلاند، وكانت المحصلة النهائية لمؤامرات الدول المجاورة عودة البلاد إلى الاضطرابات التي نجمت عن الأزمات الاقتصادية وارتفاع الأسعار والمشاكل الاجتماعية والسياسية واتساع الفوارق بين الطبقات وعودة القمع وبروز عوامل التآكل والتفكك في النظام الجديد .

المؤامرة البريطانية في السودان وفى جواره الجغرافي: (٤٢)

بات التنافس الدولي على بعض الدول التي تتمتع بمواقع إستراتيجية أو ثروات طبيعية أمراً طبيعياً إلا أنه اتسع نطاقه في العشر سنوات الأخيرة من القرن العشرين حيث تميزت تلك الفترة وما تلاها من بدايات القرن الواحد والعشرين بظهور نزاعات وصراعات داخل تلك الدول المستهدفة لم تكن أسبابها مثارة من قبل. والهدف الحقيقي وراء ذلك هو حماية مصالح الدول المتنافسة لاستغلال ثروات هذه البلاد والحصول على مواد الخام الأولية، وقد رأينا التزاحم الدولي على جنوب السودان دولاً ومنظمات، كما رأينا الإثارة الدولية التي لم يسبق لها مثيل والسعي لتأجيج الحرب الطاحنة بين الشمال والجنوب والدعوة لإنصاف المسيحيين،وهي المشكلة التي برزت فجأة رغم وجودها منذ الاستعمار البريطاني وسيطرته على مصر والسودان، إلا أن ظهور النفط فجأة وبكميات كبيرة دفع إلى تصارع المصالح بين هذه الدول لفوز كل منها بالنصيب الأوفر من هذه الثروات والدفع بقوة لإحداث مصالحة كان

الخاسر الأكبر فيها دون شك حكومة الشمال رغم التظاهرة الدولية بإنهاء الصراع بينهما.

لقد نجح الاستعمار البريطاني في نهاية الأمر من النيل من وحدة المجتمع السوداني حينما أحدث هوة بين التركيبة ذات الطابع العربي في الشمال والتركيبة الجنوبية ذات الطابع الأفريقي وذلك من خلال عزل الشمال كلياً عن الجنوب فيما يسمى بالمناطق المغلقة، وقد حدثت في ذلك العهد المؤامرة الكبرى عندما قام الاستعمار بترحيل جماعي بحيث تم نقل العناصر ذات الانتماء الإسلامي من الجنوب إلى الشمال والعكس، وقد تم التنفيذ بكل دقة وذلك بمحو كل المظاهرالتي توحي بالثقافة العربية الإسلامية في الجنوب بداية من الاسم إلى الملبس.

ولعل المسألة الأكثر حساسية في تنفيذ المستعمر لمؤامراته هي عملية السودنة في تولي المناصب قبل الخروج الكامل مما أدى إلى الفتن والتوتر بين الشمال والجنوب بعد عملية غسل الأدمغة من قبل المبشرين، فحدثت أخطاء كثيرة في توزيع الوظائف، ولم يعط للجنوب حقه كاملاً من حيث التوزيع العادل بحيث تم تضخيم الفوارق في نمط العيش وترك الجنوب في وضع اقتصادي متدهور لكي يشعر سكانه أن أهل الشمال استأثروا بالخيرات فيطالبون بالانفصال وتفتيت الدولة إلى كيانات صغيرة، وقد انفجرت أول هذه الفتنة عام ١٩٥٥حينما أعطي المتآمر الإشارة الخضراء للمبشرين المسيحيين للقيام بحملات تنصيرية في صفوف الوثنيين وبعض المسلمين الفقراء ونشأت نخبة جنوبية ذات ثقافة غربية تتحدث باللغة الإنجليزية وتحمل في نفسها أحقاداً دفينة على كل ما يتعلق بما هو عربي ومسلم .

وفي عام ١٩٧١م [٤٣] رفض الشيوعيون مبدأ المشاركة في السلطة مع جعفر النميري فبدأ في فك التحالف معهم ولكنه سرعان ما بدأ في إعادة هذا التحالف من خلال موقفه تجاه الثورة في أريتريا فانقلب على القوى الأصلية

والوطنية في إريتريا (القوى الإسلامية) التي كانت قد فجرت الثورة ورفعت لواءها عام ١٩٥٩

بدأ جعفر النميري في التآمر على منجستو الشيوعي بالهجوم عليه وعلى القوى التي تقف وراءه، ولكنه في نفس الوقت مد يده للشيوعيين الإريتريين الممثلين في الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا بزعامة سياسي أفورقي ورمضان محمد نور وساهم في شد شوكة هذه الجماعة.

لقد كانت المؤامرة في دعم هذا التنظيم الشيوعي النصراني المدعوم من الغرب من خلال النظام السوداني الذي سعى إلى تقليم أظافر القوى الوطنية الإسلامية الإريترية، ومن ثم الدخول في اتفاقات تؤدي إلى قيام إمبراطورية ماركسية تضم أثيوبيا وإريتريا والصومال وذلك بعد سقوط نظام "محمد سياد بري". والمتعمق في تلك المؤامرة لابد أن يضع نصب عينيه بعض الحقائق مثل موقع الصومال الاستراتيجي وغناها بالثروات الطبيعية والزراعية والتكوين القبلي وانعدام السلطة والقانون، وهي العوامل التي ساعدت في دفع البلاد إلى الانهيار.

وقد لفتت الكثير من الدول العربية والإسلامية انتباه النميري للخطأ السياسي والظلم الواقع على القوى الوطنية الإريترية، لكنه أصر على التعاون مع العناصر الصليبية الماركسية.

والصراع بين القوى الكبرى في أفريقيا ليس حديث عهد فعلى سبيل المثال برز الصراع الأوروبي في الصومال منذ قرنين من الزمان وتحديداً في القرن التاسع عشر حيث تنافست القوى الكبرى حينئذ "بريطانيا، إيطاليا" على ذلك البلد ونتج عن هذا التنافس تقسيم الصومال إلى خمسة أجزاء، وبعد الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة وقعت الصومال ضحية الصراع بين المعسكر الشرقي بقيادة "الاتحاد السوفييتي" سابقًا والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وكسب المعسكر الشرقي هذا الصراع حيث ارتمت

الصومال في أحضان المعسكر الشيوعي إلى حين قيام الحرب بين إثيوبيا والصومال عام ١٩٧٧ والتي نتج عنها سماح الرئيس الصومالي "سياد بري" للولايات المتحدة الأمريكية بإقامة قواعد جوية في مدينة "بربرا" الإستراتيجية وقد أدى التواجد الأمريكي في الصومال إلى ظهور تحالفين رئيسيين أحدهما بقيادة علي مهدي والثاني بقيادة فرح عيديد وكل من هذين التحالفين يضمان عدة فصائل ظلت تتصارع سنوات طويلة وهو ما نجحت المؤامرة الغربية التي كانت تحاك ضد الصومال والدول المجاورة والرامية إلى تقسيمه، الأمر الذي حدث فعلا ثم تبعه التدخل الدولي المباشر واستنزاف ثرواته، وكان لإسرائيل الدور الأكبر في هذه التدخلات بمباركة أوروبية وتحقيق حلمها التي ظلت تنتظره لسنوات وهو كيفية الدخول إلى البحر الأحمر حيث تمددت فعلا في الصومال وإريتريا وإثيوبيا أيضاً وأقامت هناك مشروعات اقتصادية ضخمة في هذه الدول لتمكين تواجدها وإصباغ صفة الشرعية، ودعمتها في هذا التواجد تحديداً الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

مؤامرات التبعية [٤٤] :

من أهداف التآمر العمل على إيجاد نظام سياسي في الدول الصغيرة يدين بالولاء لإحدى القوى الدولية لتحقيق أهدافها وطموحاتها، ولهذا تسعى الدول الكبرى بالإيحاء إلى الدول الصغيرة خاصة في العالم الثالث بأنها مهددة دائماً من إحدى دول الجوار خاصة مع وجود خلفيات تاريخية تبرر مثل هذا الخوف،حتى وإن أدى الأمر إلى نشوب حرب كما حدث بين العراق وإيران وكيف ساندت الدول الكبرى كلا الفريقين وأمدته بالأسلحة لاستمرار هذه الحرب ولجعل كل منهما بحاجة لهذه الدول بصفة دائمة لتزويدها بالأسلحة من ناحية ولدعم سياساتها في المحافل الدولية من جهة أخرى، وبالمقابل تتدافع

الدول الصغرى إلى الارتماء في أحضان الدول الكبرى لتستمد منها القوة ولتحظى بالدعم السياسي وغيره للحفاظ على كيانها السياسي والمجتمعي.

وهناك أيضاً تبعية أيديولوجية أو سياسية أو دينية أو مذهبية تستخدمها الدول وقت الحاجة وتسعى من خلالها لإثارة فتنة داخلية في دولة مستهدفة من أجل خلق نوع من الفرز الأيديولوجي والدعم المتنوع لأتباعها حتى يتمكنوا من السيطرة على مقدرات الأمور في تلك الدولة نيابة عنها، أو القيام بدور مساند لإستراتيجيتها.

ومن ثم أصبحت بعض الدول مجبورة على هذه التبعية لأنها لاتستطيع مقاومة الضغوط الهائلة التي تمارس عليها، ولكن هذه التبعية أدت في الكثير من دول العالم الثالث وخاصة العربية منها إلى ظهور وانتشار الجماعات المتطرفة التي تحاول تغيير أنظمة الحكم بالقوة بحجة أن تلك الأنظمة موالية للإستعمار، ومن المفارقات الغريبة أن توفر بعض الدول المتآمرة ملاذاً آمناً لبعض أفراد تلك الجماعات المتطرفة متذرعة بحجج قانونية وانسانية، ولكن ما أن بدأت تلك الدول تكتوي بشظايا بعض العمليات حتى بدأت تضيق الخناق حتى على من هم أبرياء من تلك العمليات، وفي أحيان أخرى يتم اكتشاف أن تلك الجماعات المتطرفة مدعومة من جهات خارجية وأنها تجد في ذلك الدعم فرصة لتنفيذ مؤامراتها الخاصة بها.

الحروب الأهليـة :

يخيم شبح الحرب الأهلية بالعالم العربي والإسلامي من كل صوب قديمًا وحديثاً وأصبح الاستهداف من الداخل أقوى من الخارج بشكل سافر وغامض، وما يحدث في بعض الدول العربية هو أقرب مثال على ذلك، وسوف يأتي

اليوم الذي يكتشف الكل فيه أن هناك من كان يؤجج نيران تلك الفتن والمذابح ويزج بشباب الأمة العربية في أتون تلك النيران المشتعلة، وأن هناك دعماً لهؤلاء من مخابرات أجنبية لتدمير أوطانهم والقضاء على عروبتهم وهويتهم الإسلامية الصحيحة.

ومن المؤامرات السياسية كذلك الحرب الإهلية في ليبيريا(٤٥) التي تقع في غرب أفريقيا وعاصمتها مونروفيا، وقد تنكر المجتمع الدولي بكل منظماته ودوله المؤثرة لما آلت إليه الأوضاع المأساوية في ليبيريا نتيجة الحرب الأهلية المدمرة والتي امتدت إلى أكثر من ٧ سنوات بين الفصائل المتناحرة والتي تمخض عنها بروز خمس فصائل رئيسية وإثارة النعرات القبلية، ويربط ليبيريا بالولايات المتحدة الأمريكية تاريخ عريق تمتد جذوره إلى أمد بعيد، وذلك بعد أن عاد بعض العبيد الأفريقيين المحررين من أمريكا ليؤسسوا دولة لهم في أرض ليبيريا في عام ١٨٤٧م . ويعزى اندلاع الحرب الأهلية إلى قيام مجلس الدولة بخلع روزفلت جونسون من منصبه الوزاري واعتقاله بتهمة القتل ويومها تأجج الصراع بين مختلف الفصائل التي تبادلت التراشق بنيران المدافع وأصبحت ليبيريا مسرحاً للسلب والنهب.

ولا شك أن هذه الحرب تضرب بجذورها إلى تاريخ بداية إنشاء الدولة الليبيرية عام ١٨٢٢م عند عودة الأرقاء العائدين من أمريكا حيث ظلت طبقة الأمريكيين الليبراليين تحتكر السلطة برغم أنها لا تمثل إلا ٥٪ من عدد السكان وحرمت باقي السكان من ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية التي كفلها الدستور لهم، وشكلت هذه الطبقة حزب المحافظين الحقيقيين الذي يمسك بزمام الحكم حتى عام ١٩٨٠م وذلك بعد تولي الرئيس صمويل دو السلطة على إثر انقلاب عسكري دموي أطاح بالرئيس الأسبق (وليم تولبرت) ثم جاء بأفراد

قبيلته "krahan" إلى أعلى مناصب الدولة وعندئذ بدأ فتيل الأزمة الحقيقية يشتعل والتي أدت إلى تفجير الوضع وقامت عدة محاولات فاشلة للإطاحة بصمويل دو، إلا أن إحدى محاولاتهم نجحت بزعامة تشارلز تايلور الذي قام بدوره باستهداف الفئات الأخرى التي كان يكن لها كراهية شديدة ومنها المسلمين الذين تضرروا من فترة حكمه واستهدف مصالحهم الاقتصادية، فضلاً عن سماحه بانتشار الحركات التبشيرية بمؤامرة من الغرب وبدعم داخلي منه، فأخذت هذه الحركات تكثف نشاطاتها التنصيرية داخل ملاجيء المسلمين الذين يشكلون ٣٥٪ من السكان، وذلك استجابة لدعوة من مجلس الكنائس العالمي الذي قام بتمويل المشروع من ميزانيته لصالح ليبيريا.

وفي أنجولا[٤٦] كان للمؤامرات السياسية موعد آخر حيث وقعت ثلاثة فصائل الاتفاق الخاص باستقلالها عن البرتغال في شهر يناير عام ١٩٧٤م، ونتيجة لتآمر الدول الداعمة للفصائل الثلاث اندلعت أعمال عنف في لواندا وتحولت الحرب من حرب للتحرير إلى حرب أهلية، فالفصيل الماركسي MPLA كان يتلقى الدعم من الاتحاد السوفييتي وكوبا ويسيطر هذا الفصيل لأسباب قبلية على لواندا.

والفصيل الثاني FNLA كانت تدعمه زائير، أما الفصيل الثالث الذي انشق عن FNLA فقد كانت تدعمه الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا (يونيتا)، وقد ضم مرتزقة أوروبيين، وهكذا نتيجة لاختلاف المصالح والأهداف والأطماع في ثروات أنجولا سادت فوضى وأعمال عنف خطط لها كل متآمر للنيل من هذا البلد الصغير.

المؤامرات الاقتصادية:

وهي مؤامرات لاتأخذ طابع الاقتتال العسكري ولكنها تستهدف اقتصاد الدول بشكل عام من خلال ضرب حركتها الاقتصادية لإجبارها على تقديم تنازلات للدول المتآمرة، وأحيانا تضطر معها إلى تخفيض قيمة عملتها النقدية مما يؤثر على كل مواردها واحتياطياتها ومركزها المالي على الصعيد المحلي والدولي، وهو الأمر الذي ينعكس على المواطن مباشرة لارتفاع قيمة الواردات وأسعار مختلف السلع الاستهلاكية اليومية.

وإذا رجعنا إلى التاريخ قليلا وفي الصين نجد أن ذلك النوع من المؤامرات ليس حديث عهد بل يعود إلى عام ١٨٣٩حيث جرت ما أطلق عليها "حرب الأفيون" (٤٧) حينما قام التجار الأوربيون وقتها وتحديدًا خلال الفترة من (١٨٣٩-١٨٤٢م) بترويج الأفيون في الصحف لعمل توازن تجاري، فأصدرت الصين قوانين تحظر على المواطنين الاتجار بهذه السلعة مما دفع الأوربيين إلى تهريبها إلى الصين، وكانت أسباب نشوب هذه الحرب محاولة الإنجليز إرغام الصين على استيراد الأفيون من الهند الصينية وإكراهها على وضع حد للقيود المفروضة على التجارة الخارجية لديها، وبانتهاء هذه الحرب تخلت الصين عن هونج كونج لبريطانيا ومن ثم فتحت بعد ذلك عدة موانئ في وجه التجارة البريطانية وهي (كانتون، شنغهاي، فوتشا، ننجيو) وذلك نظير معاهدة "نانجينج" المجحفة بحق الصين، وكان ذلك عام ١٨٤٢م، حيث برز وقتها مصطلح جديد في المؤامرة التجارية هو" حرب الأفيون " وهذه المؤامرة أو الحرب الاقتصادية استهدفت أشكالا شتى وأسلحة كان أبرزها المقاطعة التجارية أو الحصار الاقتصادي، أو فرض الحظر على تصدير المواد الإستراتيجية أو غير ذلك من التدابير التي قد تتخذها دولة أو عدة دول ضد أخرى.

ويدخل ضمن ذلك الإطار الحصار الذي فرضه نابليون بونابرت على بريطانيا عام ١٨٠٦ م حيث فرض حظراً على التجارة بين بريطانيا وموانئ أوروبا عامة، ويستخلص من ذلك أن سلاح المقاطعة أو فرض الحظر تم استخدامه منذ قرون مضت وليس في عصرنا الحالي كما نراه حالياً، إلا أنه اتخذ حالياً إطاراً جديداً عبر منظمات الأمم المتحدة، حيث يمكن فرض المقاطعة الاقتصادية إما عن طريق مجلس الأمن بعد الموافقة عليه من معظم أعضائه، أو من قبل الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة في حالة عدم حدوث إجماع دولي على ذلك الحظر لكونها القطب الأوحد لأيامنا هذه .

ولا بد لنا من التطرق إلى مثال للدلالة على الحرب غير المباشرة وهو ماحدث في غينيا(٤٨) التي تقع غرب أفريقيا و تحيط بها السنغال ومالي وغينيا بيساو وكوت ديفوار (ساحل العاج) وليبيريا وسيراليون وعاصمتها كوناكري وتمتلك غينيا ثروة منجمية ضخمة مكونة من البوكسيت وهو صخر يستخرج منه الالمونيوم تحتل به غينيا المرتبة الثانية عالمياً في إنتاجه.

وقد كانت غينيا خاضعة للاحتلال الفرنسي تبعا للاتفاقية المعتمدة بين فرنسا وبريطانيا والتي ضمت بموجبها غينيا إلى الحكومة العامة لأفريقيا الغربية الفرنسية عام ١٨٩٥م ولعبت فرنسا في سياساتها الاستعمارية على مقولة (فرق تسد) عندما استغلت التناقضات الإثنية بين الغينيين لتؤمن فرقتهم وتحافظ على تواجدها داخل البلاد إلا أن ذلك لم يمتد طويلاً حتى ظهور الحزب الديمقراطي الغيني بزعامة أحمد سيكوتوري الذي أثار في المجتمع الغيني الشعور القومي والانتماء الأفريقي ونبذ الاستعمار ومن ثم استطاع أن يجمع بين مختلف الإثنيات والقبائل تحت آلية واحدة وهي المطالبة بالاستقلال التام وعدم القبول بأية اتفاقيات أو معاهدات للبقاء داخل المجموعة الفرنسية، وعاشت غينيا في ظل حكم الرئيس أحمد سيكوتوري تحت نظام الحزب الواحد

الذي تأسس في ١٤ مايو ١٩٤٧ م (الحزب الديمقراطي الغيني) عقب استقلالها عن فرنسا.

وخططت فرنسا للنيل من نمو الشعور الوطني عندما شعرت بمحاولات الانفصال والاستقلال عن سيادتها مخلفة وراءها حالات من الفوضى العارمة وعدم الاستقرار الأمني والاقتصادي لإذلال زعيمها أحمد سيكوتوري ومن والاه من القبائل، فبدأت بمعاقبة غينيا اقتصاديا وذلك بقطع المعونات والمساعدات المالية ثم أمرت جميع الكوادر التقنية والإدارية بمغادرة غينيا مما أدى إلى إغلاق الشركات التجارية الأجنبية.

وفي مواجهة لهذه المؤامرة الاقتصادية لزعزعة الاستقرار داخل البلاد أمر أحمد سيكوتوري بتأميم بعض القطاعات المصرفية وأصدر النقد الوطني واتهم فرنسا والقوى المناهضة لحكمه الثوري بالتآمر على البلاد لزيادة نسبة البطالة وعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي والأمني في أوساط المجتمع الغيني بإحداث الاضطرابات والمظاهرات والفوضى.

ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه حاول أحمد سيكوتوري إقامة علاقات مع الاتحاد السوفييتي لحماية البلاد من المصاعب الاقتصادية والخروج من الأزمة الراهنة، إلا إن السوفييت لم يختلفوا كثيراً عن فرنسا في نهب ثروات البلد وغلاء ثمن المساعدات الفنية والتقنية فأخذت العلاقات الغينية السوفيتية تشهد تدهورًا لافتاً للنظر،فقامت غينيا بطرد السفير السوفييتي "دانييل سولود" من كوناكري عام ١٩٦١ ولم ينج المثقفون الماركسيون من الاتهام بتخريب الاقتصاد، وتصاعدت الأزمات الداخلية نتيجة وصول يد المخابرات الفرنسية إليها من خلال تدبير المؤامرات للتفرقة العنصرية بين قبائل "المالينكي" التي ينتمي إليها الزعيم سيكوتوري وقبائل "البول"، ولم يجد أحمد سيكوتوري إزاء هذه المؤامرات والاستراتيجيات غير المباشرة التي لعبتها فرنسا والغرب سبيلاً

ومفراً للخروج من هذه الأزمات إلا بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا عام ١٩٧٥م، وفتحت الأبواب أمام سيكوتوري من جديد لينتهج سياسة الانفتاح على الغرب الذي وضع خططاً امتدت نحو عشرين عاماً ليعود من جديد إلى بلاد غنية بثرواتها الطبيعية، وفي عام ١٩٧٨ أيضاً وقعت غينيا اتفاقية "لومي" مع دول السوق الأوروبية بعد أن تدهورت العلاقات مع الاتحاد السوفييتي إثر رفض سيكوتوري في مايو ١٩٧٨ تجديد منح الاتحاد السوفييتي بعض التسهيلات العسكرية، ثم أعقبه بإعلان قال فيه : "إن المساعدات الفنية السوفيتية لغينيا غالية الثمن وغير فعالة".

وكان أحمد سيكوتوري قد مهد لهذا الانعطاف في سياسته في خطابه المشهود أمام الحزب الحاكم بأنه "يجب على الحزب الآن أن يتعاون مع الدول الرأسمالية والاشتراكية بهدف تعزيز حرية شعبنا ورفع مستوى المعيشة لتحقيق الرفاهية في جميع مناحي الحياة " وهكذا فشلت محاولة من محاولات مواجهة إحدى خطط مواجهة الإستراتيجية غير المباشرة، إستراتيجية المؤامرات.

ومن الجدير بالذكر أن للاستعمار باعاً طويلاً في التآمر على من يرفض القبول به فإذا ما أحس بشدة وطأة الثورة ضده لجأ إلى الخطط التي كان أعدها من قبل كي ترتبط به الدول الرافضة له حتى بعد خروج قواتها، ومن بين تلك الأساليب تعمد إحداث عجز في رؤوس الأموال في الدولة المستهدفة مما يؤدي بها إلى الاستدانة وحجب الاقتصاديين المؤهلين الذين يمكنهم التفكير في الاستقلال عن الدول المستعمرة، وكذلك تعمد ارتباط الصادرات والسلع الخام والغلال بالدولة المتآمرة والتي غالباً ما تكون إحدى الدول الصناعية الكبرى في الوقت الذي تستورد فيه تلك الدولة المستهدفة الأجهزة والتكنولوجيا المتقدمة من تلك الدول الصناعية، وقد تكونت شركات وتكتلات صناعية وتجارية في أكثر

من دولة استعمارية للتحكم بالاقتصاد الوطني أو جزء كبير منه بعد الاستقلال والتي تعمل على السيطرة على مرافق الاستثمار في الدول حديثة الاستقلال، وعادة ما يكون ذلك الاستقلال سياسياً يرضي مطامح الوطنيين ولكنه يخفي في ثناياه استعماراً اقتصادياً دونما حاجة إلى جيش أو معدات عسكرية، أما الهبات والقروض والمساعدات وغيرها من المعونات الإنسانية فهي غالباً ما تتم بمقابل وشروط مستترة حفاظاً على الشعور الوطني، ولكن صناع القرار يدركون أنها شروط صعبة لا فكاك منها فيرضون بالسيطرة الاستثمارية عوضاً عن السيطرة الاستعمارية، إضافة إلى أن الاستعمار الاستثماري يحسن اختيار وكلائه المحليين والمتنفذين الموجودين في الأحزاب الحاكمة في تلك الدول المغلوبة على أمرها فيعقد معها صفقات تكون منفعتها لأشخاص محدودين وللشركات الواجهة التي تعبر عن تكتل اقتصادي يمثل دولة استعمارية أو أكثر.(٤٩)

وهناك نوع من التآمر الاقتصادي من الدول الكبرى ضد دول العالم الثالث خاصة الفقيرة منها والتي تخضع لعمليات ابتزاز مستمرة ومن بينها تلك التي تمارسها الدول المتقدمة على الدول الأقل تقدماً لخصخصة الكثير من قطاعاتها الخدمية والإنتاجية بذريعة التشجيع على الاستثمار والاقتصاد الحر لدرجة أن الأمر وصل في كثير من هذه الدول إلى منع القروض عنها وفرض شروط قاسية من خلال البنك الدولي، حتى باتت المؤسسات المالية الغربية تسيطر على مجريات الإنتاج بل وتوجيه الاقتصاد وفقاً لمصالحها، وآخر الأمر المطالبة بتخصيص البنوك وبيعها وكذلك شركات التأمين للسيطرة على المؤسسات المالية والتغلغل في شئونها، ومن ثم توجيهها وفقاً لسياساتهم.

وماهو مهم في الأمر أن الكثير من الدول العربية لا تحتمل تلك المخاطرة فهي غير محسوبة العواقب ومن ثم فالضمانات غير ملزمة وغالباً لا يتم الوفاء

بالوعود، وهناك مفارقات عديدة مماثلة في الكثير من دول العالم تخلى فيها البنك الدولي عن كل الضمانات التي كان قد قدمها، وتتمثل الخطورة في معرفة من الذي سيشتري تلك البنوك ؟ وإذا عرجنا على الأمر من زاوية أخرى نتساءل عن الضمانات لودائع المواطنين ؟ وما هو مستقبل هذه الودائع أمام مخاطر بتلك الجسامة ؟ وهل المقصود من ذلك مصلحة المواطن فعلاً أم وراء ذلك مؤامرة خفية؟

ولا تقتصر المؤامرات الاقتصادية على طرفين أحدهما قوي والآخر ضعيف، بل إنها قد تنشب بين الأقوياء أنفسهم، حيث تأخذ تلك المؤامرات وتحديدًا التجارية منها بعداً خاصا بين الدول الصناعية الكبرى تكون الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى الوحيدة الطرفً الرئيسي فيها، فمرة تكون بين أمريكا والصين و مرة أخرى بينها وبين اليابان ومرة ثالثة بينها وبين أوروبا ومن أمثلة ذلك المؤامرة على بنما(٥٠) والتي كان قطباها فرنسا وأمريكا حينما تم التفكير بشق قناة تصل المحيط الأطلسي بالمحيط الهادي عبر شق قناة في بنما، وبدلاً من رحلة تقطع فيها السفن ١٦ ألف كلم عبر رأس هورن، سيصبح بمقدور السفن قطع المسافة في ٧٢ كلم عبر تلك القناة .

وحينما كانت بنما تابعة لسيطرة كولومبيا حصلت شركة فرنسية بإدارة فرديناند ديليسبس على تصريح كولومبي لبناء قناة عبر برزخ بنما، الأمر الذي أغضب أمريكا لأن القناة لم تشق تحت إشرافها. وبدعم أمريكي وبالتحديد في ٣ نوفمبر عام ١٩٠٣م تآمر عناصر من الثوار البنميين فخططوا للإطاحة بالحكم الكولومبي، وعمت الثورة في البلاد وثار البنميون بمساعدة أمريكا وتوصلوا إلى إعلان استقلال بنما، وبعد ثلاثة أيام من ذلك اعترفت الولايات المتحدة بجمهورية بنما ثم وقعت أمريكا مع بنما بعد ذلك بأقل من أسبوعين معاهدة "هاي بينوفاريلا" التي تعطي الولايات المتحدة حق الإشراف على القناة من

مدينة كولون إلى مدينة بنما، والتزمت أمريكا بتقديم تعويضات قدرها ١٠ ملايين دولار لبنما.

وقد حدث نفس التنافس في شهر مارس عام ١٩٩٩م فيما أطلق عليه وقتها "حرب الموز"[٥١] عندما بدأت أمريكا بفرض رسوم جمركية على عدد من السلع الأوربية بهدف الانتقام من المنتجين الأوربيين بحرمانهم من مبالغ مساوية لتلك التي خسرتها شركات الموز من دول حوض الكاريبي ودول أمريكا اللاتينية حيث كان للشركات الأمريكية العملاقة مصالح كبرى مع هذه الدول قدرت خسائرها بنحو ٥٢٠ مليون دولار سنويا.

وهكذا يشهد الميدان الاقتصادي حرباً تأخذ شكل تهديدات بعقوبات تجارية، أو التآمر على مصالح الدول الأخرى حيث يتم الصراع بين أقطاب الاقتصاد الدولي على كسب مواقع جديدة على خريطة الاقتصاد العالمي والاستحواذ على الأسواق وضمها إلى نفوذها وفرض سيطرتها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة .

ويذهب البعض إلى أن تحالف الدول الصناعية روج لمؤامرة كبرى وهي نظام العولمة، ومضمونه إقامة تكتلات اقتصادية وإقامة منطقة تجارة حرة بين الدول الصناعية الغربية في مواجهة كيانات دولية صغيرة هشة لا تملك إلا الذوبان في تلك التكتلات وهو تهديد مباشر لاقتصادها لارتباطه المباشر بالمتغيرات الاقتصادية الدولية ومعدلات ارتفاع الأسعار العالمية التي تخطت كل إمكانيات الدول الفقيرة وقضت على إمكانية حدوث أى تنمية فيها أو أي حلم قد يفضي إلى ميلاد قوة صناعية مستقبلاً.فالدول الصغيرة و النامية هي الخاسر الأكبر في خضم هذه الصراعات من خلال نظام "العولمة" وتطبيقه على أسواقها والغاء قوانين الحماية، أي دخولها عالم المنافسة الحرة غير المتكافئة، الأمر الذي يدفع بهذه الدول إلى أن تجد نفسها في ساحة للصراع على

مجالات النفوذ والهيمنة من جانب الدول الكبرى دون أن تكون مستعدة لذلك، مما يمكن الدول الصناعية من السيطرة على مقدرات هذه الدول وعلى جعلها سوقا لتصريف منتجاتها وحرمانها من استغلال هذه الثروات والإستفادة منها استفادة مثلى، اضافة إلى المحاولات الدائمة لإغراق هذه الدول بالديون الخارجية وهيمنة هذه الدول على التجارة الدولية ومصادر التكنولوجيا نتيجة انخفاض أسعار المواد الخام مقارنة بأسعار السلع المصنعة مما أوجد فجوة اقتصادية كبيرة، إلى جانب تصاعد الإنفاق العسكري وهي المؤامرة الكبرى لدفع الدول إلى صراعات تستنزف رؤوس الأموال والمدخرات المالية للدولة وبالتالي حدوث قلاقل داخلية تدفع إلى هروب رؤوس الأموال والاستثمارات واستقرارها في دول الغرب عامة، ومما يؤسف له أن الدول النامية لاتنتبه إلى هذه الأبعاد الخطرة ولا تتعظ من التجارب السابقة فتندفع دون قياس دقيق للقوة أو تخطيط محكم فتزج بنفسها في حروب لا طائل وراءها إلا المزيد من التبعية والدمار.

ومن السلع المهمة التي تعتبر محل تنافس كبيرًا ومجالاً خصباً للمؤامرات سلعة النفط ومن أمثلة ذلك أنه : بعد انهيار الاتحاد السوفييتي[٥٢] وسطوع نجم دول القوقاز (أرمينيا – جورجيا – أذربيجان) بعد الاستقلال بدأ التنافس والتآمر من قبل كل من أمريكا والاتحاد السوفييتي على المنطقة للسيطرة على السوق النفطية الغنية في هذه المنطقة وكذلك على خط مواصلاته لإحكام نقله إلى أحد البحار المفتوحة (البحر الأسود – البحر الأبيض – الخليج العربي)

وقد بدأ التخطيط بتنفيذ كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سياسة إغراق المنطقة في حروب عرقية ودينية كل حسب مصالحه وذلك لمنع أي تقارب بين الأطراف.

فعندما علمت روسيا أن اتفاقا على وشك التوقيع مع شركات أمريكية على استخراج النفط وتصديره قامت مباشرة بتحريك الأقليتين الأبخازية والاوسيتية في جورجيا للمطالبة بالاستقلال وفي جانب آخر استطاعت سراً تقديم مساعدات عسكرية لجورجيا لقمع نفس الأقليتين، الأمر الذي مكنها من إقامة وجود عسكري دائم على أراضيها.

أما الرد الأمريكي فقد جاء بدعم الحركات الانفصالية في الشيشان وداغستان وأوسيتيا الشمالية، وهكذا قام كل طرف بحبك مؤامرة للرد على مؤامرة الطرف الآخر للسيطرة على منابع النفط وتأمين الطريق الآمن لها بالوصول إلى السوق والتحكم في أسعار البترول لأن من يهيمن على نفط بحر قزوين يسيطر على أهم المرافق الحياتية لشريان العالم الاقتصادي ويفرض شروطه ومواقفه السياسية حتى وإن تم ذلك بواسطة إثارة النزاعات بين أطراف غير مدركة لما يدور خلف الكواليس .

ومثال آخر لتلك المؤامرات المؤامرة على نفط فنزويلا[٥٢] التي حدثت بين الأعوام (١٩٠٠-١٩٤٥م) فقد كان النفط ينتج بشكل ثانوي أثناء استخراج الأسفلت قبل أن تحصل الشركة الأمريكية (نيويورك أند برمودز كومباني) على امتياز استخراج النفط واستثماره، وبفضل نفوذ الشركة الاقتصادي تحولت إلى قوة فاعلة في الحقل السياسي والاقتصادي الفنزويلي وخططت للتآمر على الرئيس الفنزويلي "كاسترو" بعد أن استطاع إلغاء امتيازات الشركة لعلمه أنها تتآمر على أمن الدولة وتهيمن على ثرواتها حتى غير النفطية.

وبدعم من الشركة الأمريكية وبوكالة الاستخبارات (C.I.A) استطاع الجنرال "غوميز" الإطاحة بالرئيس كاسترو عام ١٩٠٨م، ومن ثم أخذ يعطي الكثير من الصلاحيات والامتيازات للشركات الأجنبية للتنقيب عن المعادن عامة والنفط خاصة وبالأخص الشركة الأمريكية التي تمتعت بامتيازات كثيرة

وجديدة في (١٩١٨-١٩٢٢م) ولم تأت سنة ١٩٢٥ م حتى أصبحت مساحات شاسعة ملكاً لعشرين شركة أمريكية فضلاً عن خمس شركات بريطانية، ومنذ ذلك الحين أصبحت فنزويلا مرتعاً للشركات الاحتكارية الأجنبية التي نهبت ثرواتها خاصة النفط واستسلمت البلاد لكابوس الفقر والذل والمرض والجهل نتيجة لهذه المؤامرة.

ونستخلص مما سبق أن المؤامرة الاقتصادية في عمومياتها تسعى إلى تحقيق مصالح طرف على حساب طرف آخر سواء على مستوى الشركات أو الدول، لكن الأخطر من ذلك هوما يوجه بالأساس إلى الدول الفقيرة لجعلها تدور في حلقة الديون الخارجية التي تؤدي بالتالي إلى تدمير الاقتصاد الذي هو جوهر الأمن القومي في كل دول العالم.

الحواشي المرجعية

(١) أحمد بهجت. أنبياء الله. ط ٢٨ . القاهرة : دار الشروق، ٢٠٠١ . ص٣٦ .
(٢) عبد المنعم الحفني . موسوعة القرآن العظيم. ط,١ القاهرة : مكتبة مدبولي ٢٠٠٣ جـ١، ص٨٥٢ .
(٣) أحمد بهجت. مصدر سابق . ص٥٠ .
(٤) نفس المصدر . ص٦٤ .
(٥) نفس المصدر . ص٧١ .
(٦) نفس المصدر . ص٧٨ .
(٧) نفس المصدر . ص١٠٤ .
(٨) نفس المصدر . ص١٢١ .
(٩) عبد المنعم الحفني . مصدر سابق. جـ١ ص٨٨٠ .
(١٠) نفس المصدر . جـ١، ص٩٨٠ .
(١١) نفس المصدر . جـ١، ص ١١٠٧ .
(١٢) أحمد بهجت. مصدر سابق . ص ٣٢٤، ٣٥٤ .
(١٣) صحيفة الأهرام المصرية. ١٠ سبتمبر ٢٠٠٥ . ص١٧ .
(١٤) صحيفة الرأي العام الكويتية. ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣ ع ١٣٢٨٠ . ص٣٥ .
(١٥) نفس المصدر. ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣ . ص٣٣ .
(١٦) صحيفة السياسة الكويتية. ١٠ نوفمبر ٢٠٠٤ . ع ١٢٩٢٥ . ص٣٢ .
(١٧) مجموعة من المؤلفين. الموسوعة السياسية التاريخية. بيروت : دار الحسام، ٢٠٠٢، ص١٤٨.
(١٨) ذياب البداينة. الأمن وحرب المعلومات. عمان: دار الشروق، ٢٠٠٢ . ص ٢٥٦ .
(١٩) نفس المصدر . ص٢٥٧ .
(٢٠) يينبرغ،آدم .، مارك باري. وكر الجاسوسية:جاسوسية الشركات الأمريكية.تعريب فواز زعرور.الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٣ . ص ٢١، ٣٢ .
(٢١) نفس المصدر . ص٨٧ .
(٢٢) www.BBC.Arabic.com.uk
(٢٣) أحمد حسن صبحي . المسلمون والمسيحيون تحت الحصار إليهودي. القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢ . ص٣٥ .
(٢٤) صحيفة الأهرام المصرية . ٧ مارس ٢٠٠٦ . ع ٤٣٥٥٥ .
(٢٥) صحيفة السياسة الكويتية . ١٠ نوفمبر ٢٠٠٥ . ع ١٣٢٨٨ . ص ١٦ .
(٢٦) صحيفة الشاهد الكويتية . ٣ يونيو ٢٠٠٦ . ع ٩٦ . ص ٢٦ .
(٢٧) صحيفة الأهرام المصرية . ١٣ أبريل ٢٠٠٦ . ع ٤٣٥٩٢ . ص ٢١ .

(٢٨) رياض نجيب الريس . رياح الجنوب : اليمن ودوره فى الجزيرة العربية١٩٩٠- ١٩٩٧ . ط٢ . بيروت : المؤلف، ٢٠٠٢ . ص٥٢ .
(٢٩) مجموعة من المؤلفين. الموسوعة السياسية التاريخية. ص٣٦٨ .
(٣٠) مجلة المجتمع. ١٠ ديسمبر ١٩٩٦ . ع ١٢٢٩ . ص٤٢ ، ع ٩١٨ . ص٢٤ .
(٣١) مسعود الخوند . الموسوعة التاريخية الجغرافية . بيروت : الشركة العالمية للموسوعات، ٢٠٠٢ . جـ٩ ، ص٨٩ .
(٣٢) بطرس غالي. الإستراتيجية والسياسة الدولية .القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧. ص ١١.
(٣٣) نفس المصدر . ص٣٤ .
(٣٤) نفس المصدر . ص٥٣ .
(٣٥) نفس المصدر . ص٦٢ .
(٣٦) نفس المصدر . ص٥٥ .
(٣٧) نفس المصدر . ص٥٤ .
(٣٨) صلاح سالم . حروب المنطقة العربية. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١ . ص٧٠ .
(٣٩) نفس المصدر . ص٧١ .
(٤٠) مسعود الخوند . مصدر سابق. جـ١٥، ص١٣١ .
(٤١) مجلة المجتمع . ٢٨ يناير ١٩٩٧ . ع ١٢٣٦ . ص٢٨ .
(٤٢) نفس المصدر . ١٠ مايو ١٩٧٩ . ع ٤٤٣ . مج١٩ ، ص١٠ .
(٤٣) صلاح سالم . مصدر سابق. ص٧٤، الأهرام. ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٣ . ع٤٢٧٤٩ . ص١١ .
(٤٤) مجلة المجتمع . ٣١ أكتوبر١٩٩٥ . ع١١٧٣ . ص٤٠ .
(٤٥) نفس المصدر . ١٤ مايو١٩٩٦ . ع١١٩٩ . ص٣٦ .
(٤٦) مجموعة من المؤلفين. الموسوعة السياسية التاريخية. ص٣٤٦ .
(٤٧) الموسوعة العربية الميسرة . إشراف محمد شفيق غربال. بيروت: دار نهضة لبنان، ١٩٨٧ مج ١، ص ٦٩٦ .
(٤٨) مسعود الخوند . مصدر سابق . جـ١٣، ص١٦٩ .
(٤٩) تاريخ الحضارات العام. إشراف موريس كروزيه ؛ ترجمة يوسف سعد داغر، فريد م. داغر. بيروت: عويد للنشر ٢٠٠٣ . مج٧ ، ص٥٧٩ .
(٥٠) مسعود الخوند . مصدر سابق . جـ٥، ص٧٨ .
(٥١) مجلة شؤون الأوسط . أبريل١٩٩٩ . ع ٨٢ ، ص٧٩ .
(٥٢) صحيفة السياسة الكويتية . ٥ مايو ٢٠٠٦ . ع ١٣٤٦٤ . ص٢٢ .
(٥٣) مسعود الخوند. مصدر سابق . جـ١٤ . ص٢٩٥ .

الفصل الثانى

- مفهوم المؤامرة
- مراحل التآمر وزرع الفتن
- أدوات التآمر

www.books4all.net

مفهوم المؤامرة

عادة مايبدأ الباحث بتعريف الموضوع الذي يرغب بالتطرق إليه عند بحثه في جوانب هذا الموضوع ليمهد ذهن القارئ لما يريد طرحه من أفكار، إلا إنني أستميح القارئ الكريم العذر لأنني لم أتبع هذا المنهج، وذلك لأنني رأيت أن التطرق لمثل هذا الموضوع دون إيراد أمثلة عن الآراء المتعارضة لمفهوم المؤامرة ودون ذكر قصص تتعلق بالتاريخ عن أنواع المؤامرات سيحرم القارئ الكريم من تهيئة ضرورية للإلمام بموضوع المؤامرة .

ويمكن الاجتهاد في تعريف المؤامرة بفكرة تطرح للبحث والنقاش وهي أن البعض قد يعتقد أن مفهوم المؤامرة خاص بالإنسان وحده كحيوان مفكر أو ناطق كما تصفه بعض التعريفات الفلسفية، ولكن الأمر يتعداه إلى الحيوان غير المفكر وغير الناطق، ولعلنا نلاحظ سلوك الحيوانات حينما تقوم بشكل فردي أو كمجموعة للإيقاع بفريستها وكيفية استخدامها لأساليب مختلفة تلجأ إليها بشكل فردي أوجمعي تتفق عليها وتوزع الأدوار فيما بينها حتى تطبق على ضحيتها فلا يفلت من براثنها إلا من أسعفه قدره منها ليعيش يومًا آخر يحاول أن يدرأ فيه خطر أعدائه . بل إن المرء يكاد يعتقد أن المؤامرات عند الحيوانات أو الإفلات منها عبارة عن أسلوب الحياة الرئيسي الذي تعرفه هذه الحيوانات فهي تختلف عن بني البشر بأنها لا تعرف أسلوب تجييش بعضها لتقف صفًا واحدًا في وجه جيش آخر من أعدائها من الحيوانات، ولكنها تجيد التآمر في مواجهة الضحايا والمنافسين، وحتى نحن بني البشر لم نتبصر في أنفسنا ولم

نفكر في يوم من الأيام ونحن نبحث في مفهوم المؤامرة ونتعمق في شتى جوانبه أنه في تلك اللحظات التي نفكر فيها بهذا الأمر يوجد في داخل أجسادنا مؤامرات تحاك ضدنا وتنفذها فيروسات تخترقنا وتلحق الضرر بنا وتتطفل علينا وأن حربًا ضروساً تخوضها خلايا أخرى مدافعة عنا للقضاء على أولئك الدخلاء وأن بعض تلك الفيروسات وغيرها تتخفى أحياناً وتسلك سلوكاً في أحيان أخرى تستطيع بواسطته خداع تلك الخلايا المدافعة عن أجسادنا من الداخل مما يمكنها من البقاء حية تقتات على ما نأكل أو نشرب.

ولعل ما يفرق بني البشر عن غيرهم من الكائنات هو أن مؤامرات تلك الكائنات مردها إلى الغريزة، وخاصة غريزة البقاء كأفراد وكنوع، أما نحن فنتآمر ليس من أجل البقاء فحسب ولكن من أجل دوافع ثانوية أثقلنا بها عقلنا ووجداننا وثقافتنا السياسية والاجتماعية لتزداد بها قائمة الأعداء وأنواع المؤامرات ووسائل تنفيذها.

فالمؤامرة جزء من التركيبة الإنسانية التي لا تخلو حقبة تاريخية منها وكل مؤامرة في التاريخ لها أهدافها ودوافعها وهناك مؤيدون لها يدافعون عنها ويؤمنون بأفكارها كما أن هناك منكرين لوجودها ويعارضون من يتبنى أطروحاتها، والمؤامرات كثيرة ولكن بعضها يحظى باهتمام عامة الناس والمؤرخين والمحللين والبعض الآخر لايكاد يذكر أو يلفت الانتباه .

ويمكن القول بأن **المؤامرة بالمعنى الجماعي هي:** المشاورة أي التشاور بين مجموعة من الأفراد أو الجماعات الذين يجمعهم هدف واحد واتفاق بين طرف أو أكثر لإيذاء طرف آخر، والتشاور هنا يعني أنهم عقدوا العزم على القيام بذلك الفعل وتدارسوا الكيفية التي يمكن من خلالها تنفيذ ذلك الإيذاء. وقد ورد ذكر المؤامرة في القرآن الكريم حيث وردت صفة التآمر نصاً في سورة القصص حينما جاء مؤمن من آل فرعون إلى سيدنا موسى يحذره بأن مؤامرة

تحـاك في الخفـاء لقتله مصداقًا لقوله تعـالى ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ القصص : ٢٠

أما **المؤامرة بالمعنى الفردى فـهي** : عملية التخطيط لأهداف واضحة تم تحديدها بدقة متناهية لإيذاء خصم أو كل من يقف ضد مصالح المتآمر وذلك باختراقه عبر وسائل عدة يتم اختيارها لمعرفة مواطن الضعف لديه وتحديد الأسلحة والأدوات المناسبة لتحطيمه وإفقاده السيطرة على مايجري حوله وتفكيك روابطه مع الآخرين وقطع كل السبل التي قد تجعله قادراً على استعادة سيطرته مرة أخرى أو اكتشاف ما يدبر له في الخفاء .

وعلى وجه العموم يمكن القول بأن المؤامرة فعل معين مخالف للقانون يهدف إلى تحقيق أمر غير مشروع، وقد يكون هذا الأمرشخصياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو غير ذلك من الأمور؛ إذاً فالمؤامرة في مفهومها العام هي: التخطيط والعمل في الخفاء لإحداث تغيير يعاني معه الفرد أو الجماعة أو الدولة المستهدفة من مشكلات غامضة يصعب الوصول لأسبابها أو مسبباتها الموضوعية، وعادة ما تقوم بذلك جماعة في مواجهة خصم أو نظام أو أفكار مناهضة، وهي تنشأ عن قصد مسبق للقيام بعمل معين يتسم بعدم المشروعية لأن المشروعية تخرج الاتفاق من دائرة المحظور إلى الإباحة ليكون واحداً من الأعمال المتفق عليها، وهو مايعرف بالرضائية في القانون وغالباً ما يستلزم العمل المطلوب تنفيذه جماعة كبيرة خاصة إذا كان موضوع الاتفاق ذا صبغة عسكرية أو سياسية أومناقضة لسياسة الدولة وقوانينها الدستورية.

وقد يكون الاتفاق جنائياً كما هو وارد في القانون الجنائي الكويتي على سبيل المثال واشتراط ذلك القانون لوقوع جريمة المؤامرة أن يكون هناك فعل حقيقي، أما مجرد العزم دون الإقدام على ارتكاب أي جريمة فإن القانون لا يعاقب على ذلك لأن الفاعل أو المدبر للمؤامرة قد يعدل عن تنفيذ عزمه، ولأن

مخالجة فكره تعتبر مجرد نيات، وليس هناك عقوبة على النيات أو الأفكار الداخلية عامة ما لم يتم ترجمتها إلى عمل ملموس، كما أن المؤامرة يشترط لها قصد جنائي أي أن يكون الشخص عالما بحقيقة المؤامرة والا فلا يعاقب عليها، والتحريض على التآمر أو الحث على التخطيط للمؤامرة لا يعاقب عليه القانون ما لم يفض إلى نتيجة معينة إذ أن الأقوال والرغبات والنزوات السياسية لا ترقى إلى أن تكون أساساً لتهمة التحريض أو تسخر كأدلة ضد من يحرض على المؤامرة إذا لم تقترن بفعل مادي حقيقي يمكن البناء عليه كأساس للإدانة.

والمؤامرة تحاط دائماً بالسرية التامة ويصعب اكتشافها، و ينتمي المخططون لها إما إلى جهة داخلية (محلية) أو جهة خارجية (دولية) وكلا الجهتين يصعب معاقبة القائمين عليها لأسباب عدة منها مثلا : كون الدولة المتآمرة ذات قوة عسكرية هائلة أو ذات وزن سياسي كبير أو ذات علاقات مع جماعات إرهابية، فإنه لا يمكن معاقبتها على أي مؤامرة تكون ضالعة فيها لأن الإقدام على معاقبة أي دولة لا يكون إلا من خلال أحد أمرين أحدهما هو قطع العلاقات الدبلوماسية وثانيهما هو إعلان الحرب عليها، وكلا الأمرين يصعب تنفيذهما لما تتمتع به الدولة المتآمرة من نفوذ على الجماعات الإرهابية التى تُوجّهُهَا، أو لتمتعها بنفوذ سياسي ودولي قوي، والأمثلة على ذلك كثيرة .

أما إذا كانت المؤامرة صنيعة جهة ضعيفة فهى في الغالب الأعم تكون مدعومة أمنياً من دولة أخرى قوية تقف وراءها وتساندها وتسبغ عليها الغطاء الشرعي، كما هو الحال في حالة الانقلابات العسكرية التي قد تكون مدعومة من دولة أجنبية ذات نفوذ سياسي كبير.

وعندما تقوم دولة بالتآمر على دولة أخرى فإنها تستعمل كل وسائل العنف والإرهاب لتحقيق مآربها وتتخلى عن مبادئ الأخلاق وتسلك كل السبل لتحطيم وتدمير الدولة المستهدفة، فلا تتورع مثلا عن القيام بتدبير الانقلابات وإشعال

الثورات وزرع الفتن بأنواعها المختلفة الطائفية والسياسية والعرقية، وبث الفرقة بين مكونات المجتمع ومساعدة الأطراف المناوئة لها على تأجيج الصراعات والحروب الداخلية وتحريك خلاياها الإرهابية النائمة وإشعال استفزازات حدودية بينها وبين الدول المجاورة، مما يجعلها في حالة تأهب عسكري بشكل دائم استعدادًا لأي نزاع مسلح قد ينشب فجأة بينها وبين أعدائها، كما أنها تسعى إلى زعزعة استقرارها وتضييق الخناق عليها اقتصادياً وإحداث بلبلة في أسواقها واللجوء إلى التغلغل داخل مؤسسات الدولة الرسمية لتوجيهها من خلف الستار، والسعي إلى احتكار الأعمال التجارية الضخمة لصالحها والمضاربة في أسواقها المالية تمهيداً للسيطرة عليها بعد التحكم فيها اقتصادياً حتى يكون بإمكانها رفع أسعار المواد الأولية والقضاء على كل عوامل الإنتاج لحض العمال على الفوضى وبالتالي إضعافها نهائياً بعد السيطرة على البنوك والأرصدة وإضعاف عملتها كما حدث مع دول شرق آسيا فيما سمي بأزمة النمور الآسيوية، وكذلك الأرجنتين التي أشهرت إفلاسها فى وقت من الأوقات وعجزت البنوك المحلية عن رد الودائع المالية و لم تستطع الحكومة دفع حتى الرواتب للعاملين، الأمر الذي أدى إلى قيام المظاهرات وإحداث فوضى عارمة عمت كل أنحاء البلاد وشلت معها كل مرافقها، وقد حدثت نفس المحاولات مع مصر وإن لم تنجح المؤامرة بالصورة التي كان مخططاً لها حيث استطاعت الحكومة المصرية السيطرة مرة أخرى على بقاء عملتها بصورة حية واستعادت الحكومة جزءاً من التوازن بعد أن شهدت مضاربات شلت الأسواق المالية ودفعت الاقتصاد إلى التردي بصورة مخيفة واستطاعت استعادة السيطرة مرة أخرى على بقاء العملة بصورة حية بعد أن شهدت انهياراً لم تشهده مصر خلال تاريخها القديم والحديث، وكان المخططون لهذه المؤامرة يهدفون إلى إخضاع مصر لهيمنة صندوق النقد الدولي والمؤسسات الدولية المانحة وبالتالي

التحكم في منشآتها الاقتصادية وزعزعة استقرارها السياسي وتحجيم دورها في منظومة العمل العربية، والتاريخ المصري[1] يحدثنا عن مؤامرة كبرى دارت فصولها حينما أجبرت مصر على رهن قناة السويس لبريطانيا العظمى وقتها وفاءًا للديون التي تراكمت على الخديوي توفيق حاكم مصر حينئذ نتيجة لنزواته الشخصية ومغامراته وانسياقه وراء المخططات البريطانية التي كانت تهدف لتحقيق ذلك الهدف منذ زمن بعيد لإخضاع مصر لسيطرتها للأبد والقضاء على دور القوى الوطنية البازغة وقتئذ والمنادية بالجلاء البريطاني عن مصر، وقد حقق لهم الخديوي ذلك الهدف ونفذت تلك المؤامرة المدروسة جيداً والتي تم التخطيط لها منذ اشتعال ثورة سعد زغلول عام ١٩١٩ والتي شعرت بريطانيا وقتها بأنها مهددة بالجلاء عن مصر في أية لحظة، ولذلك عكفت أجهزة المخابرات على تدبير مبررات لاستمرار احتلالها لمصر ووجدت ضالتها في الخديوي توفيق بعد توليه حكم مصر.

مراحل التآمر وزرع الفتن

إن المؤامرة علم وفن يتم حياكتها وتنفيذها بواسطة أفراد اوجماعات وفقًا لحجم المؤامرة والهدف منها، ويتعرض الإنسان منذ طفولته إلى شيخوخته لنوع أو آخر من تلك المؤامرات، إما على المستوى الشخصي أو الاجتماعي أو كفرد من أفراد الشعب، بل إنه يتعرض لتلك المؤامرات قبل ولادته أو بعد وفاته فللمؤامرة منهجها وفنها وخطواتها المنهجية التي يمكن الإجتهاد في تصور بيئتها وخطواتها كما يلي:

١ - العدو المستهدف:

حينما يخلو الإنسان إلى نفسه فإن آلاف الأفكار تراوده في كل يوم وليلة، وحينما يخلد إلى النوم فإنها تلاحقه على هيئة أحلام ليكون هو مؤلفها والمشارك في رسم أحداثها، بل وبطلها في أحيان كثيرة، ومن بين تلك الأفكار ما يبرز على شكل مؤامرة ينفذها بنفسه أو يعرضها على غيره ليشاركه فيها، وقد يكون ذلك الشخص المتآمر فردًا عاديًا أو قائدًا لمجموعة دينية أو عرقية أو سياسية أو اقتصادية أو رئيس دولة أو جهة استخبارية وما إلى غير ذلك من الجهات الفردية أو الجماعية، ولكن العامل المشترك بين كل هؤلاء هو ذلك الكم الكبير من الحقد والكراهية والغدر والخيانة و الثأر والانتقام و المصالح الفردية والنزوات الشخصية التي اختزنها أولئك النفر في أنفسهم ضد غيرهم من الأفراد والجماعات الذين شاء حظهم العاثر أن يكونوا هدفا لمؤامرة تدبر ضدهم في الخفاء وهم عنها غافلون، بينما يعتبرهم المتآمر أو المتآمرون أعداء لهم بغض الطرف عن كونهم يستحقون كل هذا العداء أم لا، وما إذا كانوا أبرياء من التهم الموجهة إليهم أم يستحقون العقاب، فالعداوة تتواجد وتتوالد باختلاف العرق أوالدين أو المصالح بين الأفراد والجماعات والدول المختلفة والتنافس المحموم وغير الشريف على نهب ثروات الدول، ولكي تكون هناك مؤامرة لابد أن يكون محورها أكثر من طرف، أحدهما متآمر وآخر متآمر عليه وهو العدو المستهدف من وجهة نظر المتآمر، وغالباً ما يكون الطرف المستهدف غافلاً عن نوايا الطرف المتآمر إما لعدم توقعه ذلك، خاصة إذا كان المتآمر قريباً منه إن كانت المؤامرة على مستوى الأفراد، أو لأسباب ربما تكون شخصية بحتة أو عرقية إذا كان أحد أطرافها ينتمي إلى مجموعة معادية لمجموعته العرقية أو المذهبية أو السياسية التي ينتمي إليها، خاصة إذا كانت تلك الجماعة تضغط عليه ضغطا شديداً لتنفيذ مآربها، فيضطر تحت وطأة تلك الضغوط إلى تنفيذ أوامرها في الوقت الذي لا يخطر على بال تلك الضحية

المستهدفة حتى مثل هذا الافتراض.

ومن يتتبع قصة كليوباترة ويوليوس قيصر ومارك أنطونيو ومن حولهم يجد نفسه أمام فيض من المؤامرات بين زعماء يونانيين ورومانيين انتهت بموتهم إما غدراً كميتة قيصر أو انتحاراً بالسيف كما فعل مارك أنطونيو أو بالسم كما تجرعته كليوباترة وهى من المؤامرات التى كان يخطط لها بعناية ولا يتم اكتشاف مدبريها إلا فى لحظات الموت الأخيرة، إذ لم يتوقع يوليوس قيصر أن أقرب الناس إلى قلبه وأحبهم إليه يوجه إليه الطعنة الأخيرة ليقول له وهو يعانى من سكرات الموت " حتى أنت يا بروتس "

أما الدول فإنها تستبعد أن يتآمر ضدها حليف لها أو دولة توجد بينهما وشائج ود كثيرة، ولكن الطرف المتآمر وتحت ظروف سياسية معينة قد يكون طرفاً في مؤامرة لا يتوقع الطرف المستهدف منه القيام بها.

جمع المعلومات :[٢]

إن عملية جمع المعلومات عن العدو المستهدف وعن الظروف المحيطة به كافة هي الخطوة التالية التي يسعى لتحقيقها الطرف المتآمر. وتعتمد المعلومات المطلوبة على نوع المؤامرة التي يفكر بتنفيذها الطرف المتآمر، كما تختلف المعلومات المطلوبة من حالة إلى حالة أخرى، فإذا كانت المؤامرة تستهدف فرداً فإنها تدور حول حياته الشخصية والاجتماعية والسياسية ومحل إقامته ووظيفته وعمله والأماكن التي يرتادها، أما إذا كانت المؤامرة تستهدف مجموعة عرقية أو مذهبية أو سياسية فإن دائرة المعلومات المطلوبة تتسع لتشمل أكثر من طرف من أطراف المجموعة المستهدفة وأماكن تواجدها وعلاقاتها الداخلية والخارجية ووضعها المادي ومصادر تمويلها وشعائرها وطقوسها الدينية وأعرافها وتقاليدها.

وإذا كانت المعلومات المطلوبة تتعلق بشركة أو مؤسسة تجارية أو صناعية فإن المعلومات المطلوبة في هذه الحالة تبدأ من نقطة البحث عن متعاونين من داخل هذه المؤسسات ومحاولة اختراق أنظمتها الأمنية وأسرارها التكنولوجية.

أما إذا كانت المعلومات المطلوبة تتعلق بدولة معينة فإن مصادر المعلومات عنها يمكن استقاؤها من أكثر من جهة كالصحافة والإعلام والأفراد والسفارات والعملاء وحتى المواطنين المتعاطفين مع الدولة المتآمرة الذين لديهم استعداد لخيانة بلدهم لسبب أو لآخر بإقناعهم والتأثيرعليهم لتنفيذ المؤامرة في وقت لاحق، وإذا كان القائمون على حياكة المؤامرة يمثلون شعبة من شعب المؤامرات في دولة ما أو منظمة أو شركة فإنهم يسعون للحصول على معلومات تتسم بالوضوح بحيث تكون المعلومة سهلة الفهم ولا يشوبها أي لبس أو غموض كما يحرصون على التأكد من أن المعلومة دقيقة بحيث يتم الحصول عليها من مصادر موثوق بها وغير مضللة وأن تكون بياناتها الرقمية والوصفية متطابقة مع الواقع إذ أن أية معلومة خاطئة ستؤدي بالتالي إلى قرارات خاطئة في الإعداد والتنفيذ، ويحرص المتآمرون أيضًا على التركيز على نوعية المعلومة وملاءمتها لأغراضهم التي يسعون لتحقيقها، كما يحرصون كذلك على تحديث بياناتهم بصورة مستمرة ووصولها إليهم في الوقت المناسب، ثم يعمدون إلى مراجعتها وتبويبها وتصنيفها والمحافظة عليها بأوعية خاصة، ثم استرجاعها ومقارنتها بغيرها من المعلومات حتى يتبين لهم مدى مصداقيتها وخلوها من المعلومات المغلوطة أو المدسوسة ثم البحث عن معلومات تتعلق بخونة أو متعاونين محتملين للتعاون معهم حالياً أومستقبلاً، ويقوم المشرفون على جمع المعلومات بعد ذلك بتحويلها إلى القسم المختص بوضع خطة المؤامرة. ويقع على هذا القسم العبء الأكبر في رسم خطة المؤامرة والاتصال بأعلى المستويات المستفيدة من المؤامرة أو من يقوم مقامها بهدف رسم ملامحها الأولية وتكلفتها المالية وتسخير الأجهزة الأخرى لتسهيل تنفيذها . ويقوم بتلك المهمة مجموعة

متخصصة ومفكرة ومدربة على ربط المعلومات بمواطن إيذاء العدو المستهدف ودراسة ردود الفعل المتوقعة له والنقطة التي تتوقف عندها الخطة المرسومة فإما المضي في تنفيذ المؤامرة إلى آخر المطاف وتحطيم ضحيتهم تحطيماً شاملاً أو الاكتفاء بالوقوف عند نقطة معينة يستسلم فيها الطرف المستهدف ويرضخ لمطالب منفذ المؤامرة أو لجزء كبير منها، ولذلك يسعى القائمون على تنفيذ هذه المرحلة على اكتشاف نقاط القوة والضعف لدى العدو المستهدف واختراق الضعيف منها للقضاء على روحه المعنوية والإقلال من فاعلية قوة عدوه فمن يمتلك المعلومة يمتلك القدرة على تحديد كيفية محاصرة عدوه المستهدف،

إن التقدم في تكنولوجيا جمع المعلومات سريع جداً مما يخلق صعوبات متزايدة، أمام الحكومات للمحافظة على الأسرار الهامة للدولة، فنجد مثلاً أن الإرشاد الالكتروني باستطاعته اختراق جدران الأماكن مثلما تستطيع العدسات والكاميرات رصد جميع التحركات.

ويمكن جمع المعلومات بأدوات كثيرة، ومن أهمها التجسس(٣)، وقد يكون الجاسوس عاملاً بسيطاً أو أستاذاً أو جندياً أو مراسلاً أو وزيراً أو طبيباً أو نائبًا فى البرلمان، وقد يكون الجاسوس رئيساً لدولة وعميلاً في نفس الوقت لمخابرات أجنبية، وبما أن كلمة الجاسوس نالت السمعة السيئة فقد حاولت مؤسسات التجسس أن تلطف من هذه التسمية فأطلقت على نفسها مسمى وكالات الاستخبارات أو مسميات مختلفة لا تمت إلى التجسس بصلة، ونرى أن جزءاً هاماً من المعارك الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية اليوم تقع في قلب عملية التجسس.فنجد مثلاً أن التجسس الدبلوماسي (٤) أصبح شائعا حتى بين الدول الصديقة، وقد أثارت الاتهامات التي وجهتها كلير شورت وزيرة التنمية الدولية البريطانية السابقة إلى المخابرات البريطانية بالتجسس على الأمين العالم للأمم المتحدة السابق كوفي أنان قبيل شن الحرب على العراق

زوبعة كبيرة في بريطانيا وفتحت ملف التجسس على البعثات الدبلوماسية في العالم وتداعيات ذلك على العلاقات الدولية .

وقد اقتحمت حرب الجواسيس كل ميادين الحياة من سياسة واقتصاد وصناعة وحتى كرة القدم مثل التآمر الذى أسفر عن فضيحة نادى يوفنتوس الإيطالى وهبوطه إلى الدرجة الثانية، فعملية التجسس تعتمد على جمع المعلومات التي تحتاج إلى تكلفة مادية عالية، وهي تعتبر الدم الذي يجري في شريان آليات التآمر والتآمر المضاد.

وللتجسس هدف، وهذا الهدف ربما يكون بلدًا أو أشخاصًا أو مجموعة معينة، ومع اختيار الهدف يتم اختيار طريقة الحصول على المعلومات وبالتالي تحديد منطقة وإطار العمليات، وتدار عملية التجسس بواسطة إدارة متخصصة لا تعلن عن نفسها وتعمل في ظل غطاء معين، وقد يكون هذا الغطاء دبلوماسياً في مقر البعثات الدبلوماسية، والتجسس البحت هو مؤامرة وتنظيم وطبقاً لما يقوله الخبراء في التجسس فإن هناك أربعة أنواع من الجواسيس: المجند والمسهل والعامل في الظلام والعميل الذي لا يعلم وهو الشخص الذي يجمع المعلومات لصالح دولة أجنبية دون أن يعلم .

وقد قيل إن الحرب الباردة خرجت من باب المخابرات الأمريكية والسوفييتية ودخلت من النافذة، إذ خلعت ثياب الجندية وارتدت ملابس مدنية وألقت بسلاح المعركة لتستبدله بأجهزة التنصت واللاسلكي والفاكس.

إذ أن التنصت (٥) يعتبر من أهم أدوات جمع المعلومات، وهو سلاح ذو حدين مرة يستخدم في التجسس وأخرى يستخدم كسلاح في مكافحة التجسس، ومن أمثلة ذلك أن أعضاء الحزب الشيوعي البريطاني فوجئوا في عام ١٩٧٥ بوجود أجهزة تنصت داخل مبنى الحزب أثناء عمليات الإصلاح والترميم، وفي نهاية السبعينيات شكت حكومة إسرائيل من قيام إحدى السفن السوفييتية بتسجيل كل

المكالمات السلكية واللاسلكية عند مرورها أمام شواطئ فلسطين.

ومن أشهر عمليات التنصت فضيحة ووترغيت[٦] التي اضطر فيها الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون أن يستقيل في ٨ أغسطس عام ١٩٧٤م، إذ اكتشفت أجهزة الأمن في الفندق أن هناك أشخاصا مزودين بأجهزة استقبال قصير الموجة وأجهزة تخاطب لاسلكي، وأغلب ما يقال عن طرد الدبلوماسيين من البلدان المختلفة سببه التنصت واستراق السمع. ولا تنس الذاكرة عندما بكت جولدا مائير[٧] حزناً على مصير هبة سليم "عبلة كامل" الجاسوسة المصرية لصالح إسرائيل والتي وصفتها بأنها قدمت لإسرائيل أكثر مما قدمه إليها زعماؤها. وقد تكررت هذه القصة مؤخرًا حينما حكمت أمن الدولة العليا بمصر بتاريخ ٢١ أبريل ٢٠٠٧ على المدعو محمد العطار وهو كندي من أصل مصري بالسجن ١٥ عاماً بتهمة التجسس لصالح إسرائيل.

ويحرص الجواسيس على اتلاف المعلومات وتخريبها بعد الاستفادة الكاملة منها لعدم فضح أمرهم أو كشف هوياتهم، وقد أصبحت الدول بلا حدود في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فالحدود السياسية أصبح من السهل اختراقها من خلال الأسلحة بعيدة المدى، وبواسطة التخريب الإلكتروني أصبح من السهل اختراق الفضاء الخارجي لها والتجسس على نظامها الداخلي عن طريق أقمار التجسس وشبكات الاتصال.

فالمعلومات ثروة ذات قيمة عالية وثمينة ومصدر مهم من مصادر الثروة في المجتمعات ولكنها عرضة للتهديد بصورة دائمة، مما جعل البناء التحتي المعلوماتي يعاني من ثغرات أمنية، ولقد زاد الاهتمام باستهداف البنية التحتية المعلوماتية الوطنية مع بداية التسعينيات لأن هذا الاستهداف من شأنه أن يؤدي إلى اضطراب كبير في عمليات التواصل في مجالات المال والأعمال والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

ويمكن استخدام فيروس[٨] معين عبر الإنترنت لتهديد المستخدمين في كل الدول ومن الممكن أن يخرب نظم المعلومات الكاملة لأي جهة حكومية أو غير حكومية، ولذلك فإن الأمن الدولي من المنظور المعلوماتي يعني حماية البيئة المعلوماتية الكونية من كافة التهديدات الراهنة والمحتملة.

وإذا كان الإرهاب الفضائي يلوح فى الأفق فإن الإرهاب عبر الإنترنت قد أصبح حقيقة ويمثل اضطراباً أمنياً ولقد أصبحت جرائم الجواسيس الالكترونية شائعة من اختراق وتهديد وتبديد وانتقام وتنفذ هذه الجرائم مجموعة من المجرمين عن بعد، وقد زادت القرصنة والابتزاز والاحتيال في وقتنا المعاصر بكل دقة واحتراف.

وعلى الرغم من تكاليف الحصول على المعلومات النادرة، فالدول تتحمل الأموال الطائلة للحفاظ على اسرار معلومات الأمن الوطني، فتجد الولايات المتحدة الأمريكية تنفق حوالي ٦,٥ مليار دولار سنوياً على فرض السرية على معلوماتها، ورغم مكانة وأهمية المعلومات فإنها تصبح مثل أي سلعة ذات قيمة مادية معرضة للجريمة بما في ذلك التخريب والسرقة والتعدي أو التشويه[٩] .

مواطن الإيذاء:

وبعد أن يتم تحديد العدو المستهدف واستكمال مرحلة جمع المعلومات حوله تتجه أنظار المتآمرين بعد ذلك للبحث عن مواطن الإيذاء لتحطيم العدو أو رضوخه، ومن أهم الأمور التي يركز عليها هؤلاء المتآمرون في هذه المرحلة هى البحث عن الوسائل المناسبة التي يتم إيذاؤه بها. وهذه الوسائل تتنوع وتتعدد بحيث تشمل جميع الخيارات وفقاً لكراهية المتآمر والمدى الذي قد يكون مستعداً للوصول إليه بغية تنفيذ مؤامرته ونوعية الأذى الذي يريد أن يلحقه بالخصم، وقد لا يقتصر الأمر على الأذى المادى فحسب بل قد يتعداه إلى الأذى المعنوى بهدف تشويه سمعة خصمه والحط من مكانته وزعزعة الثقة به

وتحطيم روحه المعنوية وهو أذى لا يستهان به قد يفقد الخصم مركزه الاجتماعي أو السياسي أو الديني أو المالي أو التاريخى من جراء مؤامرة من هذا النوع .

ومن القصص التي يمكن أن تروى لتدل على أهمية الأذى المعنوى نذكر قصة شخصية تاريخية لم تعد الذاكرة تحفظ من مآثرها إلا الطغيان ولا من سيرتها إلا التفكه والتندر ونقصد بذلك قصة قراقوش والذي لايكاد الناس يعرفون عنه إلا القرارات التعسفية الظالمة التي تثير السخرية والإستهزاء، ولكن دراسة الواقع التاريخي يشير إلى أن قراقوش هذا كان على العكس من ذلك، حيث كان رجلاً عصامياً وكان أحد الأسرى الروم الذين هربوا من العبودية ليستقر به المقام في الشام ليلتحق بجيش أسد الدين شيراكوه (٥٦٤هـ - ١١٦٨م) والذي كان بدوره من أبرز قواد جيش نور الدين زنكي، وقد أظهر شجاعة وفروسية نادرتين في الحروب التي شارك فيها وقد لقب باسم بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي . أما كلمة قراقوش فتعني النسر الأسود وأما الأسدي فقد جاءت نسبة إلى أسد الدين الذي لقب أفراد من جيشه الأشداء بالأسدية، وبعد وفاة شيراكوه انضم الأسدية ومنهم قراقوش إلى جيش ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، ومرة أخرى أثبت قراقوش جدارته بل عبقريته ليس في ساحات القتال ضد الصليبيين فحسب ولكن في الإنجازات الهندسية وتشييد القلاع وبناء السدود والقناطر والأبراج والخنادق والأسوار، كما كان أميناً على الأموال التي بين يديه مما كان له الأثر الأكبر في تثبيت دعائم الدولة، وقد استدعاه صلاح الدين للاستفادة من خبرته القتالية والهندسية أثناء حربه مع الصليبيين في عكا وظل صامداً ولكن الإمدادات والتعزيزات التي جاءت للصليبيين مكنتهم من المسلمين فأخذوه أسيراً إلى أن افتداه صلاح الدين، ولاشك أن ظروفاً كتلك التي مر بها قراقوش ربما جعلت بعض أوامره تتسم بالغلظة، ولكن هذه السيرة المشرفة لم تكن لتستحق كل هذا

التشويه لولا أن تصدى لها أحد المتآمرين عليه للنيل منه وهو الأسعد بن مماتي الذي كان رئيساً على ديوان الجيش وديوان المال والذي أعمته الغيرة لقرب قراقوش من صلاح الدين.

ومن سوء حظ قراقوش أن ابن مماتي كان أديباً وشاعراً متمكناً فألف كتاباً اسمه "الفاشوش في حكم قراقوش" وأهداه إلى صلاح الدين، إلا أن الكتاب لم يغير من نظرة الإعجاب التي كان صلاح الدين يكنها لقراقوش، ولكن ما أن توفي صلاح الدين حتى تم ترويج حكايات التهكم والاستهزاء التي جاءت في الكتاب وتناقلتها الألسن والمنتديات فشوهت سيرة ذلك العصامي الذي لم يعد يعرف عنه إلا جانب واحد هو سوء السمعة، وكم ظلم التاريخ أفذاذاً بسبب مؤامرات حيكت ضدهم.

وقد يأخذ الإيذاء أشكالاً مادية مختلفة مثل الاستيلاء على أموال الضحية وثرواته أو حتى اغتياله، وإذا كان الخصم شركة أو مؤسسة تجارية فإن الخطط المرسومة قد تؤدي إلى خسارتها وانهيارها وإفلاسها أو تصفيتها، أما إذا كان الخصم دولة فقد يصل الأمر إلى تدهور أحوالها الاقتصادية أو تمزيقها أو فقدانها استقلالها السياسي أو حتى استعمارها ومحوها من الوجود كلية.

ولا يقوم بدور الإيذاء هذا دول أو مؤسسات فحسب، بل قد يقوم به أفراد عاديون فنجد على سبيل المثال أن أجهزة الأمن بوزارة الداخلية المصرية (١٠) كشفت سر المؤامرة والشائعات التي حدثت في الأوساط الطبية داخل وخارج مصر والتي أثرت سلبًا على سمعة الدواء والمستحضرات الأخرى من الإنتاج المصري بهيئة المصل واللقاح وأثرت على الدخل والاقتصاد القومي خلال تلك الفترة وهز الثقة في المنتج المصري وإلحاق الضرر بعمليات التصدير والتسويق.

وتبين أن موظفاً بقسم المعلومات بهيئة المصل واللقاح قام بإنشاء موقعين للبريد الالكتروني يحملان الاسم التجاري للهيئة على شبكة الإنترنت وأرسل

عبر الإنترنت إلى الشركات العالمية والمتعاملين مع الهيئة ووكلائها رسائل تتضمن سباً وقذفاً وتشهيراً بالشركة وتخوفاً من منتجاتها وخاصة "الأنسولين"، وتم القبض على الموظف الذي اعترف بارتكابه الواقعة وأنه اراد إلحاق الأذى بالهيئة بسبب تأخير صرف مكافأته ١٥ يوماً وبسبب المعاملة السيئة التي زعم أنه تلقاها وزملاؤه من قبل رئيس مجلس الإدارة.

وعلى مستوى الإيذاء الدولي نسوق مثال الحاجة إلى المياه أوحرب المياه(١١) التي أصبحت واقعا ملموسًا كمثال على اختيار مواطن الإيذاء للابتزاز والمساومة، ففي الوقت الذي تسعى فيه معظم بلدان العالم العربي إلى توسيع الرقعة الزراعية لمحاولة الاكتفاء الذاتي لبعض السلع والمنتجات الزراعية والتي يقابلها استهلاك أكثر من المياه، نجد أن هناك من يتربص بها الدوائر ويحيك المؤامرات ضدها للحيلولة دون ذلك، فالعالم العربي لا يستطيع التحكم في المياه الواردة إلى أراضيه من دون الرجوع إلى دول أخرى قد لا تربطه معها أحياناً علاقات طيبة، وهذا أيضاً من أكبر مواطن الإيذاء الذي تتخذه إسرائيل ورقة مساومة لتخفيف الضغط العربي عليها والخروج من المقاطعة والعزلة العربية.

ولولا المؤامرات الإسرائيلية وأطماعها التوسعية واعتبار مصادر المياه العربية امتدادا لتلك الأطماع ووضع كل العقبات التي تحول دون تمكين العرب من استغلال مصادرهم المائية في التنمية الاقتصادية لأمكن استغلال المياه الاستغلال الأمثل، ولكن ضغوطها المستمرة على تركيا وإثيوبيا من أجل التحكم في حجم المياه المتاحة للدول العربية عرقل كثيرا من مشاريعها، وقد قال تيودور هرتزل في يوم من الأيام "إن المؤسسين الحقيقيين للأرض الجديدة القديمة هم مهندسو مياه فعليهم يتوقف كل شيء من تجفيف المستنقعات إلى ري المساحات المجدبة وإنشاء معامل توليد الطاقة الكهربائية".

ومثال آخر هو موقع منطقة الشرق الأوسط [١٢] الذي يقع في بؤرة تقاطعات وتشابكات جغرافية استرتيجية لمجموعة من البحار والممرات والخلجان البحرية ذات الأهمية العالمية.

وتستأثر مصر بمكانة الصدارة على مستوى الأهمية الجيوستراتيجية في هذه الأهمية، مما جعلها هدفاً لكثير من المشروعات والمخططات السياسية والاقتصادية التي تهدف إلى حصارها في نطاق محدد لتحجيمها أو ممارسة الضغوط عليها للاستجابة للإملاءات المغرضة حتى يتم عزلها عن باقي الدول العربية.

وقد برز إلى الوجود مشروع [١٣] تبين فيما بعد أنه مؤامرة إسرائيلية لإلحاق الأذى بمصر، وكان المشروع عبارة عن شق قناة إسرائيلية ما بين خليج العقبة والبحر المتوسط في المنطقة الواقعة ما بين ميناء إيلات وأشدود باعتبارها التصور العملي لنموذج بديل لقناة السويس، و كان هذا المشروع يحمل في طياته تهديد العصا وإغراءات الجزرة لمحاولة تجريد مصر من نقاط ومحاور ارتكازها الاقتصادية بما فيها قناة السويس، وبالتالي ستضطر قناة السويس تحت وطأة منافسة قطع الرقاب من القناة الإسرائيلية إلى الدخول في حرب خفض رسوم المرور على نحو يهدد عوائدها المالية، إضافة إلى تأثر شبكة الطرق الدولية البرية والسكك الحديدية التي تعمل في خدمة نظم النقل الدولي المتعدد الوسائل والتي سوف يكون لإسرائيل كلمتها في تقسيم شطيرة النقل التجاري الدولي ساحبة البساط من تحت أقدام قناة السويس، ولم يتم تنفيذ المشروع في الوقت الحاضر ولكنه قد يرى النور حينما تكون الظروف مواتية لتنفيذه .

رسم الخطط :[١٤]

بداية لا يفضل المتآمرون أن يطلق على ما يقدمون به اسم التآمر ولكنهم يستبدلون مصطلح المؤامرة بمصطلح التخطيط الذكي الذي يؤدي إلى تحقيق مصالحهم حتي وإن كانت على حساب الآخرين. فى مقابل عدم اتخاذ العدو

المستهدف الحيطة والحذر وعدم التخطيط والركون إلى الكسل الفكري الذي جعل منه لقمة سائغة أغرتهم بازدرادها . فالذنب ليس ذنب المتآمر بقدر ما هو ذنب ضحيته المغلوبة على أمرها . ويشتمل التخطيط للمؤامرة على دراسة العدو المستهدف دراسة مستفيضة لاكتشاف نقاط الضعف عنده ومواطن الإيذاء المناسبة للإضرار به أو ابتزازه، ودراسة كافة الوسائل التي قد تكون مؤثرة لإحكام السيطرة الكاملة عليه .

ومنفذو الخطط هم مجموعة من المتخصصين المفكرين والمدربين على ربط المعلومات بمواطن الإيذاء وردود الفعل المتوقعة للعدو المستهدف ومرونة الخطة المرسومة ضده، أي إما المضي في تنفيذ الخطة إلى آخر المطاف وتحطيم العدو المستهدف تحطيماً شاملاً أو التوقف عند نقطة الإستسلام .

ويحرص المتآمرون على التخطيط الجيد الذي يتطلب منهم أن يعرفوا إمكانياتهم وإمكانيات خصومهم هجوما ودفاعا، و تعتبر هذه المرحلة من المراحل المهمة من مراحل المؤامرة، فكلما كانت الخطة مبنية على دراسة دقيقة لكل الاحتمالات كلما كانت الخطة محكمة والنتائج المرجوة منها سليمة، وإذا صاحبت الخطة بدائل ممكنة كانت الخطة محكمة ومرنة وقابلة للتنفيذ ومحققة للأهداف، فالتخطيط المحكم للمؤامرة يتطلب تحقيق الممكن من الهدف المنشود، وفي مرحلة التخطيط للمؤامرة يتم الحرص على أن تكون دوافع وأسباب حياكة المؤامرة، سواء كان ذلك في مرحلة التخطيط أو في مرحلة التنفيذ واضحة ومحددة لدى جميعُ الأفراد والجماعات والدول المشاركة في المؤامرة، وأن يكونوا جميعاً على استعداد لتحمل ما يمكن أن تسفر عنه المؤامرة من مغرم أو مغنم.

وتعتبر معرفة كل شيء عن الطرف الآخر من أهم مراحل التخطيط للمؤامرة، فليس هناك من يستطيع أن يدبر أو يحيك مؤامرة ضد طرف لا يعرفه، ولعل المعرفة بالطرف الآخر تتطلب من المتآمر:

١ - تحديد الهدف المنشود من وراء المؤامرة بوضوح.
٢ - تحديد الوسائل اللازمة لتنفيذ المؤامرة .
٣ - تهيئة الظروف المناسبة لتنفيذ الخطة بكفاءة.
٤- الواقعية والتفرقة بين ماهو ممكن وبين أحلام اليقظة والخطط الوهمية والطموحات الخيالية.
٥ - الأخذ في الاعتبار المستجدات المتوقعة والبدائل المناسبة لها .

وكلمة التخطيط في الدول شديدة التآمر، كالدول ذات الايديولوجيات التوسعية، ليس لها معنى إلا تسخير كل امكانياتها الداخلية لتحقيق أهدافها، وكذلك تسخير وزارة الخارجية التابعة لها لجعل سفاراتها بؤر تجسس وتآمر، خاصة وأن موظفى السفارات محصنون دبلوماسياً، وأنه لا يوجد فى القانون الدولى أى بند يعرقل عملهم للدفاع عن مصالحهم وأن أقصى ما يمكن القيام به ضدهم هو الاحتجاج أو طرد الدبلوماسيين المتورطين من البلدان التى يتآمرون عليها. وعادة ما تنشط تلك السفارات فى الدول التى يغلب على أجهزتها الأمنية طابع الغفلة أو الترهل والضعف أوعدم استجابة قياداتها السياسية بسبب قلة حيلة تلك القيادات أو خوفها من ردة فعل وبطش وسطوة الدولة المتآمرة.

السرية :

تلعب السرية دوراً كبيراً في التخطيط للمؤامرات بل إن دولاً قامت وأخرى اضمحلت بسبب لجوء أطرافها المؤسسون إلى السرية، فالسرية عنصر مهم من عناصر المؤامرة بل إنها من أهم عناصرها على الإطلاق، فإذا ما انتفى عامل السرية افتضح أمر مدبريها ومنفذيها وفقدوا عنصر المباغتة والمفاجأة، إذ أن من سمات المؤامرة أن يأخذ المتآمر خصمه على حين غرة حتى لا يشعر

بالخطب الجلل الذي سيحيق به. وقد يموه المتآمر الأمر على خصمه فيخلق من حوله بيئة إعلامية أو سياسية تشعره بالاطمئنان والركون إلى الدعة والاسترخاء حتى يتسنى له أن يسدد ضربته القاصمة التي تفقد الخصم توازنه أو قدرته على التفكير والتعامل مع الأزمة التي تحيق به فتشل تفكيره وتفقده القدرة على القيام برد فعل مناسب، وغالباً ما يكتشف الضحية وهو يعاني من سكرات الموت أو يتجرع مرارة الغدر أنياب أعداء كان يظنها بالأمس ابتسامة أصدقاء، وعادة ما يتم تداول الخيوط الأولى للمؤامرة منذ مرحلة التخطيط والى ما بعد مرحلة التنفيذ بأقصى درجات الكتمان والسرية، فتظل المؤامرة محصورة بين أشخاص محدودين، ويستبعد من قائمة المشاركين فيها الثرثارون، حتى وإن كانوا من أكبر المستفيدين من تنفيذها لكي لا تنكشف المخططات فيأخذ الطرف الآخر حذره واحتياطاته، مما يؤدي إلى فشل المؤامرة.

وتشتمل قائمة السرية على عناصر عديدة ابتداءًا من المتآمر ذاته مروراً بالأطراف المتواطئة معه والمنفذة لمؤامرته وانتهاءً بأدوات المؤامرة أو إلصاق المؤامرة بطرف غير ذي صلة بالمؤامرة.

وقد حافظت الولايات المتحدة على السر النووى [١٥] حتى عن الرئيس الامريكى نفسه (هارى ترومان) برغم أن عشرات الآلاف من الأشخاص كانوا يشتغلون فى بناء القنبلة الذرية عدة سنوات فظل هذا السر الأكثر حماية بين أسرار الحرب، لكن الكشف عن وجود السلاح النووى كان يمكن أن يؤدي إلى التوجه باستخدامه كسلاح للردع بدلاً من استخدامه فى ٦ أغسطس ١٩٤٥ كسلاح مدمر على هيروشيما وبعد ذلك بيوم واحد على ناجازاكى اليابانية ووجدنا فى نهاية الأمر أن الإفراط في التعتيم والسرية يكون أحياناً على حساب الشفافية وتبادل الآراء.

وتجدر الملاحظة هنا إلى أن المؤامـرة التي يقـوم بهـا فـرد لا تخـتلف في أركـانهـا عن المؤامـرة التي يقـوم بهـا أطراف عـدة باسـتـثناء اخـتـصـار بعض الخطوات التي تحـتـاج إليـهـا المؤامـرة متـعـددة الأطراف والأشـخـاص، فـالمؤامـرة الفردية يكون صاحـبها هو المرجع والمخطط والمنفذ ، الأمر الذي يجـعل مؤامـرته أكثر سرية وأكثر طمسًا لمعالمها.

وتلعب السـرية والمؤامـرة دوراً مـتـلازمـاً في تكوين مـذاهب وممالك وإزالة أخرى. فعند استعراض أحداث التاريخ تجد أن الحـركات السرية أبادت دولاً لم يكن بالإمكان التـعرض لهـا مباشـرة وأن كل حكم أو فكر بائد يحـتـمي بالسـرية ليتآمر على الحكم السائد في انتظار الفرصة المناسبة للإنقضاض عليه وتولي زمام الأمور. وأن افتضاح أمر المتآمرين حال دون سقوط كثير من الأنظمة.

منتدى سور الأزبكية www.books4all.net

المحاكاة والتنفيذ:

بعد أن يتم تحـديـد العـدو المستـهـدف ورسـم الخطة المناسـبـة للتـآمر عليـه واختيار مواطن إيـذائه، يقـوم فـريـق التـآمـر بعـد ذلك بمراجـعـة المسـتـفـيد من تلك المؤامــرة أو الطرف الذي كلفه بالإعداد لهـا أو من ينوب عنه لإطلاعـه على تفـاصيـلهـا وكيـفيـة تنفـيذهـا والوسـائل التـي سيـتم بهـا تنفـيذ المؤامـرة ثم يقـدم له قـائمـة بالمتطلبـات المادية واللوجسـتـيـة والسـيـاسـيـة لتنفـيـذ تلك المؤامـرة وكـذلك للتـعـرف على مدى مـقدرته على تحـمل تكلفـتـهـا وتبـعـاتـهـا في حـال فشـلهـا، أو المكاسب التي سيجنيها جراء تنفيذ المؤامرة في حال نجاحها.

وبعد أن يتم لأطراف المؤامرة الاتفـاق على تفـاصـيـلهـا الدقـيـقـة ينتـقـلون بعـد ذلك إلى مـرحلة المحـاكـاة وهي المرحلة التي تتم فـيـهـا مـحـاولة تطبيق المؤامـرة نظرياً، وذلك بمراجـعـة الخـرائط والمخططات وتزوير الوثائق الشـخـصـيـة لانتـحـال

منفذي المؤامرة صفة شخصيات تبعد الشبهة عن المتآمر الحقيقي، ويتم في هذه المرحلة تفقد الأماكن على الواقع وإعداد مسرح المؤامرة وإجراء تنفيذها وهمياً لاكتشاف العقبات التي يمكن أن تطرأ أثناء تنفيذ المؤامرة .

وقد تطورت وسائل مراجعة الشوارع والطرق والأماكن بعد استخدام الإنترنت ووجود مواقع جغرافية [١٦] تساعد الباحثين في أبحاثهم، وقد بدأ المتآمرون يستفيدون من تلك المواقع حيث أن بإمكانهم بواسطة الرجوع إلى هذه المواقع اكتشاف الأماكن وحتى المنازل والسيارات في الشوارع في أي مكان في العالم، فيستطيعون إجراء التدريبات ومضاهاة خططهم النظرية مع الواقع الذي يشاهدونه على صفحات تلك المواقع وهم في أوكارهم دون الانتقال الفعلي إلى مسرح المؤامرة، وفي هذه المرحلة أيضاً يتم التأكد من المسافات الحقيقية وما إذا كان هناك أية منشآت أو أعمال حفر أو تعديل في مسار الاتجاهات والطرق حتى لايفاجأ منفذو المؤامرة بمستجدات لم تخطر على بالهم أو لم يحسبوا لها حساباً، وفي هذه المرحلة يتم مراجعة اللحظة الزمنية المناسبة لتنفيذ المؤامرة والتوقيت المناسب لها إذ أن أي خطأ في ذلك قد يوجه سهام المؤامرة إلى ضحية غير مستهدفة .

ومنذ لحظة الانطلاق الفعلي لتنفيذ المؤامرة إلى مرحلة حساب النتائج والخسائر في حال فشل المؤامرة أو نفاذ المتآمرين بجلدهم في حال نجاحها، يحبس المتآمرون أنفاسهم ويتابعون مجرياتها عن كثب ويهيئون أنفسهم لإعطاء أوامر اللحظات الأخيرة بعد أن كانوا قد اتخذوا قرارهم، وكلما قطعت مؤامرتهم خطوة إلى الأمام يبدأون بمراجعة الخطوة التالية حسب خطة تنفيذ المؤامرة التي أعدها لهم مخططوها إذ أن نكوص أحد الضالعين في تنفيذ المؤامرة أو حدوث خلل عند تنفيذها قد يسبب لهم انتكاسةً وربما فقدان أرواحهم.

الخداع والتضليل

يستفيد المتآمرون من كل ما أعدوا له العدة لمثل هذا اليوم ومن العمليات والخطوات التي سبقت مرحلة التنفيذ مثل الخداع والتمويه والتضليل التى تتطلب من المتآمرين تغيير وثائقهم أو ملابسهم أو اللغات التى يتكلمون بها وقد يتطلب منهم ذلك خداع ضحاياهم بإظهارهم التعاطف مع قضاياهم الوطنية حتى ينالوا ثقتهم ثم ينتظرون الفرصة المناسبة ليوجهونهم إلى الوجهة الخاطئة، إذ أن الخداع والتمويه يمكنهم من اختراق الجماعات المستهدفة والتغلغل في أعماقها لدفعها لاتخاذ قرارات تبدوا في ظاهرها مفيدة ولكنها في الواقع مضرة بهم وبقضيتهم، ولتوضيح ذلك نضرب مثالاً بالقضية الفلسطينية العادلة التي ناضل الجميع من أجلها بشتى الوسائل، إلا أن الأستاذ/ أحمد صالح ذكر أن[١٦] «بعض المنظمات الفلسطينية ومؤسساتها تعرضت لاختراقات ومؤامرات عدة طيلة مراحل جهادها ولم تنتبه قيادتها إليها ولم يتم الكشف عنها إلا من قبل من حاكوا هذه المؤامرات أنفسهم»، وأتى على قصة رجل ألماني هو الدكتور "ماركوس وولف" الذي عمل مديرًا للمخابرات في ألمانيا الشرقية لمدة (٢٥ عاماً) وفي تلك الفترة عمد ذلك الرجل المهم على تقوية علاقاته وصلاته مع المنظمات الثورية في الشرق الأوسط، واستطاع هذا الرجل إقناع القائمين على تلك الجبهات بتحويل أفكارهم الثورية إلى هجمات انتحارية توجه نحو المدنيين في أوروبا، ولم تدرك القيادات الفلسطينية آنذاك أبعاد تلك المؤامرة ولا النتائج الوخيمة التي شوهت صورة الفلسطيني في العالم وحولته من صاحب قضية عادلة احتلت أرضه واغتصبت دون وجه حق إلى إرهابي وقاتل كل همه وتفكيره وطموحه قتل غربيين عزل وأبرياء ليست لهم أدنى علاقة بما يحدث في فلسطين سوى أن ساستهم وحكوماتهم الحالية والسابقة ساندت الإسرائيليين في تمكينهم من احتلال فلسطين أو مساندتهم في المحافل الدولية أو حتى سكوتهم وعدم تأييدهم للكفاح الفلسطيني، والمحصلة كانت أن أفرادًا من بعض

تلك الحركات الثورية الفلسطينية وقعوا في فخاخ تلك المؤامرة، فخطفوا الطائرات وفجروا أماكن هامة وسقط من جراء ذلك الكثير من الأبرياء، وفي أوروبا تحديداً. ومع سقوط أولئك القتلى والجرحى، تهاوت السمعة العربية وكره العالم الثورة الفلسطينية.

ولم يتم اكتشاف تلك المؤامرة إلى عند اختفاء ذلك الرجل مدير المخابرات في المانيا الشرقية الدكتور "ماركوس وولف" الذي انتهى عمله مع سقوط جدار برلين والنظام الشيوعي بالمانيا الشرقية، وباختفائه أثيرت الكثير من التساؤلات عنه وأين اختفى؟ وأين ذهب ذلك الرجل الذي كان مسانداً للقضية العربية؟ وأين إدعاؤه وزعمه بأنه خصم لدود لإسرائيل الذي أقنع به الثوار الفلسطينيين للجوء إلى هذه الطريقة في سبيل القضية العادلة؟

وبعد تقصى الحقائق، اكتشف الفلسطينيون لاحقاً أن هذا الرجل كان موجودًا في إسرائيل بعد اختفاء النظام الشيوعي، ولم يكتشفوا ذلك فحسب، بل اكتشفوا أيضا أنه نال المواطنة الإسرائيلية. وهنا طرحت التساؤلات مع من كان يعمل هذا الرجل ؟ ولحساب من؟ ولماذا استضافته إسرائيل وأغدقت عليه الكثير من رفاهية الحياة ووفرت له بحبوحة العيش ؟ وفجأة أفاق الفلسطينيون على وقع تلك المؤامرة التي دبرت لهم وحقيقة هذا الرجل وصلته القوية بالمخابرات الإسرائيلية.

هذه صفحة من صفحات التاريخ وإن كان تم نسيانها إلا إنها ستبقى درسًا شاهدًا على كيفية التغلغل في البنيان الفلسطيني وإمكانية اختراق منظماته الثورية واستدراجها إلى فخ المؤامرات التي لم يستطيعوا كشفها إلا بعد وقوعهم في فخاخها، والحقيقة أن إسرائيل هي التي كانت وراء تدبير تلك المؤامرة وهي التي دفعت بهذا الرجل إلى نصب الفخاخ، وكان الهدف من تلك المؤامرة هو تحويل مشاعر الشعوب الأوروبية التي بدأت تتعاطف مع مأساة

الشعب الفلسطيني وتتجاوب مع قضيته وتسانده بواسطة المنظمات الأهلية، فكانت المؤامرة المرسومة من قبل الإسرائيليين هي تحويل الأنظار الأوروبية عن الفلسطينيين بعد أن اكتشفوا.زيف الادعاءات الإسرائيلية وعنصريتهم وعدوانيتهم الشرسة تجاه شعب أعزل، وكانت تلك المؤامرة هي المصيدة التي وقع فيها بعض فصائل الثورة الفلسطينية والتي نجحت في تحويل تعاطف الشعوب الأوروبية بعيدًا عن الفلسطينيين بعد أن طالت الاعتداءات معظم هذه البلدان، فتبدل شعورهم من تعاطف إلى غضب وسخط تجاه الفلسطينيين، وقد تم اكتشاف هدف المؤامرة وهو عقاب المتعاطفين مع الفلسطينيين من الأوروبيين بتفجير بلدانهم بواسطة الفلسطينيين من جهة ومن جهة أخرى خسارة الفلسطينيين لجماعات كانت تؤيدهم في العالم وخاصة أوروبا، صحيح أنه تم حل لغز ذلك الرجل مدير المخابرات السابق في المانيا الشرقية لكن بعد فوات الأوان.

ودروس التاريخ كثيرة ومليئة بالمؤامرات السياسية، ولكن المهم من يقرأ أو يتوقف عندها موقف المحلل النابه الذي يدق ناقوس الخطر قبل فوات الأوان.

واللغز الآخر أو المؤامرة الأخرى حدثت في تركيا وبطلها شاب تركي مسلم يسمى "الكارشنار" [١٧] وقد نجحت الكنيسة التركية في تنصيره، وبعد أن دخل الكنيسة ترقى فيها إلى أن انتهى به المطاف إلى أن أصبح راعي كنيسة طرطور البروتستانتية التركية، كما كان مشرفاً على أربع كنائس هي (فان - تبايس - هيكاري - شرنان) وتقع كلها في جنوب تركيا، واستمرت حياته خادمًا يعمل جهده لرفعة شأنها، ولكن لسبب ما قدر لهذا الرجل أن يعود إلى جذوره فاتخذ القرار المهم وهو العودة مرة أخرى إلى الإسلام بعد اكتشافه أنه فرط بالدين الحق و كان مجرد أداة لضرب الإسلام، ولم يكتف بذلك، بل قرر أن يكون إيجابياً بفتح الملف في لقاء مع صحيفة (بيني شفق) التركية لأنه كان يعرف الكثير من الأسرار كراع للكنيسة وأراد أن يكفر عن خطئه فأدلى بتصريحات خطيرة هزت الأوساط السياسية والدينية هناك حيث أكد أن خطأه التبشيري

في تركيا كان بمعرفة وبمساندة مباشرة من الدبلوماسية الأمريكية، كما أنه قابل في حياته كثيرًا من خبراء ال C.I.A الذين طالبوه بممارسة نشاطات تبشيرية داخل الأوساط الإسلامية التركية، وأمدوه بكل ما يحتاج له من نسخ الإنجيل والأموال لنجاح عمله التبشيري، ولولا أن الله عز وجل أراد أن يحل لغز ذلك النشاط التبشيري في تركيا والذين يقفون وراءه بعودة ذلك الرجل إلى الإسلام واستعجاله بالتصريحات قبل أن يكتم لسانه ويخرس نهائيًا، لما عرف أحد شيئا عن هذه القضية التآمرية، ولما تم اكتشاف هذا اللغز.

هكذا هي السياسة مليئة بالمؤامرات والألغاز وهناك عنصران أساسيان يساهمان فى كشف هذه المؤامرات وحل تلك الألغاز هما المتآمر نفسه والزمن .

التبريـــــر :

ويعتبر من جوانب المؤامرة المهمة فالتبرير رغم عدم انتباه الكثيرين إليه إلا إنه يكاد أن يكون صنو كل مؤامرة ناجحة أو فاشلة، دولية أو جماعية أو فردية وهو لا يأتي كتصرف عابر ولكن مرحلة التخطيط للمؤامرة التي أسلفنا ذكرها تشتمل على تهيئة ذهنية مسبقة أو مصاحبة أو لاحقة لتنفيذ المؤامرة ويراعى فيها أن تصلح لحالتي النجاح أو الفشل، فعند النجاح لا يكتفي المتآمرون بالضرر الكبير الذي يلحق بالخصم بل إنهم يبررون ما لحق به من أذى على أنه من صنع يده أو أن غضبة شعبية أو عيباً فيه أو إهمالاً منه هو الذي أدى به إلى تلك النتيجة، وأن ما لحق بالطرف المتضرر هو شأن داخلي أو عائد إلى سلوكه المشين أو ربطه بأسباب بعيدة عن توجيه أصابع الاتهام للمتآمرين، وفي أحيان أخرى يكتفون بالصمت المطبق وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد، بل إنهم أحياناً يمشون في جنازته يذرفون الدموع عليه، يأبنونه ويذكرون مآثره ومحاسنه بعد أن كانوا للتو قد غسلوا أيديهم من دمه، وسلوك النفاق هذا

سلوك مرسوم بدقة يصاحب المؤامرة من أولها إلى آخرها وهو سلوك يجيده صناع المؤامرات حتى يغرق المراقبون والمتعاطفون مع الضحية في بحر متلاطم من التكهنات والافتراضات والتفسيرات التي يقذف بها المتآمرون إلى ساحات النقاش والتفسيرات عبر وسائل الإعلام المختلفة أو المنتديات والجماعات أو الأفراد المندسين مسبقاً بين فريق الضحية.

وليس هناك من شك أن معظم أسباب الحروب في التاريخ يرجع معظمها إلى أسرار خفية والحرب العالمية الثانية لم تخرج عن هذا النطاق، فقد صارح هتلر[١٨] كبار معاونيه قائلاً "سوف تخلق لي الدعاية السبب اللازم للحرب ولن يجرؤ أحد في المستقبل على سؤال المنتصر" فقد كان واثقاً من قدراته ولم يعد أمامه سوى العثور على التبرير الحقيقي للحرب والذي كان يعلم هو ومخابراته بأن الخدعة هي سلاحه الثاني الذي يجب أن يعتمد عليه فكلف ضابط المخابرات الملازم "الفريد هلمنت نوجوكس" وهو أحد الأعوان المقربين لرئيس جهاز الأمن السري في فرقة الـ S.S النازية الخاصة بهجوم مفتعل على محطة إذاعة "غلوتيز الألمانية" من الحدود البولندية بعد ارتداء الملابس العسكرية البولندية في يوم ٥ أغسطس ١٩٣٩م وذلك بصورة يكفل معها حصول القيادة الألمانية على المبرر الكافي للهجوم على بولندا، وقد أطلق على هذه العملية اسم "الأطعمة المحفوظة"، وكما تم التخطيط بكل دقة للعملية بدأ التنفيذ بمهاجمة الإذاعة واحتلالها لفترة وجيزة ومن ثم إذاعة بيان يقول إن بولندا إحتلت ألمانيا؛ وكرد فعل على ذلك الهجوم المزيف قام الجيش الألماني في اليوم الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩م باجتياح الحدود البولندية بمئات الدبابات ومن خلفها أكثر من مليون جندي تغطيهم ٢٥٠٠ طائرة حربية، وكانت مفاجأة لجيش الدفاع البولندي ولم يستطع القيام بأية عمليات دفاعية سوى البعض منها وقد مني بالفشل.

وقد أذيع البلاغ الحربي على الشعب الألماني في الوقت الذي دخل فيه الجيش الألماني بولندا متهماً القوات البولندية بأنها فتحت النار على الجنود الألمان مما اضطر الجيش إلى الهجوم وذلك للدفاع عن أراضي الوطن .

لذلك لم تصدق شعوب العالم أذنيها لهذا الغزو الذي جاء بعد تصريحات هتلر ومناداته بالسلام والوئام ورغبة شعب ألمانيا في تجنب الخلافات مع جيرانه طالبًا منهم حسن الجوار والصداقة والعلاقات الودية، ولم يعلم أحد أنه كان يعد في الخفاء لضربته الكبرى حينما كان يرفع غصن الزيتون.

وقد قدر لتلك الرصاصات من قبل الضابط "نوجوكس" أن تكون بداية الحرب العالمية الثانية والتي امتدت كالنار في الهشيم حتى أغرقت العالم بالدمار والهلاك وملايين القتلى.[١٩]

لقد كانت آلة الدعاية هي أهم أسلحة هتلر الكفيلة بحمل الجماهير على اعتقاد ما يشاء لها وعلى الخنوع لتبريراته الكاذبة.وهذا الأسلوب نلاحظه بشكل واضح في عالمنا العربي قبل وأثناء وبعد كل مؤامرة يحيكها ضدنا أعداؤنا ومن نظنهم أصدقاؤنا على حد سواء أو حينما يحيكها بعضنا ضد بعضه الآخر.

أدوات التآمـــــر:

لتحديد المقصود بأدوات المؤامرة، يجب علينا أن نبين أنها الوسائل التي يلجأ إليها المتآمر أو المتآمرون لتنفيذ مؤامراتهم، ولا شك أن أساليب أو أدوات تنفيذ المؤامرة تعتبر من أهم العناصر لتحقيق أهداف المتآمر أو منفذي المؤامرة، فكل نوع من أنواع المؤامرات يحتاج لأدواته الخاصة وأسلوبه الذي يؤدي إلى الوصول إلى غاية منفذ المؤامرة فمثلاً المؤامرات الاقتصادية والعسكرية تركز على التجسس، والمؤامرات السياسية تحتاج إلى الفتن والاضطرابات،

والمؤامرات الإعلامية تلجأ إلى الدعاية والشائعات، كما أن أدوات المؤامرة الفردية قد تختلف عن أدوات المؤامرة الجماعية أو الدولية، وإن شئنا أن نعدد بعض أدوات التآمر فهي كثيرة ويصعب حصرها في بحث واحد، ولكننا سنحاول أن نضرب بعض الأمثلة التي من شأنها أن توضح الفكرة بشكل عام .

غسيل الدماغ :

إذا كانت المؤامرة موجهة للتأثير على الغير من أجل تغيير المعتقدات وتسخيرهم للقيام بأغراض تخدم أهداف المتآمرين، فإن هناك قناعة عند المتآمرين في مثل هذه الحالة أن فكر الإنسان يمكن صناعته كما يصنع اللبن الرائب أو الملابس، وبالتالي فإنه لا يجب التردد في الإقدام على ذلك لأن من طبيعة البشر أنهم يتقبلون في النهاية كل ما يقدم إليهم من معلومات أوحقائق أوغيرها، وبناء على ذلك فهم يخططون لنشر معلومات تؤثر في الطرف المستهدف من خلال الدعاية أو وسائل الإعلام المختلفة، وسلاحهم هنا ليس أدوات الحرب المعهودة ولكنه الرسالة المبثوثة التي يوجهها صاحبها المستفيد منها وكيفية تأثيرها في المتلقي.

وإذا ما طبقنا ذلك على الأمور العسكرية والأمنية، فإن هذه الأداة تعتبر من أقدم الأدوات المستخدمة في الحروب وفي التأثير السلبي على العدو، وهي تعرف بالحرب النفسية التي يحاول منفذوها الإلمام بكل شيء عن عدوهم وعن معتقداته ومواطن رغباته وضعفه وقوته وثغراته بقصد سرعة التأثير على سلوكه وتحطيم روحه المعنوية.

ومثال ذلك: [٢٠] ما يتعرض له سجناء المعتقلات السياسية الذين غالبًا ما يتم القبض على أحدهم في منتصف الليل ثم يقاد معصوب العينين إلى جهة لا علم له بها، ولا يترك للسجين أي راحة ولكنه يستدعى بصفة مستمرة للاستجوابات ولا ينادى عليه باسمه بل برقمه تحت الأضواء القوية المسلطة عليه، فيضطر إلى

أن يصف نفسه برقمه لا باسمه، ويشعره السجانون بالطفولة في أفعاله فيأخذ حق الإذن في الذهاب إلى "دورة المياه" وكثيرًا لا يستجاب لطلبه، وحتى العمل الذي يكلف به يكون عملاً مضنياً كحمل بعض الصخور من مكان إلى مكان آخر ثم توجيه الأمر إليه لإرجاعه إلى المكان الأول مرة أخرى، فيصبح السجين أكثر خضوعاً تحت ضغط الخطر والتهديد الذي يحيط به فلا يشعر إلا بالفزع والإرهاب، ولا يسمح له بحمل ساعة ليفقد القدرة على تمييز الوقت فيشعر بالضياع، ومن هنا لا تبقى لدى هذا السجين إلا حرية الاختيار بين الحياة والموت وبذلك تشل ذاته، مما يؤدي إلى حدوث تحولات جذرية في شخصيته ويصبح هذا السجين عجينة في يد سجانيه يتم تشكيلها كما يريدون، فتتحطم هويته القديمة نهائياً ويصبح ضحية للعملية المخطط لها والتي تتم خطوة خطوة وتسلب الإنسان شخصيته وتعريها وتجعل منه عبداً لمريديه أو مجنديه، وهذه الحالة من الإرتداد النفسي هي التي تهيئ الظروف لتجربة التحول ويكون مستعدًا في هذه اللحظة للاعتراف بجرائم لم يرتكبها ولكنه يخترعها لنفسه ويرسم خيوطها من وحي خياله .

ويمكن استخدام هذه الأداة في تغيير شخصية الفرد بهدف السيطرة على عقله بوسائل فسيولوجية أو ميتافيزيقية، وهي العملية التي تسمى بعملية غسيل المخ أو "الدماغ" عن طريق إعادة البناء الذهني له وتوجيهه لغايات مرسومة بعد أن يجرد من ذخيرته الفكرية القديمة ومعلوماته ومبادئه ثم إعادة تشكيله مرة أخرى وتحويل إيمانه بعقيدة كان يعتنقها إلى كفر بها ثم الإيمان بنقيضها، ومن أهم أهداف غسيل المخ تحطيم الفرد معنويًا وتحطيم التمييز لديه وتذبذبه بين الشعور بالبراءة والذنب، وبين الحقيقة والخيال حتى تنهك قوته رويداً رويداً عن طريق إضعافه بدنيًا ونفسيًا ومعاناته من الألم والحرمان والتحقير والإذلال والتهوين من شأنه.

وإذا ما تم استخدام هذا الأسلوب من قبل أفراد أو جماعات ضالة أو منحرفة أو جهات معادية لوطنه أومجتمعه فإنه يصبح على استعداد أن يكتسب عقائد مخالفة لبيئته وتقاليده، بل وحتى أن يصبح عدوًا لوطنه وأهله وذويه.

ويصف بعض المحللين الشخص هنا بأنه يموت ثم يولد من جديد في الصورة المحددة له وتتحطم هويته القديمة، وفي لحظة الانهيار والاستسلام الكامل يتم إنقاذ الذات بالأمل في ميلاد جديد عن طريق الإصلاح الفكري والسيطرة الكاملة على انفعالاته وتصرفاته بعد أن يتم عزله تماما عن العالم الخارجي، وبالتالي فإن تقبله لفكرة ذنب مزعوم أوغير حقيقي ارتكبه في حق غيره يدل على نقطة اللاعودة، وباختصار فإنه يمكن وصف هذا الأسلوب بأنه أحد أساليب الضغط والتدمير النفسي يقوم به طرف ضد طرف آخر لنشر الخوف والرعب وإثارة الشك في نفسه. ويتشابه منطق منفذ المؤامرة مع مقولة مكيافيللي : "الغاية تبرر الوسيلة" فأياً كانت الوسيلة فهي سلاح يستخدمه المتآمر للتأثيرعلى سلوك غيره بهدف التحكم به والسيطرة الكاملة عليه لتنفيذ مخططاته، ولا مانع لديه من استعباده لكي يطيع أوامره وينفذ مطالبه .وقد تبين أن أكثر الأعمار تقبلاً لهذه العملية هم الشباب والمراهقون فهم مجموعة عمرية صالحة للميلاد الأيديولوجي ولديها قابلية للتشكيل والتوجيه بطريقة محكمة وملائمة للمتآمر.

ويجدر بنا هنا أن نأتي على ذكر طائفة ضالة ألحقت الضرر الكبير بالمسلمين واغتالت قيادات إسلامية جاهدت ضد المغول والصليبيين، هذه الطائفة هي طائفة الحشاشين الذين اشتق الأوربيون من اسمهم مصطلح المغتال"" " assassin حشاشين واغتيال"[٢١] assassination وتبدأ قصة هؤلاء مع رجل جاء من فارس وحمل في نفسه الأحقاد على المسلمين وإسمه الحسن الصباح وكان صديقاً للشاعر عمر الخيام ولنظام الملك وزير السلطان ملك شاه،

فأحسن إليه نظام الملك وقربه من السلطان، فلما تمكن وأصبح ذا مال وجاه حاول الوشاية بصديقه نظام الملك عند السلطان ولكن الشاه أنكر عليه غدره بصديقه الذي أحسن إليه وتشكك في نواياه ففر إلى مصر حيث كان العبيديون (الفاطميون) يحكمون مصر آنذاك بما كانوا يتبنونه من أفكار ضالة فتشرب بأفكار الحاكم بأمر الله الذي ادعى الألوهية في آخر أيامه، ومن مصر انطلق إلى الشام حيث تظاهر بمحبة آل البيت ليكسب قلوب الناس فالتف الناس حوله، ثم بدأ بعد ذلك ينحرف بهم إلى مفاهيم إلحادية مما أثارالناس والحكام عليه فلجأ إلى منهج إرهابي يغتال به معارضيه وأعداءه مبتدئاً بنظام الملك صديقه القديم وانتقل بعد ذلك إلى اغتيال كل من يقف بوجهه، وقد ظل يدرب فرق الاغتيال التي نجحت في نشر الرعب بين الدول والممالك الإسلامية ومواطنيها المعارضين له،فكيف تمكن من السيطرة على أتباعه ليضحوا بأنفسهم في سبيل تنفيذ مؤامراته؟ والجواب هوغسيل الدماغ حيث كان يعمد إلى غسل عقول أتباعه حتى يسيطر عليهم فلا يعصون له أمرًا كان هو وأتباعه يربون الأطفال والأغرار والناشئة من أبناء طائفتهم الباطنية على احتقار الدنيا والزهد فيها والمخاطرة والتضحية بالنفس وتنفيذ أوامر الاغتيال الصادرة من زعيم الطائفة" شيخ الجبل " كشرط للفوز بنعيم الجنة، وإمعاناً من الحسن الصباح وأتباعه في غسل أدمغة هؤلاء المغرر بهم كانوا يسقونهم شراب القنب وهو نوع من أنواع الحشيش، فإذا ماغابوا عن وعيهم نقلوهم إلى حدائق كانوا قد زرعوها بالقرب من المناطق المحيطة بقلعة الموت وغيرها من القلاع التابعة لهم، فلا يشعر الشاب منهم إلا بالحدائق الغناء والأشجار الوارفة الظلال والفواكه المتنوعة ونبات الحشيش المخدر فيسقونه الخمر في كؤوس مذهبة ويحيطونه بالفتيات والجواري الجميلات ويسمعونه الأنغام الشجية فإذا ماتمتع بهذا الشراب المخدر والخمر المسكر وأدمن على هذا النعيم الزائف وغاب عن وعيه يتم نقله مرة أخرى إلى حيث كان قبل نقله إلى ذلك النعيم المصطنع، وحينما

يصحو مما هو فيه يجد نفسه أمام شيخ الجبل الذي يبادره بشرح مامر به وبأن ما رآه كان الفردوس المقيم الذي ينتظره إذا ماأطاع أوامره واغتال من يأمره باغتياله فلا يملك ذلك المدمن الولهان إلا تنفيذ أوامره حتى ينتقل إلى ذلك النعيم الذي وعده به شيخ الجبل والذي عاش بعض ملامحه، فلا عجب أن تجد في بعض الأحيان أحد الحشاشين يغمد خنجره في قلب ضحيته ولا يهرب من مكان جريمته حتى يقبض عليه فيقتل ليدخل جنته الموعودة .

الاغتيالات السياسية: (٢٢)

تعتبر الاغتيالات من أكثر أدوات المؤامرة السياسية شيوعا على مر التاريخ، ولكن الإنسان العادي لايلقي لها كثير بال لأنه يعتبرها من الأحداث السياسية التي ربما يتفاعل معها مؤقتا أو يتجاهلها جزئيًا أو كليًا، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن موضوع الاغتيالات لايمسه بشكل شخصي. وتعود خطورة الاغتيالات إلى أنها تشمل شريحة مهمة من شرائح المجتمع فيتعرض لها رؤساء الدول ومجموعة مستهدفة من السياسيين ورجال الدين والصحفيين والكتاب والمفكرين وحتى الناس العاديين، كما تضم قائمة الفئات المعرضة للاغتيال المجموعات المتنافسة من العصابات ورجال الأعمال وكذلك عمليات الانتقام و الثأر الفردية والعشائرية والمذهبية والعرقية. وفي الواقع فإن عملية الاغتيال تعتبر عملا استخباراتيا عالي الدقة يتطلب من المعد جمع معلومات عن الهدف المراد القضاء عليه، أما التنفيذ فهو الشق المكمل للإعداد ويحتاج إلى موهبة شريرة وتدريب خاص لضمان الدقة في الوصول إلى الهدف المنشود .

ولا يقتصر أثر حادث اغتيال مسئول أو رئيس دولة على المغدور به بحد ذاته أو على المقربين إليه ولكن الأمر قد يتجاوز ذلك إلى اندلاع حروب بين الدول وإشعال حريق الفتنة بين الطوائف، والتاريخ يشهد بأن كثيرًا من الحروب

الأهلية التي نشبت في الكثير من بلدان العالم يرجع بعضها إلى الاغتيالات المدبرة، ومثال ذلك [٢٣] أن من أهم أسباب اندلاع الحرب العالمية الأولى هو اغتيال ولي عهد الإمبراطورية النمساوية وذلك أثناء زيارته لمدينة سراييفو عاصمة البوسنة (أحد أقاليم البلقان) في ٢٨ يونيو ١٩١٤ م حينما ظهرت هناك جماعة سلافية سياسية معارضة هدفها فصل جميع المناطق السلافية عن الإمبراطورية النمساوية والتي كانت مسرحاً لاضطرابات سياسية وعقائدية مختلفة.

وفي أثناء زيارة قام بها ولي العهد وتنقله بسيارته مع زوجته أمام حشد جماهيري هائل قام أحد الشبان متسللاً من بين الجماهير بمهاجمته بعيارات نارية من مسدسه فأصاب الدوق في حنجرته وأصاب زوجته التي ألقت بنفسها لتحمي زوجها ومات الاثنان بمجرد وصولهما إلى المستشفى إثر الإصابة.

وقد يكون الهدف من عمليات الاغتيال توريط دولتين في نزاع لاعلاقة لهما به، ومن أبرز الأمثلة[٢٤] على ذلك ما قامت به إسرائيل في مصر عندما اغتالت في أواسط القرن العشرين اللورد موين البريطاني، واستهدفت عملية القتل الإساءة إلى العلاقات التي كانت قائمة بين مصر وبريطانيا قبل اندلاع الثورة المصرية عام ١٩٥٢، وجاءت تلك المحاولة لإفشال مفاوضات إجلاء القوات البريطانية من مصر والتي كانت تجري آنذاك، وعلى الرغم من متانة العلاقات بين بريطانيا وإسرائيل وما لعبته بريطانيا من دور في تثبيت الكيان الصهيوني وزرعه ورعايته بل وانتزاع قرار من الأمم المتحدة بقيامه والاعتراف به إلى غير ذلك من المساعدات المعروفة، إلا أن إسرائيل كانت تتآمرعلى بريطانيا ومصر في آن واحد، والغريب أن هذه المؤامرة لم تكتشف رغم الجهود الكبيرة التي قامت بها أجهزة الأمن ومحاولة إلصاق التهمة بالكثير من مناهضي الاحتلال البريطاني والقوى الفاعلة في المجتمع المصري والزج بها في السجون إلا أن المصادفة وحدها هي التي ساقت إلى اكتشاف هذه المؤامرة بعد أن تم القبض

على الجناة الذين كانوا يعملون لحساب إسرائيل واعترافهم بذلك وبأنها أرسلتهم إلى مصر لتحقيق ذلك الهدف، وافتضح أمر إسرائيل في العالم وأدى إلى ردود فعل داخل بريطانيا مما أدى إلى استقالة الوزارة الإسرائيلية التي كانت وراء هذه العملية إرضاء لبريطانيا .

وقد كان لحي الدفنة السكني في العاصمة القطرية الدوحة موعد مع حادث اغتيال آخر حيث كان الرئيس الشيشاني(٢٥) الأسبق سليم خان بندربابيف يقيم بصفة مؤقتة ويعيش حياة طبيعية ولا يمارس أية نشاطات سياسية، وكانت زوجته وابنه مقيمان هناك، وكان يمضي جميع أوقاته في القراءة والكتابة حيث ألف خلال إقامته في قطر كتاباً عن تطور القضية الشيشانية، والمعروف أن بندربابيف كان قد تولى رئاسة جمهورية الشيشان عقب قيام قوات الأمن الروسية باغتيال الرئيس الشيشاني جوهر دودابيف الذي قاد انفصال الشيشان عن موسكو بعد تفكك الاتحاد السوفييتي السابق.

وكانت الحكومة الروسية قد طلبت من قطر تسليمها الرئيس الشيشاني السابق، ولكن السلطات القطرية رفضت ذلك واستندت إلى وجود نص في الدستور يمنع تسليم اللاجئين السياسيين.ولم يعلم سليم خان بندربابيف ما كان يخبئه أعداؤه من مؤامرة تم التخطيط لها بدقة عقب صلاة يوم الجمعة الموافق ١٣ فبراير ٢٠٠٤ عندما انفجرت عبوة ناسفة في سيارته وأسفرت عن مصرعه وإصابة نجله داود بجراح وقد اتهم المقاتلون الشيشان أجهزة الأمن الروسية بتدبير اغتيال بندربابيف بصفته واحداً من أبرز رموز المقاومة الشيشانية بينما نفت موسكو تورط أجهزتها في الحادث .

ولا يمكن ذكر موضوع الاغتيال كأداة للمؤامرة دون الإشارة إلى جريمة اغتيال رئيس وزراء لبنان الراحل المرحوم رفيق الحريري الذي أحدث اغتياله مع كوكبة من مرافقيه دويا هائلا ليس في لبنان وحده ولكن في العالم أجمع،

مما أدى إلى تغييرات هائلة في لبنان وفي المنطقة على المستوى السياسي والجغرافي والتاريخي، ولازالت تداعيات هذا الاغتيال مستمرة وسوف تظل كذلك لوقت غير قصير.

الانقلابات العسكرية :

ومن الوسائل التي يلجأ إليها مخططوا المؤامرة الاستعمارية وسائل شبيهة بالاغتيالات السياسية ولكنها أكثر شمولاً واتساعاً وتتمثل بالدفع باتجاه الانقلابات العسكرية كالتي حدثت في الأرجنتين [٢٦] بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٧٦ حيث أطاح انقلاب عسكري برئيسة البلاد إيزابيل بيرون زوجة الرئيس الأسبق (خوان بيرون) نتيجة تنفيذ المؤامرة التي خطط لها المتطرفون اليساريون بتكتيك الإرهاب والاغتيال برئاسة الجنرال جورج رافانيل فيديلا الذي عين نفسه رئيساً للجمهورية ووضع رئيس الجمهورية السابق تحت الإقامة الجبرية، واندلعت الفتنة في البلاد والفوضى نتيجة انتهاج الرئيس الجديد سياسة قمعية معتمداً في دعم حكمه على قادة الجيوش الثلاثة البرية والجوية والبحرية، وأعلنت أغلبية المصانع الوطنية إفلاسها فضلاً عن عدم الاستقرار السياسي والاضطراب الاجتماعي، نتيجة الإضرابات والشعور بالعزلة الداخلية، ويقدر ضحايا هذه المؤامرة بأكثر من (١٠) آلاف شخص مجهولي المصدر.

وفي تاريخ ٢٥ أبريل عام ١٩٧٤ استطاعت عناصر من الجيش[٢٧] في البرتغال التآمرعلى الحكم الدكتاتوري الذي خيم على البرتغال منذ عام١٩٦٨ وقد كان السبب المباشر للانقلاب تمرد المستعمرات البرتغالية في أفريقيا مما أثر سلباً على اقتصاديات البرتغال، كما أن الطلبة الذين أجبروا على الخدمة العسكرية في المستعمرات والقتال هناك لعبوا دورًا كبيراً في التخطيط وتنفيذ هذه المؤامرة وتصعيد حدة المعارضة ضد الحكومة، ولم تستمر رئاسة سبينولا

سوى مدة ١٦ شهراً ثم اندلعت حالة من الفوضى والعنف أدت إلى انهيار حكمه في خلال سنتين.

استغلال المبادئ الساميـة :

ينحو الإنسان في أعماقه ومشاعره نحو المبادئ السامية كنصرة الضعيف والمظلوم وإحقاق الحق ولذلك فإننا نجد أن ذلك الشعور يجد صدى في الدساتير العالمية والبرامج الحكومية الديمقراطية منها والدكتاتورية، وأنشئت منظمات تدافع عن حقوق الإنسان وإنصاف المرأة وحماية المظلومين والأقليات الدينية والعرقية وهو أمر رائع في حد ذاته و يعبرعن مبادئ سامية عكستها الأديان السماوية وعلى رأسها الدين الإسلامي الحنيف والتشريعات الدولية، إلا أن المعضلة تتمثل في الخيط الرفيع الذي يفصل بين الدفاع عن تلك المبادئ السامية وبين استغلالها لتحقيق مصالح خاصة مثل زراعة الفتن والاستيلاء على السلطة والاستعمار وحتى الاضطهاد، مما يجسد مؤامرات تحاك في الخفاء ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .

ولنأخذ أمثلة على ذلك : حرية النشر والإعلام والثقافة والتعليم إذ كفلت المواثيق حرية التعبير عن الرأي والأفكار دون تدخل من الدولة في حق الناس في الكتابة عما يجول بخاطرهم ونشره وحقهم في تنوير الرأي العام ونقل المشاعر والأفكار واستخدام أدوات النشر المختلفة للتعبير عن ذلك، ومن أمثلة ذلك أيضا حرية التعليم ومعناه حق كل فرد أو جماعة في التعليم بما في ذلك إنشاء المدارس المختلفة فكرياً وعقائدياً وكذلك حق المعلمين في اختيار طرق التدريس والمناهج المناسبة والكشف عن العيوب التي تعتري المجتمعات المختلفة إضافة إلى حرية إجراء البحوث والتجارب وإنشاء الجامعات والكليات المتخصصة للبحث عن الحقيقة العلمية دونما تدخل من السلطات الرسمية أو

فرض قيود على الباحثين والمتخصصين، وامتدت المطالبة بالحريات لتشمل في طياتها حرية العقيدة الدينية وحق ممارسة أتباعها لشعائرهم وإقامة دور عبادتهم دون اضطهاد من أحد، وتتسع قائمة الحريات لتشمل نواحي عديدة في المجتمعات والدول مثل حرية الاقتصاد تاركة الباب مفتوحاً أمامهم ليختاروا ما يشاؤون من أفكار ومن يشاؤون من حكام، وسري ذلك الشعور ليضمن حرية التجارة وعدم إخضاعها للرسوم الجمركية وغيرها من العقود التجارية التي تحد من انتقال السلع من دولة إلى أخرى مما يساعد في النهاية على تقسيم العمل بين الأمم وجعل كل أمة تتخصص بنوع معين من السلع لتصدرها إلى غيرها من الدول وفق ظروف كل دولة وإمكانياتها المادية والبشرية .

كل هذه المبادئ والأفكار السامية كانت عبر الأجيال المتعاقبة محل أخذ ورد بين أفراد الدولة الواحدة وبينهم وبين السلطات الحاكمة وبين دولة وأخرى، فمن مناداة مطلقة بالحرية كما هو الحال في المذاهب الفوضوية إلى مناداة بحرية مقيدة كما هو الحال في دول القانون والدساتير والأعراف إلى رفض لكل ذلك من قبل الدول المستبدة.وقد برزت في القرن العشرين مؤسسات وهيئات ومنظمات أهلية في معظم دول العالم تقوم بجهد مشكور هدفه التخفيف من معاناة الشعوب والدول المحتاجة إلى المساعدة الإنسانية، وكم كان رائعا أن ينخرط أبناء الديانات السماوية مع إخوانهم أبناء الملل والنحل الأخرى في جيش واحد للتصدي للمحن والأمراض والمجاعات والكوارث والجهل وأنواع كثيرة من أشكال التخلف والاستغلال البشع للإنسان وكرامته .

هذه الرحلة الطويلة للحريات والتي نادت بها الأديان والشرائع السماوية، بل والحكام العادلون والشعوب والأفراد الذين عانوا من الظلم كانت من ناحية أخرى أداةً للمؤامرات المتنوعة التي تخفي وراءها خططاً وأهدافاً لتماسيح السياسة التي تذرف دموعًا سخيةً دفاعاً عن هذه الفئة أو تلك، ولكن تلك

الدموع ليست في الحقيقة سوى مظهر من مظاهر الاستعداد للانقضاض على الفريسة باتباعها أسلوب تمزيق شعب لاستعماره أو لإحداث فتنة فيه أو تأليب غيره عليه أو الحط من شأنه أو انتقاص قدره بين بقية الشعوب والأمم فلم يسلم هذا النشاط الإنساني الإيجابي من تغلغل أياد خفية إلى عمق تلك المنظمات الأهلية والدولية لتحاول تحقيق أهدافها الخاصة بها والبعيدة كل البعد عن المقاصد السامية لتلك المنظمات، في حين قام البعض الآخر بإنشاء منظماته المشبوهة والخاصة به بحجة الإنسانية والحرية وتقديم المساعدات والمعونات، وقد قامت تلك المنظمات في الدول العربية وغيرها بإطلاق مسميات مختلفة على نفسها مثل الدفاع عن حقوق الإنسان، والحريات، والثقافات المتنوعة، والتواصل الفكري وغيرها لتخفي من ورائها بعض أغراضها المشبوهة . وقد تكشفت بعض الحقائق التي تشير بأن هناك نيات غير سليمة لبعض هذه الأنشطة والمنظمات الكثيرة، خاصة وأن بعضها يتلقى دعماً غير محدود من دول ومؤسسات ومنظمات دولية وتقف وراءها بكل السبل، وهذا الدعم يتنوع بين الدعم السياسي والمالي والفني، بل وإعطاء تسهيلات لقيادات هذه الأنشطة والمنظمات ومنحهم تأشيرات دخول مجانية وتوجيه دعوات لهم لحضور مؤتمرات ومنحهم جنسيات تلك الدول إن تطلب الأمر ذلك، والأخطر من كل ذلك التمويل الذي قد لا تحده حدود والميزانيات المفتوحة والمجهولة المصدر، أما الأسباب وراء ذلك فهي لا تخفى على هذه المنظمات وليست بريئة تماما ولا تهدف إلى مصلحة الشعوب وإنما العكس تماما، فكل أهداف مشروعاتها سرية بدءًا من جمع المعلومات المتعلقة بشرائح المجتمع الهامة للتعرف عليها واختراقها ثم تجنيدها إن أمكن لمصلحة الأطراف الخارجية المتآمرة معها، وقد أعلن في مصر أن أجهزة الأمن المصرية استطاعت إلقاء القبض على شبكة سرية يديرها أكاديمي معروف وضبطت المنشورات التي كانت بحوزة المركز الذي كان يرأسه و أنها تعرفت على الجهات التي يتم إرسالها إليها لدرجة أن

الأمر وصل إلى التعرف على طبيعة تكوين المجتمع المصري خاصة الشباب (ميولهم - اتجاهاتهم - الدرجات العلمية - نسبة الأمية - العادات والتقاليد - جوانب النقص في حياتهم - نقاط الضعف لديهم - مشاكلهم - معاناتهم) وهناك أمثلة عديدة للدعم اللامحدود الذي تحظى به جماعات ثقافية و دينية وعرقية ومذهبية عربية وإيوائهم وتسهيل إقامتهم في بلدان لا تضمر إلا الشر للعروبة والإسلام بهدف إثارة الفتن الداخلية والقلاقل لأجهزة الحكم المستقرة التي تتبنى القضايا العربية والإسلامية، ولذلك فإن بعض عمليات التمويل والدعم المشبوهة ما هي في حقيقتها إلا مؤامرة تحمل في طياتها مخاطر كثيرة على كافة المستويات أمنياً وفكرياً وسياسياً، وتتطور عمليات التمويل للجمعيات والأنشطة الأهلية وإقامة المؤسسات المختلفة ليصل أمر بعضها إلى حد تشكيل جماعات ضغط، بل وأحزاب سياسية تكون أداة ضغط في يد من يحركها من الخارج .

وكثيراً ما تسعى بعض تلك المنظمات لصب الزيت على النار بين أطراف النزاع من خلال الانحياز لطرف معين على حساب طرف آخر، وهنا تبرز بوادر الفتنة عندما يشعر أحد الأطراف بالضيم، ويحدث هذا كثيراً في النزاعات المتوترة في العالم، وأحيانًا تلعب تلك المنظمات دورا سلبياً بالنسبة لنزاع العرقيات فتميل إلى فريق دون آخر، إما لاعتبارات سياسية محضة أو لتحيز ديني أوعرقي.

والى جانب المنظمات الدولية[٢٨] هناك منظمات غير حكومية تلعب دوراً في التآمر والفتن بعيداً عن أي رقابة دولية ووجدت في دول العالم الثالث المرتع الخصب لبث أفكارها الهدامة وتآمراتها المكشوفة لزعزعة الأنظمة السياسية القائمة بها وخلخلة التركيبة السكانية حيث تقوم هذه المنظمات بنشاطاتها تحت شعارات كثيرة بزعم تقديم المعونات للأقليات وحماية حقوق الإنسان، ولكن

دورها الخفي هو تأجيج نار الفتن الطائفية والنزاعات العرقية والتفتيت الديني فضلا عن الدور الذي تلعبه هذه المنظمات والجمعيات التابعة لها كواجهات مشروعة لأجهزة الاستخبارات الأجنبية لدرجة أن التشكيك امتد ليصل إلى منظمات دولية معتبرة ولها احترامها بين الدول مثل منظمة العفو الدولية التي اتهمت بأنها تعمل بالتعاون الوثيق مع مجلس الكنائس العالمي، وأنها تأسست عام ١٩٦١ كجناح متخصص من الاستخبارات البريطانية، وأن من بين مؤسسيها "ديفيد استور" الذي عمل لفترة طويلة رئيسًا لتحرير صحيفة الأوبزرفر اللندنية، والاتهام الموجه إلى منظمة أطباء بلا حدود بأنها ساعدت المتمردين في جنوب السودان ووفرت الأموال اللازمة لشراء الأسلحة للمتمردين أثناء عملها في جنوب السودان منذ عام ١٩٧٩ م، وكذلك اتهام صندوق السلام الذي يعد من أهم قنوات توصيل منح الصندوق القومي للديمقراطية للمعارضة السودانية لدعم جهودها الدعائية والاستخباراتية، وقد خصص الصندوق ٤٠ ألف دولار لتمويل الناشطين في السودان كي يقوموا بتوثيق وجمع المعلومات لإثارة موضوع حقوق الإنسان. ومنذ تأسيس الصندوق عام ١٩٦٩م تولت إدارته "نينا سولارز" زوجة النائب الأمريكي السابق" ستيفن سولارز" المرتبط بشكل مباشر في نشاطاته برابطة ADL وهي من أهم منظمات اللوبي الصهيوني في أمريكا.

السحر والشعوذة :

لقد مارس بعض الناس السحر والشعوذة (العرافة - الكهانة) في كل أنحاء العالم منذ فجر التاريخ، وبرغم كونه محرماً فإننا نرى خلقاً كثيراً يمارسونه ولايظنونه حراماً وما يشعرون أنه الكفر وأن حد الساحر هو القتل لأنه كفر بالله، فنرى المرأة تستخدم السحر كأداة للتآمر على امرأة أخرى،

ونرى الرجل يحاول الكيد لصديقه عن طريق اللجوء للسحرة، ونرى المشعوذين يرتعون ويلعبون باستغلالهم للآخرين، وعملية السحر تتم في السر وبتدبير وتخطيط من متآمر لإيذاء شخص آخر أو تدميره أو تدمير أسرته أو أبنائه وذلك من أجل تحقيق المصالح التي يظن المتآمر أنها ستتحقق باستخدام السحر، ويدفعه إلى ذلك رغبة جموحه للكيد والانتقام فيلجأ لمثل هذه الدسائس والجرائم التي تشيع الفاحشة في المجتمع.

ويتجه آخرون إلى الاعتقاد بالسحر والإيمان به لتبديد الخوف والشك والغموض الذى يكتنفهم إذا شعروا بفقدان التحكم والسيطرة على ما ستؤول إليه الأوضاع، وفي كل الأحوال يعد اللجوء للسحر نقصاً في الثقة بالله والإيمان بالقضاء والقدر، ولكن المتآمر لا يضع أمامه إلا مصالحه وأهدافه في المقدمة.

وإذا كان استخدام السحر والشعوذة يستخدم في تنفيذ مؤامرات تمس الأفراد بغض الطرف عن الإيمان بذلك أو عدم الإيمان به، فإن وجهاً أكثر خطورة لهذا الموضوع يؤثر على الدول وربما يغير مصيرها. و ذلك حينما يلجأ متآمرون إلى مثل هذا النوع من السحر والشعوذة لتسليط السحرة والمشعوذين على زعيم سياسي أو قائد جماعة مقاتلة أو رئيس دولة فيسلبونه إرادته ويجعلون قراراته رهناً بإرادتهم ويسيرونه وفقاً لأهدافهم السياسية والشخصية، وتخطر في بالنا قصة من قصص القرن التاسع عشر في مدينة سان بطرسبرغ(٢٩) الروسية حيث كانت الطبقة الأرستقراطية مولعة بمسائل السحر والتنجيم وتحضير الأرواح وقدرة ذوي القداسة والقوى الروحية والصوفية على الشفاء من الأمراض، ومن هنا كان تعلق الإمبراطورة الكسندرا فيوديو روفونا زوجة القيصر نيقولا الثاني بأي أمل طبي أو روحاني من شأنه أن ينقذ ابنها وريث عرش روسيا من مرض نزيف الدم، وكانت تحيط نفسها

برجال القداسة إلى جانب الأطباء لهذا الغرض، وهنا أسرت إليها راهبتان متصوفتان في القصر بأمر راهب يملك قدرة روحية على الشفاء، ولم يكن ذلك الراهب سوى "غريغوري راسبوتين"، وقصة راسبوتين هذا بدأت في قريته التي ولد بها عام ١٨٦٩م في سيبريا وتحدث الناس عن صفتين امتاز بهما هذا الرجل الغريب: الأولى هي امتلاكه لقدرات روحية وقدرات على الشفاء، والثانية هي فجوره وعربدته وإفراطه في شرب الخمر، واضطر أن يهرب من قريته عقب اتهامه بسرقة حصان مخلفاً وراءه زوجة وأربعة أولاد ولجأ إلى أحد الأديرة وأصبح راهباً فيه ثم أخذ يتجول بعد ذلك من مكان إلى آخر بلا استحمام وبثياب رثة وقيود قيد بها يديه لأشهر طويلة وانضم بعد ذلك إلى طائفة تعرف باسم خاليستي. ومن غريب أمر هذه الطائفة هو اعتقادها بأن الفرد يتقرب إلى الله بارتكاب المعاصي والذنوب ثم التوبة بعد ذلك، وكانت هذه الفرقة الصوفية تمارس الضرب والجلد والممارسات الجنسية الفاضحة، وأضفت عليه تلك النزعة الصوفية الشاذة والرهبانية المبتدعة والقدرة المغناطيسية هالة جذبت إليه أتباعاً ومريدين حتى ذاع صيته، وتحدثوا عن قدرته الروحية على العلاج وأنه رأى السيدة مريم العذراء تطلب منه الذهاب إلى مدينة سان بطرسبرغ لمساعدة الأسرة المالكة .

وفي عام ١٩٠٧م تم الترحيب به في القصر الملكي أسبوعياً حيث كان يباشر معالجة ولي العهد والنزيف الذي يصيبه، ومن هنا جاء تمسك الإمبراطورة به، وشيئاً فشيئاً أصبح من أقرب المقربين إليها ومستشارها الخاص، وكذلك ازداد تعلق مريديه وأتباعه به ممن كانوا يرون أن التقرب إلى الله يتم بارتكاب المعاصي من أجل التطهير من الآثام، وكان راسبوتين ذلك الكاهن المجنون مسرفاً على نفسه بمعاقرة الخمر وتعدد العلاقات النسائية ومصاحبة العاهرات، وقد اقتنع رجلا دين بأن راسبوتين يستخدم قوى شيطانية تساعده على معجزة الشفاء فقررا قتله، فاستدرجاه وضرباه بالصليب ولكن إصابته لم

تكن مميتة. وفي محاولة أخرى هاجمته عاهرة بسكين فطعنته بشراسة ولكنها لم تقض عليه وشفى من إصابته وازدادت شهرته وازداد قربه من القصر الملكي لدرجة أنه كان يساهم في تعيين وطرد الوزراء، وكان تأثيره على الناس وخاصة النساء ساحراً لدرجة أن مدينة بطرسبرغ سميت بسببه مدينة إبليس، ومن غرائب هذا الرجل أنه كتب خطاباً للقيصر عام ١٩١٦م يخبره فيه أن أقاربه ينوون قتله وأنه إذا ما تم قتله فإن ذلك نذير شؤم عليه وأنه إذا ما حدث ذلك فإن عائلته ستفنى بعد مقتله، ولم يمض على هذا الكتاب أكثر من شهر حتى تآمر على قتله أقارب القيصر وبعض السياسيين فأوعزوا إلى امرأة جميلة بدعوته إلى منزلها فأكل كعكاً وشرب خمراً ولكنه لم يدر أنهما مسمومين، وتفاجأ المتآمرون بأن جسمه استوعب السم ولم يكن كافياً لقتله فعاجله المتآمرون ضرباً بالهراوات وإطلاق النارعليه وقيدوه ثم ألقوا بجثته في نهر نيفا ولكن لم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى قامت الثورة البلشفية وتم إعدام القيصر" نيقولا الثاني" وعائلته بأكملها.

وقد برزت تساؤلات حول أسباب قصة نهاية راسبوتين وقدرته الخارقة ففسرت تلك القدرة على وقف نزيف ولي العهد أنه كان ينومه مغناطيسياً لإبطاء النبض لتقليل قوة اندفاع الدم في الجسد، وأن السبب وراء تآمر أقرباء القيصر ضد راسبوتين هو أن قيصر روسيا وقيصر ألمانيا كانا أبناء عمومة وكان بينهما حرب، وأن الإمبراطورة الكسندرا كانت من أقارب القيصرين، وأنها ومعها راسبوتين كانا يتآمران ضد الحكم الروسي لصالح قيصر ألمانيا ويسعيان لسلام منفصل مع ألمانيا مما أوغر قلب بقية أفراد الأسرة الحاكمة الروسية ضد راسبوتين الذي يعينها على ذلك.

ونقطة أخيرة يجدر بنا أن نذكرها في هذا السياق وهي أن منهج راسبوتين الإباحي في التصوف يشابه إلى حد كبير منهج بعض الزنادقة في التاريخ

الإسلامي، حيث استغلوا صفاء قلب وزهد بعض المتصوفة وتقربهم إلى الله تعالى بالعبادات فاندسوا بينهم بحجة سلوك الطريق إلى الله ثم ما لبثوا أن نادوا بسقوط التكاليف الدينية عنهم لأنهم وصلوا إلى درجة اليقين بحجة أن العبادات للعامة، وأن الذكر أفضل من قراءة القرآن، وقالوا مثلما قال راسبوتين وجماعته الصوفية بأن المعصية أحياناً أفضل من الطاعة لأنها تقود الإنسان إلى التضرع إلى الله طلباً للتوبة، وأنهم كانوا يأتون المنكرات وتدخين الحشيش المخدر والرقص والغناء مع النساء ويعلون من شأن إبليس وفرعون ويصفونهما بأنهما يعلمان ما لا يعلمه الأنبياء، وبناء عليه فليس من الضروري أن تتوافق أعمال الولي منهم مع شريعة النبي ﷺ إلى آخر ذلك من الهرطقات والخروج عن تعاليم الدين الحنيف (٣٠) .

وبرغم تحريم الإسلام للسحر تحريماً قاطعاً واعتباره من أكبر الكبائر، إلا أن كثيراً من المتوهمين جعلوا من أنفسهم أداة طيعة بيد المشعوذين ليجعلوا منهم هدفاً سهلاً لمؤامراتهم فيستغلونهم ويسلبونهم أموالهم وأحياناً أعز مايملكون، متناسين قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ البقرة : ١٠٢ . وقوله تعالى أيضاً مخبراً عن هاروت وماروت ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾. البقرة : ١٠٢ وقال تعالى : ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ طه:٦٩ .

أما رسول الله ﷺ فقال: "اجتنبوا السبع الموبقات: منها الشرك بالله والسحر ..." حديث شريف (الموبقات هي المهلكات).

الفتن :

الفتنة هي إحدى أهم أدوات التآمر وتهدف لإحداث نوع من الاضطرابات أو التوترات أو الصراعات بين فرد وآخر أو بين أفراد المجتمع الواحد أو بين مجتمع ومجتمعات أخرى أو بين دولة ودول أخرى وذلك باتباع أساليب المكر والخداع والكذب وتزييف الحقائق وغيرها من الأساليب التي من شأنها تحطيم الطرف المقابل، وبذلك فإن باستطاعة مجموعة صغيرة من الأفراد أن يلحقوا ضررا كبيرا بعلاقات الناس والمجتمعات وحتى الدول، وذلك باستخدام ذلك الأسلوب الجهنمي، ومن هنا نبه القرآن الكريم إلى خطورة الاعتداء على الآخرين دون تثبت فقال الله تعالى في محكم كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات : ٦ وهي بكل تأكيد تندرج تحت ما قاله رسولنا الكريم ﷺ "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها"

ويعمد المتآمرون في اللجوء إلى الشائعات لأنها من أهم أدوات التآمر وزرع الفتنة، حيث أنها تثير فضول الناس وتعمل على تشتيت أفكارهم ويجد فيها المتخاصمون وسيلة لإلحاق الضرر بمن يكرهونهم، ويختلق زارع الفتنة فكرة معينة وقصصاً كاذبة أو مشوهة أو يختار جزءاً منها صحيح وأكثرها كاذب فيضعون لها سيناريوهات يداعبون فيها خيال المتلقين حتى يقوموا بدورهم بتبنيها وإضافة بعض الألفاظ والقصص الأخرى لها وفقاً لأهوائهم واتجاهاتهم ليتناقلها الناس من شخص إلى آخر حتى تصبح حديث المدينة أو ربما العالم، وكم من بيوت هدمت وضحايا ظلمت بسبب هذا النوع من الفتن.

ولذلك نجد أن الأستاذ مختار التهامي[٣١] قد عرفها بأنها: " الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه فيه برغم

وجود جانب ضئيل من الحقيقة في ثناياه أو إضافة معلومات كاذبة مشوهة لخبر معظمه غير صحيح أو تفسيره بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة ".

وبرغم أن الشائعات لا تتميز بالموضوعية والصدق والأمانة ، إلا أنها الأقدر على التسلل إلى أعماق الجماهير، وتزداد خطورتها حينما لا يكتفي البعض بتصديقها بل يضيف إليها من عنده، وهنا يظهر الخطر من ورائها ، والإشاعة لا تخضع لرقابة قانون ولا لعادات أو لأعراف معينة، فهي عملية غالباً ما تكون مجهولة المصدر ويظهر نجاحها أو فشلها بعد وقت قصير من رواجها، أو أحياناً بعد فترات طويلة من تنفيذها، ومع ذلك فنجاحها في الرأي العام وفي الفكر المضاد يكون ساحقاً برغم صعوبة تقديره، كما أن الفشل في احتوائها قد يكون مدمراً ، وإن كان غير ملموس.

وعلى المستوى الإعلامي، فإن ازدياد عدد الفضائيات وعصر السماوات المفتوحة والإنترنت ووسائل الإعلام المختلفة زاد من وعي الناس وثقافتهم السياسية إلا إنه زاد من ناحية أخرى من سرعة انتشار الشائعات والروايات المغلوطة التي ترد على شكل خبر أو تحليل سياسي أو التركيز على الجوانب السلبية مع إهمال متعمد لجوانب إيجابية مهمة، فشبكات الشائعات الفضائية والإعلامية والالكترونية تؤثر بقوة في الرأي العام وتوجهه توجيها يصعب معه الدفاع عن الرأي الآخر، فلا شك أن أضرار الشائعات كبيرة جداً وأثرها سلبي على العدو المستهدف لما تحدثه من تحطيم للروح المعنوية للجبهة الداخلية وللسمعة الدولية.

أما من الناحية العسكرية فإن الإشاعة[٣٢] جزء من الحرب الشاملة وتشن قبل الحروب وأثنائها وفي أعقابها و لها بالغ الأثر على الجيوش، وقد استخدم "جنكيز خان" هذه الوسيلة (الشائعات) في الزهو بقواته لإرهاب أعدائه وبث الأوهام بأن جيوشه مثل الجراد لا يمكن أن يحصيها العدو وأن جنوده

لا يعرفون إلا الحرب حتى أن قادتهم المغول يبذلون جهداً كبيراً في تهدئتهم ومحاولة منعهم من القتال.

الغزو الفكري والثقافي :

لا ريب في أن الثقافة مرادفة للشخصية وهي بالنسبة للمجتمع مرادفة للشخصية القومية التي يتميز بها هذا المجتمع، إنها تلك الخيوط التي تربط المجتمع والتي نسجتها مجموعة الأفكار والمعتقدات والتقاليد وأساليب التفكير وأنماط السلوك وجميع طرائق الحياة التي طورها الإنسان في المجتمع، وهي جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، فالثقافة هي التي تجعل من الإنسان كائناً متميزاً بعقله وقدراته على النقد والالتزام الأخلاقي.ولا شك أن ثورة الاتصالات والفضائيات أعطت ثقافة البلاد المتميزة في هذا المجال قدرات هائلة لم تتوافر لغيرها، وساعدها ذلك على فرض تبعيتها وأنماطها على الثقافات الأخرى.

ومن ناحية أخرى فإن الغزو الفكري والثقافي[٢٣] يعتبر أداة مثالية للتآمر على الشعوب الأخرى للنيل من ثروات البلدان الأخرى واحتلال مواقعها الإستراتيجية، فتسعى هذه الدول عن طريق استغلالها للدعاية الموجهة للعبث بفكر وثقافة وحضارة الغير وفرض التبعية الفكرية التي لا تقل خطراً عن استخدام الأسلحة النارية، فهي كدس السم بالعسل فتقتل وهي صامتة لأنها تستهدف إلغاء الهوية الحضارية للخصم، ويأتي التحدي الأكبر لثقافة الدول عندما يصل الأمر لتقبل بعض الأفراد لثقافة معادية، بل والدفاع عنها وتبني فكرها وبثه للآخرين برغم علمهم بأن هذه المؤامرة تحمل بين ثناياها بذور السيطرة الخارجية على الثقافة القومية، ويبدو أن ثمة استعداد عند البعض لتقبل كل ما يقدمه الغير، بل واعتناق هذه الأفكار والدفاع عنها دون وعي أو تمحيص،

وبالتالي تنشأ مشكلة خطيرة هي تعطيل ملكات الفكر الإبداعي وشل القدرات الفكرية ومن ثم الاستسلام الذهني لمعتقدات الغير ومذاهبه الدينية والفلسفية وقيمه الاجتماعية والأخلاقية حتي وإن كانت بالية، وأصبح تقبل أساليب الغزو الثقافي واقعًا ثقيلاً كاتماً على أنفاس الأمم فامتد كالسرطان إلى مختلف نواحي الحياة سواء الأدبية أو الاجتماعية أو العلمية حتى شمل دقائق الأشياء كألفاظ التحية وطرائق الكلام والطعام والملبس....

ولنأخذ مجال الثقافة والتعليم مثالاً على التشويه المتعمد لكل ما هو عربي، ذلك أن المراجع العلمية والموسوعات والقواميس يتم إعدادها لتثقيف الناس واكتسابهم لشتى أنواع المعارف والعلوم، وينكب الناس على قراءتها والاستفادة مما تحتويه من مواد علمية وثقافية مما جعل القراء يثقون بها على اعتبار أنها كانت حصيلة بحث علمي دقيق ومحايد عكف عليها علماء متخصصون يبتغون تثقيف القراء تثقيفاً عادلاً، إلا أن هذه المراجع الرصينة لم تخل من دس تتآمر به على شعوب معينة لتعلي من شأن قوم وتحط من قدر آخرين. ولكي نضرب مثالاً علي ذلك نورد تعريف العرب كما جاء في قاموس أمريكي يعرف العربي بأوصاف منحطة، ففي الطبعة الجديدة من قاموس " وبستر " (٣٤) الذي يماثل في الولايات المتحدة من حيث الأهمية والمرجعية المطلقة قاموس أوكسفورد عند الإنجليز، تظهر في معجم المفردات كلمة عربي " Arabian " وأمامها المرادفات الآتية والتي نورد هنا ترجمتها العربية مكتفين ببعضها : (المتشرد، المتسكع، العالة، الشحاذ، المنحرف، البائع، المتجول، المدعي أو المزايد) وأمام مدخل معاداة السامية الشرح أو التعريف التالي مرقوماً برقم (٢) بعد التعريف الشائع في طبعته الأخيرة نجد تعريفا ثانيا : (معاداة الصهيونية: التعاطف مع خصوم دولة إسرائيل).

وإزاء هذا التحيز والتعسف والتعصب الواضح ضد العرب انبرت د. وفاء كامل فايد عضو مجمع اللغة العربية في دمشق وأستاذ علم اللغة العربية بكلية

الآداب جامعة القاهرة للدفاع عن كرامة العرب القومية فقدمت مع آخرين احتجاجاً لهيئة المعجم ومؤسسة "وبستر" فكان الرد بمثابة الإصرار على الاستمرار في الخطأ وتركه بلا تصحيح تحت حجة أنه مستند في تعريفه للعرب إلى ما يطلقه عليهم الغربيون وغيرهم وأنه منقول من التراث الشفهي لهم ولكننا لا نجد استناداً لهذا التراث الشفهي حينما يتم تعريف إليهودي أو الاسرائيلي، وأضافت د. وفاء كامل بأن الأمر يتطلب تضافر كل الجهود القانونية والدبلوماسية والقضائية والرسمية لحذف هذه الالفاظ والتصميم على العدول عنها.

ثم مضت تقول : إن مؤسسة " وبستر " أصدرت الطبعة الثالثة والجديدة من القاموس متضمنة التعريف الذي أقره الكونجرس في أكتوبر عام ٢٠٠٢ بخصوص معاداة السامية التي لم تعد تشمل العداء لليهود بوصفهم أقلية دينية وعرقية فحسب كما ذهبت إلى ذلك طبعة "وبستر" الأولى والثانية بل شمل التعريف العداء للصهيونية والتعاطف مع أعداء دولة إسرائيل .وترى د. وفاء فايد [٣٥] أن مسئوليتنا كمثقفين وأكاديميين وحقوقيين تتطلب تعرية مثل هذه المزاعم المستندة إلى القانون والتي تدعي أنها أكاديمية سواء صدرت عن الكونجرس واتخذت صيغة قانون مجحف ومنحاز أو التي وردت في معاجم صدرت عن جهات أكاديمية، فمثل هذه التخريجات التي تنتحل الصفة الأكاديمية والقانونية تستهدف المزيد من إذعان الأمة العربية بتشويهات فكرية وثقافية مغرضة عارية عن الصحة تماماً وتشكل جزءاً من الحملة الأيديولوجية المعادية للعرب والمسلمين .

وتعود د. وفاء لتطالب الرأي العام العربي والأجنبي من المتعاطفين مع العرب في كل مكان بالاحتجاج على مثل هذه الافتراءات ونفس المطالبة تشمل

الجامعة العربية والحكومات العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والجامعات والأكاديميات العربية والإسلامية لترفع صوتها للاحتجاج لدى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ولدى كل الجهات المشرفة على إصدار قاموس " وبستر ".

وتشدد د. وفاء مطالبتها للمحامين العرب الشرفاء مقاضاة القائمين على المعجم الأمريكي أمام المحاكم الأمريكية أو الأوروبية وتستصرخ الشرفاء الغيورين على كرامتهم من أبناء الوطن العربي أن يساهموا في حملة تبرعات وتمويل حملة للدفاع عن الشرف حيث أن مقاضاة كهذه ستكون مكلفة من الناحية المادية من حيث تعيين الخبراء اللغويين وما إلى ذلك لإثبات العكس" قانونياً خاصة وأن المؤسسة المعنية أرسلت رداً هو بمثابة رفض أكثر منه اعتذاراً مؤكدين أنهم سوف يتداركون هذا الأمر عند الشروع في إصدار الطبعة الجديدة من هذا المعجم، أي بعد مرور فترة تتراوح بين سبع إلى عشر سنوات .

وعلى الرغم من أننا ذكرنا مثالاً للدلالة على التشويه الحضاري التي سعت الصهيونية العالمية لإلحاقه بنا كعرب وكمسلمين، إلا أنه لايجب أن يغيب عن أذهاننا أن هؤلاء الصهاينة ليسوا الوحيدين الذين يستهدفوننا،بل إن هناك أطرافاً أخرى لاتقل خطراً عنهم، ويكفي أن نراجع المواقع الإلكترونية لنكتشف ذلك .

www.books4all.net منتدى سور الأزبكية

الحواشي المرجعية

(١) عبد الرحمن الرافعي . فى أعقاب الثورة المصرية . ص٢٣٠ .

(٢) يينبرغ أدم . مصدر سابق . ص ٧، ٢١ .

(٣) عمر هارون خليفة . مصدر سابق . ص ٧ .

(٤) صحيفة الأنباء الكويتية . ٢٨ فبراير ٢٠٠٤ . ع ٩٩٩٩ . ص١، ٢١ .

(٥) يوسف أبو بكر . مصدر سابق . ص ٦٦ .

(٦) فريد الفالوجي . مصدر سابق .

(٧) يوسف أبو بكر . مصدر سابق . ص ٦٦ .

(٨) سعيد الجزائري. مصدر سابق. ص ١٥٩ .

(٩) كلاين، راي . مصدر سابق . ص ١٥ .

(١٠) صحيفة الأهرام المصرية . ١٩ ديسمبر ٢٠٠٣ . ع ٤٢٧٤٦ . ص ٢٤ .

(١١) صلاح سالم . سابق . ص٢٢٣ .

(١٢) حمد سعيد الموعد . مصدر سابق . ص ١٥٢ .

(١٣) صحيفة الأهرام المصرية . ١٩ ديسمبر ٢٠٠٣ . ع ٤٢٧٤٦ . ص ٢٤

(١٤) ذياب البداينة . مصدر سابق . ص ١٨١ .

(١٥) عوفر، تسفي. مصدر سابق . ص ٧٤ .

(١٦) صحيفة الوطن الكويتية (الموقع الإلكتروني). أحمد صالح . المؤامرات تطل من جديد. ١٢ مايو ٢٠٠٥ .

(١٧) نفس المصدر. ١٢ مايو ٢٠٠٥ .

(١٨) دورندان، غي . مصدر سابق . ص ٢٥ .

(١٩) أحمد بدر . مصدر سابق . ص ٢٥ .

(٢٠) نفس المصدر . ص ٢٥ .

(٢١) صلاح أبو السعود . المرجع الكامل فى الفرق والجماعات.. . ص ٨٤ .

(٢٢) يوسف أبو بكر . مصدر سابق . ص ٥٧ .

(٢٣) صلاح منتصر. مصدر سابق. ص ١٢ .

(٢٤) هاليفي، إيلان، ألفريد ليلينتال . مصدر سابق . ص ٩٢ .

(٢٥) صحيفة الأهرام المصرية . ١٦ فبراير ٢٠٠٤ . ص٢ .

(٢٦) الموسوعة السياسية التاريخية. مصدر سابق. ص٣٤٨ .

(٢٧) نفس المصدر . ص ٣٤٤ .

(٢٨) مجلة المجتمع الكويتية . ١٨ يونيو ,١٩٩٦ ع ١٢٠٤ . ص٢٠ .

(٢٩) عبد الوهاب الكيالي. مصدر سابق . ص٤ .

(٣٠) عبد الرحمن عبد الخالق . الصوفية.

(٣١) مختار التهامي. مصدر سابق . ص١٢٢ .

(٣٢) محمد عبد القادر حاتم . مصدر سابق . ص١٨١ .

(٣٣) عبد الستار فتح الله سعيد . مصدر سابق . ص٧٦ .

(٣٤) صحيفة الأهرام المصرية . ١٩ أغسطس ٢٠٠٥ . ص١٣ .

(٣٥) مجلة المجتمع الكويتية. ٨ أكتوبر ٢٠٠٥ . ع ١٦٧٢ . ص٣٢ .

الفصل الثالث

المؤامرة على العرب والمسلمين فى فجر الإسلام

١- العرب الجاهليون

٢- اليهود

٣- الفرس الكسرويون

٤- الروم

www.books4all.net

المؤامرة على العرب والمسلمين في فجر الإسلام

واجه الرسول الكريم ﷺ وصحبه الكرام ومن تلاهم من الصالحين مصاعب جمة وتحديات كبيرة في سبيل رفع كلمة لااله إلا الله محمد رسول الله، وكان بعض تلك التحديات ذا طابع محلي وكان البعض الآخر خارجي، ولكنها كانت تهدف في الأساس إلى القضاء على هذا الدين عن طريق محاربة العرب الذين حملوا راية الإسلام والذين ما انفكوا يواجهون المؤامرات والدسائس منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، ويمكن الإشارة في الفقرات التالية إلى ملامح عن بعض تلك المؤامرات:

١- العرب الجاهليون:

كان العرب[١] يعيشون كقبائل متحالفة ومتنافرة في مناطق يغلب عليها الطابع الصحراوي، وقد كانت صحراؤهم قاحلة وطاردة لغير سكانها الذين ألفوا العيش فيها، وكانوا يرتحلون من مكان إلى آخر طلباً للمرعى أو على شكل قوافل تجارية، فلم يكونوا كثيري احتكاك بغيرهم، وهو الأمر الذي ساعد على حفظ تراثهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم من التغيير والذوبان، فامتازوا بفصاحة اللسان ودقة البيان والقدرة على الفهم والتعبير، فكانوا مهيئين لاستيعاب مفردات الرسالة الجديدة ومعانيها ونقلها إلى غيرهم من الأمم .

وكان بعض مالديهم من عادات و ثقافة وفكر وتراث يعد مفخرة في المقاييس الإنسانية كالنخوة والكرم والصدق والأمانة والمروءة وماشابهها من الصفات الحميدة بينما كان البعض الآخر منها سلبياً وجاهلياً بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى كالتعصب القبلي الأعمى الذي أطلق عليه القرآن الكريم وصف الجاهلية والذي جعل واحدة من حروبهم ضد بعضهم تستمر أربعين سنة من أجل ناقة، وشاعت بينهم عبادات وفدت اليهم من الخارج إثر احتكاك بعضهم بغيرهم من الشعوب والأمم، فأرسل الله إليهم رسول البشرية ليرسخ في نفوسهم ماشاع بينهم من قيم إنسانية ويحرم عليهم ماشذ منها عن الطريق المستقيم، وينهاهم عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى، وليحملهم أعباء نقل تلك المفاهيم السامية إلى غيرهم من بني البشر.

ولد النبي(٢) محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عام ٥٧١م واستمرت بعثته الشريفة إلى عام٦٣٢م، ولم تكن براهينه التي يقنع بها الناس تعتمد بشكل أساسي على المعجزات والخوارق بقدر ما كان يسعى إلى تحرير العقل وإطلاق الفكر، وكان دليله كلمات الله، وسعى إلى توحيد العرب تحت راية لا اله إلا الله محمد رسول الله، فوجهه سبحانه وتعالى في البداية إلى مخاطبة بني قومه، إذ قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٤ ثم وسع سبحانه وتعالى الدائرة ليشمل بدعوته أهل المدينة ومن كانوا خارجها فقال سبحانه وتعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ الشورى : ٧ ثم وجهه سبحانه وتعالى مرة أخرى لهداية جميع بني البشر، فقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ سبأ:٢٨

آمن العرب برسالته السامية منذ البداية، ولكن الجاهليين منهم والمستأثرين بالسيادة لم يرتقوا إلى مستوى تلك الرسالة ولم يعينوا نبي الهدى في نشرها أو مواجهة التحديات والمؤامرات التي تستهدفها،كما أسلفنا آنفاً، بل كانوا

جزءاً منها أو سبباً فيها بدافع من جهل أوقلة وعي أو رغبة في مطامع آنية. وعلى الرغم من النعمة النادرة التي أنعمها الله عليهم بنقلهم من هامش التاريخ إلى بؤرته حينما بعث فيهم من يختتم الرسالات السماوية فإن الجاهليين لم يدركوا المغزى البعيد لتلك الرسالة السامية فشنوا الحرب عليه وعلى أصحابه، وتعرض الرسول الكريم ﷺ وأصحابه المؤمنون إلى كل أنواع المؤامرات، وخاض وصحبه الكرام معارك مثله مثل غيره من الرسل والأنبياء لإرساء كلمة الحق، واستمر الكفار والمشركون في مكابرتهم في الوقوف نداً لدعوة الحق التي جاء بها سيد الخلق فعقدوا اجتماعاً تزعمه الوليد بن المغيرة وضم جميع وجهاء قريش لتوحيد الهجوم عليه، واتهموه بالسحر وبأنه كاهن وشاعر وبأنه مجنون وراحوا في اجتماعهم يدرسون سبل إجهاض دعوته.

وحتى حينما اقتنع حكماء وصناديد من قريش بالإسلام مثل حمزة وعمر رضي الله عنهما بالمعاني السامية للإسلام لم ينضم الجاهليون إلى دعوة الوحدة، بل استكبروا وكابروا ولجأوا إلى الضغط الاقتصادي وعقدوا معاهدة لحصار المسلمين تضمنت عدم الزواج من أي مسلم وألا يبيع أهل مكة للمسلمين أو يبتاعوا منهم شيئاً ولم يكتفوا بذلك بل سلطوا على الرسول الكريم ﷺ الحمقى والسفهاء ليرمونه بالحجارة ويسخرون منه في الطائف.

وسنحت مرة أخرى فرصة الاتحاد على الحق عندما بايعه أهل المدينة بيعة العقبة الكبرى ولكن دعاة الجاهلية لم ينضموا اليهم وتنادى رؤساء مكة ومشركوها للاجتماع في دار الندوة لتدبير مؤامرة ضد النبي الكريم فاقترح فريق منهم أن يقيدوه في الحديد ثم يلقوه في السجن حتى يموت جوعاً، واقترح آخرون أن ينفى من مكة ويطرد منها فتنفض قريش يدها منه، واقترح أبو جهل أن يختاروا من كل قبيلة شاباً قوياً يسلح بسيف ثم يضربونه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه بين القبائل، وأحكمت أطراف المؤامرة واتفق على موعد

التنفيذ. وكشف القرآن الكريم تدبير الذين كفروا في قوله تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ الأنفال: ٣٠ فأوحى الله إلى نبيه أن يهاجر من مكة إلى المدينة، وقد أراد النبي منذ تلك اللحظة تأسيس دولة الإسلام وقد تم له ذلك بفضل من الله تعالى، ولم تأت محاولاته لتوحيد كلمة العرب، إلا ليجعل منهم قدوة لإخوانهم المسلمين.

٢- اليهود [٣]:

يعود النزوح اليهودي إلى الجزيرة العربية إلى مراحل زمنية يرى البعض أن بدايته كانت بعد موت موسى عليه السلام، وإن اختلفت المصادر التاريخية في تحديد كيفية وزمن النزوح، إلا أن البعض منها قال إنه خرج من القوم كاهنان من ولد الكوهن بن هارون ومعهما أهلهما قريظة والنضير فكونا القبيلتين الكبيرتين في شمال الحجاز واستوطنوها بعد حروب طويلة مع العماليق أولئك العرب الذين وفدوا من اليمن واستقروا في يثرب والذين تجمعوا في قبيلتين كبيرتين هما الأوس والخزرج، ويرى فريق آخر من المؤرخين أن بداية النزوح اليهودي إلى الجزيرة العربية جاء نتيجة لاجتياح الملك البابلي "بختنصر" لفلسطين وتدميره لمعابد اليهود ولهيكلهم وحرق التوراة وقتل الكثير من اليهود وسبى النساء والأولاد، ويعتقد أن الهجرة اليهودية المؤثرة إلى الجزيرة العربية بدأت عام ٧٠م عندما بطش القائد الروماني تيطس باليهود ثم جاء بعده القائد هارديان فأحرق الحائط الذي يبكون أمامه وأحرق معابدهم وهدم العديد من مبانيهم، فهرب الكثير من اليهود إلى ارض الحجاز حيث أرست القبائل اليهودية الأولى دعائم الوجود اليهودي فيها وفيما حولها، وهناك هجرة يهودية كبيرة داخل أرض الجزيرة العربية نفسها حدثت عام ٥٢٥م عندما حفر يهود اليمن خندقا كبيرًا وأحرقوا فيه المسيحيين فاستنجد ملك الروم المسيحي بالأحباش

فأرسلوا جيشا برئاسة أبرهة الأشرم فهزم اليهود وهم تحت امرة ملكهم " ذى فواسى ففر كثير من يهود اليمن إلى يثرب ليعيشوا مع قبيلتي الأوس والخزرج، واستقر اليهود في يثرب، وخيبر وتيماء بشمال الجزيرة العربية وعاشوا وراء حصون وقلاع خاصة بهم، ومع مرور السنين أصبح بعض اليهود في الجزيرة العربية يماثلون العرب في ملبسهم وعاداتهم ولغتهم وحذق البعض منهم في قرض الشعر لما وجدوا في اللغة العربية من غزارة وجمال ساعدتهم على ذلك، فأصبح بعضهم من الشعراء الفصحاء، كما أصبح لهم شأن في الحوادث السياسية التي سبقت ظهور الإسلام وصارت أسماء قبائلهم عربية وتسمى اليهود بأسماء العرب وقامت بين بعضهم وبين بعض العرب علاقات الزواج والمصاهرة .

وكان من المفترض أن ينشد يهود الجزيرة الفارين من الاضطهاد المسيحي في فلسطين الأمان والحرية في مجتمعهم الجديد، إلا أن تسلط أحبارهم عليهم وتفسيرهم للتوراة وفق أهوائهم جعلهم يطوعون شريعة التوراة إلى الشكل الذي يرونه مناسباً لمصالحهم بحيث يحقق لهم المزيد من السيطرة على اليهود، فأصبح للأحبار الكلمة العليا بينهم وأصبحت مقدرات اليهود رهنًا بيد الأحبار وزاد الفجور والبغي مع اختفاء الشرائع السماوية وحرم أحبار اليهود على بنى دينهم الاقتراب من الكعبة الشريفة في مكة لأنهم كانوا يعرفون أن إبراهيم الخليل عليه السلام هو الذي رفع قواعدها ومعه ابنه إسماعيل عليه السلام وأن الكعبة هي بيت الله الذي أمر إبراهيم ببنائه لكنهم لم يقربوا البيت العتيق لعلمهم أن إسماعيل علية السلام الذي انحدر منه العرب، هو الذي اشترك مع الخليل في البناء وليس أخوه إسحاق عليه السلام الذي انحدر منه اليهود، فكان ذلك هو السبب الذي أبعدهم عن بيت الله وتركوا الشرك يرتع حوله حتى تتدنس حرمة البيت وتظل بعيدة عن التقديس فيسودون وحدهم بتوجيه اليهود، ولم يدركوا أن الله عز وجل قد قدر الأمر من قبل وأن دينه ظاهر على الأمر كله ولو

كره الكافرون، وقد زاد في عداوتهم للعرب احتفاظ قسم منهم بعصبيتهم القومية فلم يؤقلموا أنفسهم مع العرب ولم يندمجوا معهم بل حرصوا دوما على التفاخر بيهوديتهم واحتقارهم للعرب فأسموهم أرحبيتتن (الوحوش) والأرذال المتأخرين، وكانوا يرون أن أموال العرب مباحة لهم يستولون عليها كيفما شاؤوا، ولم يتحمسوا في نشر دينهم إنما كان أمر الدنيا هو همهم الأكبر فتخصصوا في الفأل والسحر والنفث، وكانوا يرون في أنفسهم أنهم أصحاب علم وفضل وقيادة وروحانية واحترفوا التجارة والصناعة فكونوا ثروات هائلة وأرسوا صناعة قوية للسلاح وكل ما يستخدم فيه المعدن من الأواني والقدور والدروع وغيرها، وقد كانوا يبيعونها للعرب باستعمال أسلوب الربا في الإقراض، والذي أدى في النهاية إلى عجز العرب عن السداد إلى أن أخذوا أراضي العرب واحتكروا تجارة الخمر والتمور والشعير والأغنام وأصبح لليهود في يثرب الكلمة العليا في كل ما يتعلق باقتصاديات تلك المنطقة من الجزيرة العربية، وعاشوا في يثرب منتهجين مبدأ التآمر وزرع الدسائس والغش بين القبائل العربية المجاورة يفرقون بعضها عن بعض ويعملون على نشوب الحرب واستمراريتها وبقائها دائمة بين هذه القبائل، وكان كلما احتاج فريق إلى المال سارعوا إلى إِقراضهم لإبقاء نار الحرب بينهم متقدة وهم يتهللون فرحاً كلما شاهدوا المذابح أمامهم لأنهم يحفظون بذلك بقاءهم وكيانهم بالمنطقة ويجنون في نفس الوقت أرباحا ربوية تحقق لهم ثروات وأملاك هائلة .

وعندما غرقت البشرية[٤] في متاهات الظلام وغياهب الجهل وانتشر الشرك بالله واتخاذ الأنداد وعمت الفوضى في الأخلاق وحاربوا ما جاء على لسان إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، بعث الله تعالى محمد ﷺ داعياً إلى الله أمراً بالعدل والإنصاف فحث على مكارم الأخلاق ونبذ الشرك وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، كما نهى عن الفواحش وقول الزور وبث الفتن وأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وآمن به الكثير، ومن

هؤلاء صحابته الذين كانوا خير عونٍ له حيث اختارهم الله لصحبة رسوله الكريم في فترة بعثته.

دخل رسول الله محمد ﷺ المدينة فوجد فيها ثلاث فئات الأولى : المسلمين من قبيلتي الأوس والخزرج الذين تمسكوا بعصبيتهم القبلية وكانت بينهما في الجاهلية حروب ضروس، فآخى رسول الله ﷺ بينهما، أما الفئة الثانية فقد كانت المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبيّ بن سلول (٥) وكانت الفئة الثالثة هم اليهود الذين كانوا يحيطون بالمدينة وقد ضمتهم ثلاث قبائل كبيرة هي بنو قينقاع وعاشوا داخل المدينة في حي وسوق خاص بهم، وبنو النضير وكانت ديارهم بضواحي المدينة، وبنو قريظة وكانت ديارهم في مواجهة بنى النضير بضواحي المدينة.

وقد آمن بدعوته ﷺ كثير من اليهود الذين هفت قلوبهم إلى النبي المنتظر الذي جاء ذكره عندهم لما عرفوه من البشارات القديمة الواردة في التوراة والتي تبشر بظهور نبي مرسل يظهر في منطقة جبال فاران،ومن المعروف أن جبال فاران هي جبال مكة . فقد جاء في سفر التثنية " وهذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله اسرائيل قبل موته فقال : جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران ". وسيناء هو الجبل الذي تلقى به سيدنا موسى رسالته، وساعير هي قرية مجاورة لبيت المقدس التي تلقى فيها سيدنا عيسى رسالته، أما فاران فهو الاسم القديم لمكة حيث تلقى سيدنا محمد ﷺ رسالته. إلا أن المكابرين من اليهود ممن تآمروا على الأنبياء والرسل وموسى وعيسى وقتلوا يحيى وزكريا عليهما السلام رأوا أن الدين الجديد قد أصبح منافساً لهم ويوشك أن يقضي على نفوذهم وينتزع زعامتهم، فكرهوا محمداً ونظروا إليه وأتباعه نظرة الحسد والحقد والبغضاء وبدت عداوتهم واضحة حينما رأوا الناس ومن ضمنهم اليهود يدخلون في دين الله أفواجاً .

وقد كان هؤلاء المكابرون ينتظرون أن يكون النبي المبعوث من اليهود، مع أنهم كانوا يعلمون بانقطاع النبوة فيهم بعد قتلهم النبي يحيى عليه السلام، إلا أنهم كتموا عداوتهم له ﷺ عند أول وصوله إلى المدينة، وعقد معهم عليه السلام معاهدة ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال والتعاهد على عدم الخيانة والتعاون عسكريا ضد أي هجوم يقع على أي طرف منهما،إلا أنهم سرعان ما بدأوا يحيكون أول المؤامرات ضده رغم أنهم أكثر الناس علمًا بأنه نبي مرسل من عند الله فأخذوا يكيدون الدسائس ويخرقون المعاهدات الواحدة تلو الأخرى وكلما كانوا يرون اتساع دائرة الإسلام ونفوذه كلما ازدادوا حقدًا وحنقًا عليه .

وكان انتصار الإسلام في غزوة بدر نقطة تحول رئيسية في العلاقة بين المسلمين واليهود بالمدينة حيث توقع اليهود أن يقضي كفار قريش على المسلمين وعندما جاءت النتيجة عكس ما كانوا يرغبون بدأوا يحيكون المؤامرة لقتله ﷺ وللخلاص منه ومن دعوته.

وقد ذكرت كتب السيرة مؤامراتهم ودسائسهم للقضاء على الإسلام ومنها :

١ - إثارة الأحقاد والبغضاء بواسطة الأوس والخزرج واستفادوا مما كان بينهم وبين القبيلتين من الحلف والجوار في الجاهلية للاحتماء بهم مما قد يلحق بهم من أذى في إثارة الفتنة .

٢ - تشكيك المسلمين في دينهم، وهذه المؤامرة للنيل من الضعفاء من الناس على أمر دينهم عندما اتفقوا على إظهار الإيمان أول النهار والصلاة مع المسلمين حتى إذا جاء آخر النهار ارتدوا ليقول الجهلة إنما ردهم لدينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين الإسلام .وقد أخبرنا الله تعالى بذلك في

قوله الكريم ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ آل عمران: ٧٢.

٣ – دخول جماعة من اليهود في الإسلام لكنهم في حقيقة الأمر كانوا من المنافقين وكان في إسلامهم تجسس على المسلمين ونقل أخبارهم إلى اليهود وحلفائهم من المشركين، وكان جلوسهم مع المسلمين لإثارة الشكوك في قلوب الضعفاء وللاتصال بمن كان من الأوس والخزرج . وكانوا عندما يستمعون لأحاديث المسلمين يسخرون منهم ويستهزئون بدينهم، ولإبطال فتنتهم نزل الوحي بالنهي عن الاتصال باليهود والاطمئنان إليهم، وبقطع صلة المسلمين بهم خوف الفتنة عليهم فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً .... ﴾ إلى آخر الآية الكريمة آل عمران :١١٨: ١١٩ .وبذلك قطعت هذه الآية على المسلمين مباطنة اليهود والركون إليهم للأضرار التي لحقت بهم من هذا الاتصال .

ولم يكتف هؤلاء النفر من اليهود بالمؤامرة والفتنة التي يثيرونها بين المسلمين بل أخذوا يقفون إلى جانب كفار قريش معلنين عداءهم الصريح للإسلام فصبر الرسول ﷺ عليهم إلى أن نقضوا العهود، عند ذلك رأى ضرورة مواجهة من أرادوا منهم إجهاض دعوته عسكرياً لتأديبهم وهم :

يهود بني النضير :

عندما خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعين بهم في دفع دية قتيلين من بني عامر قتلهما عمر بن أمية، فتآمروا على رسول الله عندما انتدبوا لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ليلقي عليه صخرة من فوق البيت عند خروجه في

نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما تآمروا عليه فخرج ورجع إلى المدينة بسرعة، وأمر الرسول بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، فتحصنوا منه في الحصون، وأمر الرسول بقطع النخيل والتحريق فيها، فقذف الله في قلوبهم الرعب وسألوا رسول الله أن يكف عن دمائهم ويجليهم مقابل ما حملت الإبل من المال ففعل، ثم خرجوا من ديارهم إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام .

يهود بني قينقاع (حلفاء الخزرج) :

عندما تفاقم أمرهم واشتد بغيهم جمعهم رسول الله فوعظهم ودعاهم إلى الهدى وحذرهم من مغبة البغي ولكنهم ازدادوا في شرهم وغطرستهم وازدادوا جرأة واستمروا بإثارة القلق والاضطرابات والمؤامرات والتحرش بالمسلمين في المدينة .

وقد روى ابن هشام عن أبي عون أن امرأة من العرب قدمت لبيع جلب لها في سوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ فجعلوا يراودونها على كشف وجهها، وعندما رفضت عمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي غافلة، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا عليها فصاحت مستنجدة، فجاء رجل من المسلمين إلى الصائغ فقتله فاجتمع اليهود على المسلم فقتلوه فاستنجد أهل المسلم بالمسلمين على اليهود وحينئذٍ نفذ صبر رسول الله ﷺ فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر وأعطى لواء المسلمين لحمزة بن عبد المطلب وسار بجنود الله إلى بني قينقاع وحاصرهم في حصنهم أشد حصار، فقام عبد الله ابن أبيّ بن سلول فشفع فيهم عند رسول الله ففك قيودهم وأمر بإجلائهم .

يهود بني قريظة (حلفاء الأوس) [٦] :

كان بين بني قريظة ورسول الله ﷺ عهد وميثاق لكنهم نقضوا العهد في غزوة الأحزاب عندما تآمروا مع إخوانهم يهود بني النضير في بث الفتنة بين أحزاب العرب من قريش وغطفان وتشجيعهم على محاربة المسلمين، ولو سارت الأمور على ما أرادوا لقضوا على الرسول ﷺ وأصحابه ولانتهى أمر الإسلام في تلك المعركة.

ولما انتهت غزوة الأحزاب بهزيمة المشركين عندما زلزل الله أقدامهم ، نزل جبريل إلى الرسول الكريم ﷺ ليأمره بأن يواصل المسير إلى يهود بني قريظة فحاصرهم النبي وقذف الله في قلوبهم الرعب واستسلموا فحبسهم الرسول ﷺ بالمدينة، ثم خرج إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليها فضرب أعناقهم في تلك الخنادق لأنهم في كل مرة يستكينون عندما تضيق الدوائر بهم ثم يعودون إلى التآمر مرة أخرى في أول سانحة تسنح لهم لقتله.

يهود خيبر[٧] :

كانت خيبر مدينة كبيرة ذات حصون على بعد حوالي ٨٠ ميلاً من المدينة فأصبحت بعد جلاء اليهود من المدينة ملجأً لكثير من اليهود الكارهين للإسلام، وأهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة ثم أخذوا بالاتصال بالمنافقين الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي، فأراد رسول الله أن يستريح منهم ويأمن شرهم، فبدأ بغزوهم وفتح حصونهم حصناً تلو الأخر حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن ينفيهم ويحقن دماءهم ففعل، وقد كانت نهاية خيبر هي نهاية نفوذ يهود جزيرة العرب. ولم تكن حروب النبي ﷺ معهم أو إجلاؤهم عن جزيرة العرب إلى أماكن بعيدة إلا آخر وسيلة ليأمن شرهم وليتقي فتنهم ومؤامراتهم التي ما انفكوا يحيكونها ويشعلونها بين المسلمين ومثال ذلك : أن رأس اليهود "كعب بن الأشرف"[٨] كان

من أشد اليهود حنقاً على الإسلام وكان غنياً مترفاً معروفاً بجماله في العرب شاعراً من شعرائها، فلما بلغه خبر انتصار المسلمين وقتل صناديد الكفر من قريش في بدر قال : أحق هذا ؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، وبدأ عدو الله في هجاء الرسول الكريم وبمدح قريش وتحريضهم عليه، فنزل على المطلب ابن أبي وداعة السهمي وجعل ينشد الأشعار يبكي فيها على قتلى قريش على يد المسلمين ليثير حفائظهم ويوقظ فتنتهم ويذكي حقدهم ويثير حفائظهم ويدعوهم إلى حرب النبي ﷺ، فلما علم النبي بخبره بعث إليه محمد بن مسلمة لقتله، وعندما علمت اليهود بمصرعه دب الرعب في قلوبهم وعلموا أن النبي لن يتوانى عن استخدام القوة حين يرى أن النصح لا يجدي نفعاً لمن يريد العبث بالأمن وإثارة الاضطرابات وعدم احترام المواثيق فلم يحركوا ساكناً لقتله بل لزموا الهدوء وتظاهروا بإيفاء العهود واستكانوا .

وحين بدأت المواجهات بين المسلمين واليهود ترك اليهود على أثرها ديارهم بالمدينة هاربين إلى بلاد الفرس، أما الجناحان الباقيان من اليهود فقد حاسبهم الرسول عليه السلام بعد صلح الحديبية جراء عدوانهم على الإسلام وتحالفهم ضد المسلمين فحاصرهم ودك حصونهم حتى طلب اليهود الصلح على أن يرحلوا نهائيا عن المدينة، ورغم كل ذلك عرض عليهم النبي محمد عليه الصلاة والسلام أن يظلوا في الأرض يزرعونها كما كانوا يفعلون من قبل على أن يتقاضوا نصف ما تنتجه الأرض من محصول نظير عملهم ففضلوا الرحيل، وبرحيلهم انتهت آخر فصول تواجدهم بالجزيرة العربية وتوزعوا أشتاتاً في بعض البلدان العربية وغير العربية.

إلا أن ذلك الرحيل الاختياري الذي فضله اليهود على العيش بسلام بين المسلمين كان مقدمة لمرحلة جديدة من المؤامرات والفتن التي كانت فتنة عبدالله بن سبأ من أشدها شراسة والتي لازالت آثارها المدمرة ماثلة أمامنا إلى يومنا هذا .

وقد بدأت القصة بعد وفاة النبي ﷺ حيث تولى الخلافة أبو بكر الصديق، وكان أحق الصحابة وأفضلهم وأعلمهم وأحكمهم على تحمل أمر الأمة بعد نبيها فأجمع الصحابة على بيعته بالخلافة وارتضوه إماماً وقائداً، وقد أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب فكتب بذلك كتاباً أوصى فيه المسلمين باستخلاف عمر من بعده، فواصل بالمسلمين مسيرة الخير والهدى مقتدياً بخطى النبي ﷺ وابي بكر رضي الله عنه بعد أن أجمع الناس عليه وبايعوه. وبعد أن حطمت سيوف الإسلام في عهده عروش الكفر والطغيان بدأت مكائدهم ومؤامراتهم للقضاء على الإسلام، وبعد استشهاد الفاروق تولى أمر الأمة ذو النورين عثمان بن عفان، فقرر اليهود الثأر لأسلافهم بإحداث المؤامرات والفتن لتفريق شمل المسلمين وزعزعة استقرارهم وعقيدتهم وأوكلوا الأمر لعبد الله بن سبأ لما علمت اليهود فيه من مكر وخبث ومؤهلات تمكنه من إحداث فتنة عظيمة في كيان الدولة الإسلامية ليحاول إفساد العقيدة في نفوسهم،وكان ابن سبأ يهودياً من أهل صنعاء واسمه عبد الله، وكانت أمه سوداء البشرة ولذلك لقب بابن السوداء لما ظهر شره. وقد تظاهر بالإسلام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولقب بابن سبأ بعد إسلامه المزعوم .

خطة ابن سبأ لتنفيذ مؤامراته [٩] :

١- التشكيك في الخلافةالقائمة :

أ - كان العنصر الأول الذي انتهجه بن سبأ هو السعي لتكوين أتباع ومؤيدين وأعوان وفي إعداد مراسلين ليبعث بهم إلى الولايات والأمصار ومن ثم تكوين أنصار جدد ومريدين يأتمرون بأمره في أرجاء الدولة الإسلامية.

ب - ركز ابن سبأ في دعوته على الطعن في شخصية عثمان بن عفان.

ج - التزامه بمنهج السرية في دعوته فقد بث دعاته وكاتب من استفسر في الأمصار ودعاهم إلى الحرص على السرية في دعوتهم، وحثهم على التظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والكتابة إلى أبناء المناطق المختلفة بكتب يظهرون فيها عيوب ولاتهم فقال لهم : ابدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر. فبث دعاته وكاتب من كان قد استمالهم من سكان هذه المناطق، وحثهم على السرية في نشر الدعوة حتى لايتصدى لها العارفون بحقيقة الأمر لإحباطها لأنهم كانوا يبطنون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يعلنون.وبدأ أهل كل منطقة من الذين استطاع استمالتهم بنشر الأمر في المناطق الأخرى، وبذلك هيأ ابن سبأ الأرضية الخصبة التي ستنطلق منها خططه ومؤامراته .

وقد حقق ابن سبأ (١٠) النجاح الذي كان يريده حيث شاعت أفكاره وانتشرت سمومه ومزاعمه المغلوطة وانتشرت دعوته حتى بلغت المدينة فذهب بعض القوم إلى عثمان رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال: لا والله. فأخبروه بالذي عرفوه فقال للصحابة :" أنتم شركائي وشهود المؤمنين فاشيروا علي" فأشاروا عليه أن يبعث من يستطلع أخبار المناطق ففعل ذلك، وجاء الرسل وأخبروه أنهم لم ينكروا شيئاً أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وأن الأمراء يقسطون بين الرعية ويقومون عليهم .

فكتب عثمان إلى أهل الأمصار كتاباً يذكر ما بلغه من الإشاعات والطعن في القائمين على أمر المناطق وطلب منهم موافاته وكتب للمسلمين يخبرهم بذلك و يقول : " لقد وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع على شيء ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته وليس لي والعمال حق قبل الرعية إلا متروك لهم، وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواما يشتمون وآخرين يضربون فمن ادعى

شيئاً من ذلك فليواف الموسم ليأخذ بحقه حيث كان مني ومن العمال أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين"، فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا إن الأمر لينذر بشر، ولم يرض ابن سبأ وزعماء هذه الفتنة عن نتائج هذه المؤامرة وعن السياسة الحكيمة الرشيدة للخليفة الراشد عثمان لأن ابن سبأ لم يرد الإصلاح ولم يدخل الإسلام إلا لهدف في نفسه هو نشر الفتنة بين المسلمين، وهذا الموقف الحكيم من الخليفة الراشد كشف خطط هذا اليهودي الحاقد فلجأ إلى ابتداع فكرة إرسال كتب مزورة إلى من يريد تحريضه على عثمان وولاته بأسماء طائفة من كبار الصحابة ثم كتب مزورة باسم الخليفة نفسه، فقد روى ابن كثير أنهم بن سبأ وأعوانه زوروا على لسان عائشة رضي الله عنها كتاباً تأمر فيه الناس بالخروج على عثمان، فلما علمت بالأمر نفت ذلك وقالت لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا، وادعوا كذلك أن سيدنا علي بن أبي طالب قد كتب إلى الثوار يطلب فيه منهم أن يقدموا عليه المدينة فتصدى لهم رضي الله عنه وفند أكاذيبهم قائلاً" والله ما كتبت إليكم كتاباً، " ثم ابتدع فكرة إرسال الكتب المزورة(١١) إلى من يريد تحريضه على عثمان وولاته بأسماء طائفة من كبار الصحابة ثم كتب كتبًا مزورة باسم الخليفة نفسه. وفى نهاية الأمرنجح ابن سبأ في تعبئة المناوئين ضد عثمان وتلفيق أقوال غير صحيحة منسوبة إلى كبار الصحابة لإقناع المسلمين بأكاذيبه. وقد نجحت تلك المؤامرات في إحداث ثورة مسلحة ضد عثمان رضي الله عنه، ففي السنة الخامسة والثلاثين وصلت الحركة السبئية ذروتها واستكملت الثورة المبيتة والمعدة عناصرها سلفاً وذلك عندما تكاتب السبئيون من مصر والكوفة والبصرة وتواعدوا على أن تخرج كتائب ثورتهم إلى المدينة، فأحاط الثوار بالمدينة وذكروا لعثمان أموراً فتلطف بهم وأجاب على تساؤلاتهم، وقد أدرك المسلمون أنهم أصحاب شر فأشاروا

على الخليفة بقتلهم وأبى عثمان إلا تركهم فانصرفوا وقد تواعدوا على المجيء في شهر شوال من السنة نفسها حتى يغزونه وكأنهم حجاج .

ولما جاء الموعد خرج الثوار قاصدين المدينة وحاصروا عثمان رضي الله عنه في بيته واستمر الحصار من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة، فلما كان ذلك اليوم قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار وكانوا قرابة السبعمائة أتوا لحمايته ومنهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبى هريرة رضي الله عنهم أجمعين. فقال لهم : " أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وينطلق إلى منزله، وقال : من أغمد سيفه فهو حر، وأما السبب في ذلك فهو أن عثمان رضي الله عنه أراد حقن دماء المسلمين والحفاظ على بقية كبار الصحابة وصغارهم الباقين في المدينة لأن في هلاكهم ضياع للمسلمين، ولذا أمر الصحابة جميعاً بإلقاء السلاح وألزمهم بيوتهم، وكان عثمان رضي الله عنه قد رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله، وشدد الثوار على عثمان رضي الله عنه ومنعوا عنه الماء ومنعوه من الصلاة بالناس ثم ارتكبوا جريمتهم بأن تسوروا عليه داره وقتلوه، وكان بين يديه كتاب الله صائماً لم يفطر في شهر الله الحرام في أرض الله الحرام .

٢- التشكيك في الخلافة السابقة (١٢) :

حمل ابن سبأ في دعواه الضالة فكرتين للتشكيك بالخلافة روج لهما بعناية فائقة بين أهل المناطق التي اختارها مثل مصر و الحجاز و الكوفة و البصرة وبلاد الشام واليمن .

وتضمنت الفكرتان اللتان روج لهما ابن سبأ ما يلي :

١ - القول بأحقية محمد صلى الله عليه وسلم بالرجعة بعد وفاته حيث وجد لها صدى وقبولا لدى العامة من الناس والمغرضين عندما طرحها عليهم، وأخذوا يتكلمون فيها ويتجادلون حولها، وقال: "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمد لا يرجع، وقد فسر الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ القصص : ٨٥ تفسيراً مضللاً ليقول بأن محمداً أحق بالرجوع من عيسى عليهما السلام .

٢ - قال لهم إنه كان هناك ألف نبي، ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو نفس المعتقد الذي كان يعتقده قبل إسلامه في يوشع بن نون (خادم موسى عليه السلام) فقال في إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ بمثل ذلك، ثم قال محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وعلي خاتم الأولياء ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة وقد أراد ابن سبأ من ذلك تمزيق دولة الإسلام والتجني على خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث قال: إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه .

وبعد أن اكتملت مؤامرة عبد الله بن سبأ باستشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه انتقل أمر الأمة إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمبايعة الصحابة له خليفة رابعاً للمسلمين، ولكن ابن سبأ لم يكن يهمه أمر تولي سيدنا علي رضي الله عنه الخلافة، بل كان يريد الفتنة فأخذ يدعو أتباعه ومن اغتر به إلى أن ولاية سيدنا علي لا تتم إلا بالبراءة من أعدائه، وهم في نظره الخلفاء الراشدون السابقون له في الخلافة، فكان ابن سبأ أول من أظهر البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، كما نص على ذلك كبار العلماء [١٣] من

السنة والشيعة المتقدمين كالأشعري، القمي، الكشي والنوبختي، فقد نقل عنهم في كتبهم:

«وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة " فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك، وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه». وهكذا استطاع عبد الله بن سبأ بما بثه بين أتباعه من عقيدة الوصية والرجعة والبراءة من الصحابة، ثم إظهاره الغلو في سيدنا علي وأبنائه أن يضع الجذور الأساسية لفرقة تستمد مبادئها وأفكارها من اليهود في ثوب إسلامي، ونسبت هذه الفرقة اليه وأطلق عليها السبيئة، ثم نهلت فرق أخرى من معين الفكر السبئي كل على قدر ضلالته وبعده عن الإسلام كانت هذه تحركات ابن سبأ داخل الدولة الإسلامية وعلاقاته بالآخرين حيث قام ابن سبأ بتشكيل شبكة التآمر هذه وخطط لها وكان عقلها المدبر وشملت الشبكة جميع المناطق الإسلامية حيث انتشرت الأعمال التخريبية المهددة لبنية الدولة وسلطتها.

ورغم وجود تلك المؤامرات إلا أن الأمر استتب للدين الحنيف الذي التف حوله العرب والمسلمون بل وحتى غير المسلمين، ولكن العرب واجهوا منذ عهدهم الأول مشاكل كبيرة تتهدد وحدتهم بسبب المسؤليات الملقاة على عاتقهم بالمحافظة على هذا الدين وإبلاغ رسالته إلى غيرهم من الأمم كما أمرهم الله ورسوله الكريم ﷺ، فكانت المشكلة التي واجهتهم هي أن الدولة الإسلامية نشأت بين إمبراطوريتين كبيرتين كانتا تتحكمان في مصير المنطقة آنذاك وهما الإمبراطورية الفارسية التي كانت تنظر للعرب نظرة دونية والإمبراطورية الرومانية التي تتحكم بها جهالات عمياء تسود أوروبا كلها، الأمر الذي أثار

حفيظة الإمبراطوريتين على العرب بأن تكون لهم دولة حيث ظلوا عبر قرون عديدة مجرد قبائل مترحلة لا يجمع بين بعضها الكثير من الصلات القوية، وقد خضع البعض منها للنفوذ الفارسي والبعض الآخر للنفوذ الروماني، لذلك كان أمراً طبيعيا أن تجد الدولة الإسلامية كل مقاومة عند قيامها خاصة بعد أن أصبحت تهدد كيان هاتين الإمبراطوريتين، واستطاعت فعلاً خلال مرحلة تاريخية قصيرة أن تحرر كثيراً من المناطق العربية التي كانت محتلة من قبل هاتين الإمبراطوريتين، بل إن كثيراً من المناطق التي كانت تعتنق عقائد غير إسلامية سرعان ما اعتنقت الديانة الجديدة بعد أن تبين لها الرشد من الغي .

٣ ـ الفرس الكسرويون[١٤]:

كانت القبائل الفارسية القديمة المستقرة تؤمن بأن "مزدا" هو إلههم وأنه يقف إلى جانب الخير ضد عقيدة الشياطين التي يؤمن بها اللصوص وقطاع الطرق والقبائل الرحل، واعتقدوا أنه يرسل الأنبياء مثل زرادشت الذي ادعى في القرن السابع قبل الميلاد بأنه نبي مرسل من مزدا، وقال بأن الصراع بين الخير والشر هو صراع بين النور والظلام وأن امتزاجهما معاً ولد الخير والشر والصلاح والفساد، وهكذا فالعالم عبارة عن صراع بينهما إلى أن يتغلب الخير على الشر ويخلص الخير إلى عالم خاص به، كما ينحط الشر إلى عالم آخر خاص به أيضاً .

وقد اعتنق ازدشير الأول وابنه سابور هذه العقيدة بعد أن أضاف اليها طقوساً مثل : تقديس الماء وتأليه الشمس كمصدر للنور، وظهر بعد ذلك ماني عام ٢١٥ بعد ولادة السيد المسيح عليه السلام وأضاف للعقيدة الزرادشتية أبعاداً أخرى مسيحية كعقيدة التثليث، وأخذ عن الهنود عقيدة التناسخ، وقال بأنه آخر الأنبياء ونجح في إدخال أحد حكام ذلك الزمان وهو سابور بن

ازدشير إلى مذهبه، إلا إن بهرام بن هرمز ابن سابور قام بقتله لأنه يدعو إلى الزهد في وقت كان فيه بهرام يبني دولة عسكرية، فلجأ أتباع ماني إلى العمل السري وانتظار يوم الظهور إلى سطح الأحداث مرة أخرى، إلى أن ظهر منهم رجل اسمه مزدك بن بامداد في أيام قباذ والد كسرى أنوشروان عام ٤٨٧م وقال بأن الاقتتال سببه عدم المساواة ولذلك يجب التساوي بين الناس في كل شيء، ومن أركان ذلك التساوي إباحة الممتلكات مثل الماء والأرزاق والزوجات، وقد انضم إليهم "جاماسب" أخو قباذ ثم قباذ نفسه فتحولت الدولة إلى شيوعية اغتصبت من خلالها الأموال والأعراض وضاعت الأنساب حتى أن الرجل لم يعد يعرف إبنه ولا الابن يعرف أباه مما أدخل البلاد في فوضى عارمة، فلما جاء عهد كسرى بن قباذ تصدى لهم ورد الأموال إلى أهلها وحاربهم وقتل مزدك وأنصاره وعاد إلى المجوسية، فلجأ اتباع مزدك إلى العمل السري وسايروا الأوضاع ولكنهم في حقيقة الأمر كانوا يتآمرون على كسرى أنوشروان . وهكذا كان حال الفرس القدماء، فمن ينتصر منهم يظهر إلى العلن، ومن ينهزم منهم يلجأ إلى العمل السرى ليتآمر على المنتصر.

ولما جاء الإسلام كان الفرس يحتلون المحطة الأولى لتبليغ الرسالة السامية وللفتوحات الإسلامية، مماجعل العرب الواقعين تحت سيطرتهم يقبلون على الدين الجديد بحماس شديد، بل إن الفرس أنفسهم أقبلوا على الدين الجديد بحماس وصدر رحب لما وجدوا فيه من تسامح و عدالة لم يعهدوها من قبل في عهد كسرى بن هرمز بن كسرى، ووجدوا في الدين الجديد معانٍ إنسانية لم تكن موجودة من قبل في أديانهم السابقة كالمساواة والتخلص من العبودية لملوكهم ولرجال الدين القدماء الذين كانوا يسيطرون عليهم بالمعتقدات الباطلة ويحصدون قوت يومهم، فانصرفوا عن المعتقدات البالية السابقة التي أخضعهم لها الحكام ورجال الأديان السابقة والدهاقنة وهم التجار وملاك الإقطاعيات وحسن إسلام كثير منهم وساهموا مساهمة مشرفة مع إخوانهم العرب في

نشر الدين الإسلامي الحنيف بل ظهر منهم من العلماء فى فترة لاحقة من المبرزين الذين اقتدي بهم العرب، ويكفي أن نشير إلى أن اثنين من كبار العلماء الذين اقتدي بهم العرب كانا من الاعاجم، وهما الامام أبو حنيفة النعمان والامام أحمد بن حنبل. ولكن كان من بين الكسرويين من لم يدخل نور الإسلام إلى قلوبهم، وكان من بينهم من لم يتمكنوا من إقناع أتباعهم بالعودة مرة أخرى إلى الديانات القديمة التي كانوا يمارسونها بسرية في عهد كسرى ومن قبله من الحكام، وكان من بينهم من لم يرضوا بأن يختل النظام الطبقي المجحف الذي حكموا به الفرس أو أن يتحرر العرب من سيطرتهم، وهالهم أن يروا كيانهم السياسي ينتقل إلى يد المسلمين سواءً كانوا عرباً أو عجماً أو غيرهم فصبوا جام غضبهم وحقدهم على العرب الذين جاؤوا بهذا الدين الجديد الذي انجذب إليه عامة الفرس وخاصتهم، وسيطرت على الفرس الأكاسرة وأتباعهم فكرة استعادة ملك إمبراطوريتهم القديمة والسيطرة مرة أخرى على العرب والتحكم بمصائر الفرس المسلمين الذين تمردوا عليهم واعتنقوا الإسلام، فبدأ تآمر هؤلاء على العرب منذ الوهلة الأولى التي أحكمت فيها الجيوش الإسلامية سيطرتها على بلاد فارس، فبعد معركة نهاوند التى دارت رحاها عام ٦٤٢م والتي انتصرت فيها القوات العربية الإسلامية فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه على قوات يزدجر الثالث، بدأت الأيادى الخفية تلعب دورها بسرية لتقويض هذا الدين، وقد اعتقدوا في بداية الأمر أن قتل الرجل الأول في دولة العرب كفيل بإنهاء وجودها أو بذر الشقاق بين قياداتها بحيث يتمخض الأمر في النهاية إلى التناحر والاقتتال بين العرب أنفسهم أو بينهم وبين الفرس الذين أعتنقوا الإسلام بحيث يتمكن حكام الفرس ورجالات دياناتهم القديمة في النهاية من إعادة تنظيم جيوشهم واستعادة زمام الأمور من يد العرب ومن يد من أسلم من الفرس، فانتدبت المجوسية أبا لؤلؤة فيروز المجوسي لينفذ أول مؤامرة لهم ضد الإسلام ، فأخذ يتحين الفرصة لاغتيال

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد أن استطاع التسلل والتظاهر بالعمل كحداد مسالم، وفعلا تم له ذلك ونفذ جريمة الاغتيال بطعنة مسمومة من خنجر أودت بحياة سيدنا عمر بن الخطاب الذي قال : "الحمد لله الذي لم يجعل موتي بيد رجل يدعي الإسلام،غير أن ذلك لم يجد نفعا لأن المسلمين من عرب وعجم كانوا في عهد الخلفاء الراشدين قد دفنوا تعصبهم الجاهلي البغيض بعد أن انتسبوا إلى ماهو أجل وأسمى من العنصرية التي تشيع البغضاء بين الناس فكانوا بذلك في أوج مظاهر وحدتهم وقوتهم، وعندها أدركت القيادات الفارسية الكسروية المخلوعة الحاقدة على الإسلام ودهاقنتها وأصحاب الملل السرية القديمة صعوبة تفتت المسلمين وتفرقهم، فلجأوا إلى مؤامرات جديدة تهدف إلى تشويه الدين الإسلامي ودس الأكذيب والأباطيل والخرافات فيه ليفرغوا هذا الدين من محتواه الذي نزل به القرآن الكريم، فاعتنقوا الإسلام ظاهريا وأخذوا يخططون بسرية ليخلطوا عقائدهم السابقة بالإسلام فتصبح العقيدة الإسلامية عبارة عن مزيج من العقائد والأديان ظاهرها إسلامي وباطنها غير ذلك، ولم يكتف المتعصبون منهم بذلك بل تعاونوا مع اليهودي المتظاهر بالإسلام عبد الله بن سبأ في بث الإشاعات التي كان ينادى بها ثم التشهير بالقرارات الإدارية لعثمان بن عفان وأخيراً في محاولة قتله .

بدأت بعض الأطروحات الغريبة تطرح في الساحة العربية إذ انتشر عبد الله ابن سبأ وبعض المتآمرين من الفرس الكسرويين في أوساط العرب وأحيائها وراحوا ينفثون سمومهم في تلك الأوساط، حتى أن بعض السبئية وبعض المانوية والمزدكية نشطوا في إثارة الادعاءات والدعاوى السياسية والدينية الخاطئة بين صفوف العرب، وتظاهروا بالالتفاف حول الإمام علي بن أبى طالب رضي الله عنه واستمروا فى ذلك إلى أن تولى سيدنا علي رضى الله عنه الخلافة فخلعوا عليه صفة الألوهية وقالوا له أنت الإله، غير أن الإمام علي استنكر بحصافته فعلتهم تلك لأنه لم يكن ليرضى أن تخلع عليه صفات اختص

الله سبحانه بها نفسه، ولعلمه بأهدافهم البعيدة التي ترمي إلى تقويض الدين الحنيف فحاول ثنيهم عن ذلك ولكنهم استمروا في غيهم فأمر رضي الله عنه بإحراق الجماعات المغالية وكتبهم حيث أمر بنار فأججت ثم ألقاهم وكتبهم في النار، يقول صاحب ديوان الإمام علي بن أبي طالب ما نصه: يروى أن قوماً غلب حب الإمام علي على قلوبهم فألهوه واتخذوه رباً وكفروا بالله وبما جاء به النبي ﷺ وادعوا أن الإمام خالقهم ورازقهم فما كان منه إلا أن زجرهم وتوعدهم واستتابهم فأبوا إلا المضي في غيهم وضلالهم، فحفر لهم حفراً ودخن فيها عليهم رغبة في توبتهم قبل إحراقهم، ولما لم يتوبوا حرقهم وهو يقول:

لما رأيت الأمر أمراً منكرا   أججت ناري ودعوت قنبرا

ثم احتفرت حفراً وحفرا   وقنبر يحطم حطماً منكرا [١٥]

وقنبر هو مولى سيدنا علي رضي الله عنه.

وعملوا بعد ذلك على إثارة الفتنة بين العرب من أجل جرهم إلى منازعات داخلية تسهل عليهم أمر القضاء عليهم، وقد عمل زادويه على تدبير المؤامرة الثلاثية التي استهدفت سيدنا علي بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان،عمرو ابن العاص، وقد فشل المتآمرون في قتل الثاني والثالث في نفس الليلة المحددة لتنفيذ المؤامرة ولم يذهب ضحية ذلك الغدر سوى الإمام علي كرم الله وجهه، ففي ليلة السابع عشر من رمضان في السنة الحادية والأربعين للهجرة تسلل الغادر عبد الرحمن بن ملجم إلى المسجد وتمكن من طعن الإمام وهو ينادى لصلاة الصبح فسقط شهيدًا ثم ألقي القبض على المجرم الآثم وتم القصاص منه.

وفي أواخر العصر الأموي انصرف ذوو النحل الفارسية القديمة والدهاقنة ومن والاهم إلى العمل السري ضد العرب. وقد ارتأت القيادات الفارسية آنذاك أن

الخروج على الدولة العربية بات أمرًا ضروريًا، غير أنه ليس في الإمكان أن يأتي خروجهم هذا مؤطراً بنزعة فارسية محضة، خاصة وأن العرب آنذاك كانوا يملكون الكثرة والقوة في الدولة، لذلك لم يكن أمامهم من سبيل لتحقيق أغراضهم إلا استغلال حب العرب والمسلمين لآل بيت الرسول ﷺ فساروا في ركبهم والالتفاف حول آل البيت الكرام والعمل على انقسام العرب بين مؤيدين للأمويين ومعارضين لهم، فإذا انتصرت هذه الحركة كان الحكم في ظاهره للعرب وفي حقيقته حكمًا كسروياً يخدم الديانات والحكومات الفارسية القديمة، ويرى البعض أن أبا سلمة الخلال كبير الدعاة للدولة العباسية كان يكيد للحكام العرب ووجد الفرصة قد باتت سانحة لتمزيق العرب والانتهاء من حكمهم ونقل الأمر إلى الفرس أنفسهم، لذلك ظل يعمل على محورين أحدهما هو مقاتلة الأمويين والآخر هو الدس بين أبناء علي وأبناء العباس رضي الله عنهما حتى ينتهي الأمر إلى تمزق العرب مرة أخرى بعد انتصارهم على الأمويين، فينقسمون إلى فريقين متخاصمين، فريق مؤيد للعلويين وفريق آخر مؤيد للعباسيين. وهكذا استمرت المؤامرات تحاك ضد الدولة الأموية طيلة مراحل تاريخها، خاصة مع ابتعاد بعض حكامها عن روح الإسلام، فلما سقطت دولة الأمويين حلت محلها الدولة العباسية التي لم يكن حكامها بأفضل حال من أسلافهم الأمويين إلى أن وصلت في بعض عصورها الأخيرة إلى التدمير الكامل للدولة . أما من الناحية العقائدية فقد حاول كل فريق من معتنقي الديانات الفارسية القديمة إحياء أمجاده، فظهر القرامطة الذين أرادوا إعادة أمجاد المزدكية فاحتلوا مناطق في الكوفة والبحرين والإحساء واليمن وبلاد الشام، وكان دعاتهم يحضون على شيوعية النساء، والإباحية، وظهرت كذلك الأبومسلمية الذين قالوا بإمامة أبي مسلم الخراساني بعد مقتله، وبأنه حي لم يمت ولم يقتل، ثم تفرعت عنها فرق كثيرة كالرزامية والبركوكية الذين زعموا بحلول روح الإله في أبي مسلم الخراساني وهي نفس معتقدات المجوسية القديمة.

٤- الروم [١٦]:

إذا أردنا أن نتحدث عن التحديات والمؤامرات التي واجهها العرب في هذا المجال وفي علاقة الإسلام بالغرب فلا بد لنا من الرجوع إلى أحداث ما قبل ظهور الإسلام بقليل حيث كان الصراع مستعرًا بين الفرس والروم، وكان الفريقان المتناحران يستغلان القبائل العربية التي كانت تسكن على تخوم الدولتين للإقتتال فيما بينهما نيابة عنهما، فكان الفرس يدفعون بالمناذرة لقتال الغساسنة الذين كان الروم يزجون بهم لقتال المناذرة، إلا أن الأمر استقر للروم في نهاية الأمر حينما استولى الإمبراطور البيزنطي هرقل عام ٦٢٨م على المدائن، فاعتبر ذلك نصراً للروم وللمسيحية على الفرس وعقائدهم. ولم يكن الروم أو الفرس يعلمون أن دينًا جديدًا كان قد بزغ نجمه وهفت قلوب الناس اليه زرافات ووحدانا لما وجدوا فيه من إنقاذ من الضلالة والشرك، فأقبل عليه المسيحيون واليهود وذوو المعتقدات الأخرى وفاضت أعينهم بالدمع عند تلاوته، وتأثر به امبراطور الروم وملك الحبشة، إلا أنهما خشيا بطش رجال الدين المسيحي، وفي الجانب الآخر تصدى له جمع من رجال الدين المسيحيين الشرقيين التابعين للنفوذ البيزنطي، فأرسلوا رسلهم محذرين من ظهور نبي وصفوه بالمزيف الذي جمع كتابات العهدين القديم والجديد والذي حسب زعمهم جاء بهرطقة مسيحية جديدة. ومنذ عام٦٣٤م بدأت الكتابات البيزنطية بالنيل من الدين الجديد ومن نبيه محمد ﷺ، وقد زاد من حقدهم عليه نجاح الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلى بلادالشام في الأعوام (٦٣٦-٦٣٧م) وترحيب الأقباط المصريين بالمسلمين لما كانوا يلقونه من معاملة جائرة من المسيحيين البيزنطيين ومعاملة حسنة من المسلمين،ثم تواصل الزحف الإسلامي على مصر وشمال أفريقيا، فانبرت الأقلام البيزنطية لتشوه هذا الدين الحنيف وتصف نجاحه بأنه غضب من الله على النصارى، واستمرت حملة تشويه

صورة الإسلام والمسلمين عند الغرب في كتابات المؤرخ الإنجليزي بيديه (٦٧٣-٧٣٥م)، ووصفهم البابا أربان الثاني في فرنسا ١٠٩٥م في خطبه بأنهم جنس وثني ينحدر من ذرية قابيل أبناء العاهرات،وخرج الراهب يواقيم الفلوري (١١٤٥-١٢٠٢م) بنظرية مؤداها أن الإصحاح الثالث لرؤيا يوحنا تقول «بأن وحشا سيطلع من البحر وله سبعة رؤوس تشير إلى أعداء المسيحية، وأن الرأس الرابع يشيرالى محمد ﷺ».

كما زرع اليهود الفتن المتتالية بين المسيحيين والمسلمين والتي أثمرت في النهاية عن الحرب الصليبية، وهذا ما يؤكده الكثير من المؤرخين، إذ يرون أن غزو السلاجقة لآسيا الصغرى هو البداية الحقيقية للحروب الصليبية التي شنها المسيحيون على المسلمين، فلقد أشاعوا أن السلاجقة من المسلمين. وكان التخطيط اليهودي الخزري يهدف من وراء تلك الإشاعة إلى أن يهب المسيحيون فيسارعون إلى نجدة إخوانهم في بيزنطة ضد المسلمين فينشغل الجانبان في حرب ضروس تفنى الفئتين ويخلو المجال لليهود، وهذا ما حدث بعد أن تمكن اليهود من زرع بذرة الخلاف العقائدي بين المسيحيين والمسلمين لقرون طويلة، فقد هال حكام بيزنطة زحف السلاجقة في قلب آسيا الصغرى واستيطانهم بها فأرسلوا يستنجدون بأوروبا من أجل دفع ذلك الخطر الداهم فطلب الإمبراطور البيزنطي" الكسيس كوفين الأول" من إمبراطور هولندا عام ١٠٨٨م مساعدته في حربه ضد السلاجقة ووجد البابا " أربان الثاني" بابا الفاتيكان الكاثوليكي أن الفرصة قد سنحت للكاثوليك لتوحيد الكنائس المسيحية فدعى إلى نجدة المسيحيين في الدولة الرومانية الشرقية، وهكذا تجمع الصليبيون وساروا لرد السلاجقة عن أراضي الإمبراطور البيزنطية ثم استمروا في غزوهم وقتال المسلمين في الشام ومصر وتونس على مدى الفترة من (١٠٩٦- ١٢٩١م) إلى أن انتهوا بالعودة إلى أراضيهم دون تحقيق نتائج إيجابية سوى إراقة الدماء التي أريقت من المسلمين والمسيحيين على السواء،ولم ينج منهم حتى رعايا

"الإمبراطور الكسيس" إذ قتل الصليبيون بقيادة "بطرس الناسك" واتباع "والتر المفلس" ما يقارب ٤٠٠٠ من المسيحيين الأبرياء في بلدة " سملين " المجرية وسلبوا المدن المسيحية التي كانوا يمرون بها وعاثوا بها فساداً ودمارا.فإذا كان هذا حالهم مع المسيحيين البيزنطيين، فلنا أن نتصور سوء سلوكهم مع المسيحيين العرب الغساسنة الذين يعتبرون انفسهم جزءاً لايتجزأ من العالم الإسلامي الذي يحكمه أبناء عمومتهم العرب المسلمين. وسوء سلوكهم مع الأقباط أصهار النبى محمد ﷺ والذى أوصى بهم النبى ﷺ خيرًا. حين قال: «إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحمًا أو قال ذمة وصهرًا» رواه مسلم فى صحيحه.

وتكررت الحملات الصليبية التي يعود اسمها إلى صليب صغير أحمر مصنوع من القماش كان يلصق على كتف كل فارس مسيحي يزمع السفر إلى بلاد الإسلام للحرب[١٧] . ثم بدأت المؤامرات تحاك ضد الإسلام بعد أن أصبح الغرب أكثر وعياً في عصر النهضة الأوربية، وبعد أن عاش أربعة قرون كاملة في ظل السيطرة العثمانية بقوتها وضعفها، وبعد أن ظل يراقب سقوطها عن كثب إلى أن أضحت هرمة ورجلاً مريضاً كما كان الغرب يطلق عليها، فبدأ يحيك المؤامرات ليستولي على الأراضي التي تقع تحت سيطرتها ومن ضمنها الأراضي العربية وهو ماسيرد ذكره لاحقا .

الحواشي المرجعية

(١) محمود عرفة محمود . العرب قبل الإسلام . أحوالهم السياسية والدينية. القاهرة: دار الثقافية العربية، ١٩٩٨ ص٦١

(٢) أحمد بهجت . مصدر سابق. ص٣٢٩

(٣) محمد سيد طنطاوي . بنو إسرائيل فى القرآن . ص ٩ .

(٤) علي عبد الرحمن السلمان . عبدالله بن سبأ وإمامة علي بن أبى طالب . ص ٥

(٥) محمد سيد طنطاوي. مصدر سابق. ص ٢٦٧ .

(٦) صفي الرحمن المباركفوري . الرحيق المختوم. ص ٣١٤ .

(٧) محمد سيد طنطاوي . مصدر سابق . ص٣١١ .

(٨) صفي الرحمن المباركفوري . مصدر سابق. ص٢٤٢ .

(٩) علي عبد الرحمن السلمان . مصدر سابق . ص٣٤ .

(١٠) علاء الدين المدرس. مصدر سابق. ص٥٧ .

(١١) نفس المصدر . ص٦٠ .

(١٢) علاء الدين المدرس . المؤامرة الكبرى فى صدر الإسلام . ص٦٢

(١٣) عثمان محمد الخميس. حقبة من التاريخ. ط ٢ الكويت: المؤلف، ٢٠٠٣ ص٦٤ .

(١٤) ا لعلاقات العربية الإيرانية. مصدر سابق. ص ٦ .

(١٥) ديوان الامام على بن أبى طالب . تحقيق رحاب خضر . جـ ١ ، ص ١٩ ، ٥٩٦ بيروت : دار الفكر العربى، ١٩٩٢ . ص ٦٤ .

(١٦) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي . مصدر سابق. ص ١٩، ٥٩٦

(١٧) إسلام اون لاين. مادة الحروب الصليبية .

الفصل الرابع

- العرب ومؤامرات الإقصاء

منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net

العرب ومؤامرات الإقصاء

كان العرب مؤمنين بالأخوة الإسلامية ولم يكن اهتماهم منصباً على من يحكمهم بقدر اهتمامهم على الكيفية التي يتم بها حكمهم وحكم المسلمين وغير المسلمين بالعدل والمساواة، فمن لم يكن أخاً لهم في الدين كان أخاهم في الإنسانية، وذلك لأنهم كانوا متأثرين بهدي الإسلام الذي ساوى بينهم وبين غيرهم استنادًا لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات:١٣ ولم يقل سبحانه وتعالى يا أيها المسلمون أو يا أيها المؤمنون، بل قال تعالى : يا أيها الناس ليشمل الناس جميعاً المسلمون والمؤمنون وغيرهم، وكذلك قول المصطفى ﷺ: لافضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، وقوله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي على رأسه زبيبة. لقد كان العرب حريصين على وحدة الكلمة ووحدة الصف واعتبروا أن من ينضم إلى ركبهم يصبح واحداً منهم، وقد كانوا يدركون أن الدين الإسلامي لم يكن موجها للعرب وحدهم وأن أجناسًا وأقوامًا، بل وحتى ديانات أخرى سيعيش أبناؤها ضمن أفراد المجتمع الإسلامي، مما جعلهم مهيئين منذ البداية للاندماج مع غيرهم تحت راية الإسلام، ويروى أن أبو ذر جاء إلى بلال راجياً منه أن يطأ خده ويسامحه لأنه قال له بعد مشادة بينهما يا ابن السوداء، فعنفه النبي ﷺ وقال له إنك امرؤ فيك جاهلية وقد أتى ذلك الحرص الشديد غلى كرامة الآخرين بنتائج محمودة، إذ شعر الجميع بالعدل والمساواة وانخرطوا جميعا في بناء

حضارة قل أن يوجد لها مثيل .وقد كانت حماسة العرب لدين الله كبيرة بعد أن اعتنقوا الإسلام، ولم يكونون يصبون لمغنم ولم يكن حب الدنيا عندهم يساوي ذرة من حب الآخرة، واراد النبي ﷺ أن يضرب لهم مثلاً فى فضل من اعتنق الإسلام حتي وإن لم يكن عربياً فروى عنه أنه قال : «أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة» وذلك حتى يصهر الأقوام فى بوتقة الإسلام التي تذوب فيها القوميات المختلفة، ولكن ما إن تراخى بأس الجاهليين حتى اندس بينهم متعصبون من نوع آخر تظاهروا بتقبل الإسلام ظاهريًا ولكنهم أضمروا الشر وتآمروا على الإسلام والمسلمين والعرب، فتمكن بعضهم عبر التاريخ من الكيد للعقيدة السمحاء وأمعنوا فيها تحريفا وتشويها بينما تعمد آخرون إقصاء المخلصين من حملة الرسالة العرب عن دورهم المنشود، وتعاون آخرون منهم مع أعداء العروبة والإسلام، واستولى آخرون على مقاليد الحكم وجعلوه حكرًا على دوائرهم العرقية والمذهبية جاعلين من العرب والمسلمين وقودًا لحروبهم .

أما العرب المؤمنون بالرسالة حق الإيمان فقد واجهوا خيارات صعبة بعد وفاة النبي الكريم ﷺ وانتقال الخلفاءالراشدين إلى رحمته تعالى واستشهاد سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، وبعد وصول خبر مقتل الحسين إلى عبدالله بن الزبير في المدينة خلع ابن الزبير بيعة يزيد بن معاوية فبايعه الناس في مكة والبصرة والعراق والحجاز ومصر واليمن وجزء كبير من أهل الشام عام (٦٤ هـ - ٦٨٣ م) واعتبروا أن الخلافة الراشدة قد انتهت عند ذلك، وأن مرحلة جديدة قد لاحت نذرها المشؤومة في ذلك التاريخ المبكر للإسلام وهي مرحلة الملك العضود الذي استبدل الشورى والاختيار الموضوعي للحاكم والقبول المسئول لتولي المنصب أمام الله والسنن التي سنها رسولنا الكريم وصحبه الكرام بأنواع مختلفة من أشكال الحكم

التي تستند على العصبيات العرقية والقبلية والعقائدية وعلى الغيبيات والأشكال المتعددة لنظريات التفويض الإلهي .

وفي الوقت الذي كان فيه العرب والمسلمون الأتقياء يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى بنبذهم للعصبية و للجاهلية، دخل الإسلام أقوام اضطهدوا العرب ولم يساووا حتى بينهم وبين غيرهم ممن حمل العرب رسالة الإسلام إليهم، وحتى الدولة الأموية العربية وهي القريبة من المسلمين الأوائل والتي كان من المفترض بها أن تراعي من نزل القرآن الكريم بلغتهم تداولت الحكم فيما بينها واستأثرت به على الرغم مما للأمويين من فضل لا يمكن نكرانه في بناء الدولة الإسلامية واستكمال الفتوحات الإسلامية في أفريقيا وبلاد المغرب[١] والأندلس وبلاد ماوراء النهر وبلاد الترك وبلاد الروم، إلا أن التعصب والاستفراد بالحكم وإقصاء الحكماء والمخلصين الأتقياء جعل الأمويين يواجهون فتناً ومؤامرات وثورات أعيتهم وقضت على دولتهم مثل ثورة التوابين الذين ندموا على تخاذلهم،إذ كانوا قد شجعوا الحسين رضي الله عنه على القدوم إليهم ثم تخلوا عنه، وثورة المختار الذي زعم أن محمداً بن الحنفية أرسله للأخذ بثأر سيدنا الحسين، وثورات الخوارج وابن الأشعث، ثم سقوط دولتهم على أيدي العباسيين.

وما إن تمزق شمل العرب والمسلمين واختلفت كلمتهم،حتى بدأت روح الجاهلية تعود إليهم من جديد بانقسامهم إلى شامية ومضرية ويمنية وعرب حجازية وبربر، وانعكس ذلك على فتوحاتهم في الأندلس، وكان جل جندهم من العرب، وبدأت محاولات الفتح الأولى في الأندلس عام (٩٢هـ - ٧١٠ م) وقد كان مقدراً لها أن تكون أكثر سلاسة لولا محاولات الخوارج تأليب البربر ضد القادمين الجدد من العرب، ولولا العداء الذي كان محتدماً بين العرب الأوائل الذين وفدوا إلى الأندلس من الحجاز والذين لم يكونوا يكنون وداً في أنفسهم

للأمويين بعد استيلاء الأمويين على الحكم وبين عرب الشام القيسيين الذين قادوا الفتوحات الأموية في الأندلس، وبسبب عودة الروح الجاهلية بالاقتتال بين المضريين واليمانيين.

وبعد انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية هرب عبدالرحمن الداخل إلى أخواله البربر ليؤسس دولة بني أميه في الأندلس فلجأ أعداؤه إلى شرلمان قائد الصليبيين للقضاء عليه، وواجه الداخل الصعاب إلى أن أسس دولة في الأندلس ازدهرت في حكمه وحكم خلفائه الذين دام حكمهم منذ عام (١٣٨هـ - ٧٥٥م) ولكن التنازع على الحكم أدى إلى الفرقة والشقاق بين الأمويين لدرجة أنهم كانوا يستعينون بنصارى الشمال ضد بعضهم البعض في الحرب، فتعثرت مسيرة العرب والمسلمين بسبب خلافاتهم، فلما سئم الناس منهم ومن خلافاتهم ثاروا عليهم وأعلن الوزير محمد بن جهور انتهاء الدولة الأموية عام (٤٢٢هـ - ١٠٣٠م)، وبزغ حكم جديد هو حكم الدولة من قبل مجموعة من الوزراء، وقد كان بالإمكان أن يكون ذلك حلاً عملياً مع مراعاة الاستناد إلى الشورى واختيار الأكفأ من الوزراء، إلا أن الأنانية زينت لكل أمير أن يستقل بإمارته، فانقسمت الدولة إلى عشرين مقاطعة وسميت تلك الفترة بفترة ملوك الطوائف التي استمرت مابين الأعوام (٤٠٠ - ٤٨٤ هـ) (١٠٠٩ - ١٠٩١م)، ولكن ماهو أمر من ذلك أنهم نسوا أن هناك عدواً يتحين فرصة اختلافهم وهو "الفونسوالسادس" الذي وحد تحت إمارته أستوريا وليون وقشتاله، وكان ملوك الطوائف[٢] يخشون غضبه ويطلبون وده ويستعينون به في مواجهة أحدهم للآخر، فطمع بهم وأراد القضاء عليهم، وكادت الأمور أن تؤدي إلى انهيارهم جميعاً لولا قيام يوسف بن تاشفين بقيادة قوات غيورة على الدين بدحر "الفونسو" عام (٤٨٠ هـ - ١٠٨٧ م) ولم يكن ابن تاشفين يطمع في الإستيلاء على حكمهم، ولكن ملوك الطوائف كانوا يعودون للاقتتال فيما بينهم بعد كل مرة ينقذهم فيها ابن تاشفين فقام بوضع نهاية لذلك بتوحيد تلك الممالك رغم أنف المعترضين منهم مؤسساً بذلك دولة أسماها "دولة المرابطين" الذين

حكموا الأندلس منذ عام (٤٨٤هـ - ١٠٩١م) إلى عام (٥٣٩هـ - ١١٤٤م) وتم بذلك حفظ الأندلس من الضياع في تلك الفترة من التاريخ خاصة أن حكمهم كان يتسم بالصلاح والتقوى، إلا أنه وبعد وفاة ابن تاشفين عام (٥٠٠ هـ - ١١٠٦م) تحركت نوازع العودة إلى الملك القديم عند بعض من فقدوه وافتقدوا معه حياة الترف والبذخ فثاروا على المرابطين واستقل كل أمير بأمارته من جديد، وعادت الممالك إلى أكثر مما كانت عليه قبل حكم المرابطين من انقسام واختلاف وتشاحن وعادت معها قصص الأطماع الصليبية من جديد إلى أن ظهر من أحفاد العلويين الأدارسة فارس ورع اسمه محمد بن تومرت، وقد كان متأثراً بآراء ابن حزم فتصدى للصليبيين ولبقايا عهد المرابطين ووحد الأندلس مرة أخرى وأسس دولة الموحدين التي استمرت منذ عام (٥٣٩ هـ -٦٢٠هـ) (١١٤٤ - ١٢٢٣م) ولكن الصليبيين جمعوا فلولهم من فرنسا وألمانيا وانجلترا وايطاليا عام (٦٠٩هـ - ١٢١٢م)، ومع ذلك لم يستطيعوا القضاء على الموحدين لولا طموح المتمردين عليهم والمنافسين لهم الذين أضعفوا قوتهم فهزموا جمعيا ولم يبق للعرب إلا غرناطة التي حكمها بنو الأحمر منذ عام (٦٣٠ هـ - ١٢٣٢م)، وفي تلك الفترة توحد ملك الصليبيين بزواج إيزابيلا ملكة قشتاله وفرديناند ملك أراغون للقضاء على المسلمين، ولكنهم مع ذلك فشلوا مرة أخرى في القضاء على حكمهم لولا خيانة أبي عبدالله مولاي علي ابوالحسن ابن حاكم غرناطة الذي حارب أباه بتشجيع من الصليبيين حتى مات أبوه كمداً، ثم حارب عمه عبدالله الزغل الذي تولى الحكم من بعد أبيه، فاستغل فرديناند وايزابيلا الفرصة واستوليا على قلاع رندة ومالقه، ولم يكتف أبوعبدالله بالخيانة، بل بعث يهنئهما بالانتصار ظناً منه أن الأمر سيستتب له بعد ذلك، ولكن ايزابيلا وفرديناند قلبا له ظهر المجن وحاصراه بجيوشهما مدة ثمانين يوماً حتي عانى أهل المدينة من المجاعة فاستسلم أبو عبدالله عام (٨٩٧ هـ - ١٤٩١م) وخرج باكيًا لتقول له أمه قولتها المشهورة «إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال» أما أهل

غرناطة العرب المغلوبين على أمرهم والذين تعهد الصليبيون لأبي عبدالله بالمحافظة على أرواحهم وأموالهم وعقيدتهم وفق شروط التسليم فقد عانوا الأمرين بعد أن نكث الصليبيون بتلك الشروط وشرعوا يوسعونهم قتلاً وتدميراً ولم يرحموا منهم شيخاً أو طفلاً أو امرأة فانتهكوا الحرمات واجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية أو الموت .

وعودة مرة أخرى إلى المشرق العربي[٣] حيث انتهى حكم الأمويين عام (١٣٢هـ - ٧٤٩ م) وحل محله حكم العباسيين الذي لم يكن حال العرب فيه بأفضل من سابقه،حيث أخذ مناصروهم من غير العرب يحيكون المؤامرات ليبنوا لأنفسهم أمجاداً على حسابهم، ولما انتصر أبو العباس السفاح على الأمويين أمعن في الأمويين تقتيلا وذبحاً، ثم جاء من بعده أخوه أبو جعفر المنصور عام : (١٣٦ - ١٥٨ هـ) (٧٥٣ - ٧٧٤ م) ليواجه ثلاثة من المنافسين له وهم عمه عبدالله بن علي الذي رفض البيعة للمنصور وبايع نفسه، وأبا مسلم الخراساني الذي أصبح نفوذه يهدد المنصور في خراسان، وابن عمه محمد بن عبدالله من بني هاشم المنتخب من الهاشميين، ولكن الأمر انتهى إلى قضائه على متحديه، ثم جاء عهد هارون الرشيد الذي توجس شراً من البرامكة فقضى عليهم قبل أن يقضوا عليه، ولما جاء عهد المأمون الذي اختلف فيه مع أخيه الأمين قرب إليه الفضل بن سهل الفارسي الأصل والذي قام بدوره بتثبيت الفرس على حساب العرب، ولما جاء من بعده المعتصم حارب بابك الفارسي الذي أحل الخمر ونكاح المحارم ثم ادعى الألوهية وأراد إعادة المجوسية والقضاء على ملك العرب وتحويله إلى الفرس وتحالف مع ملك الروم فقاتله المعتصم وقضى عليه، ثم مال على الروم وانتصر عليهم في موقعة عمورية، وكان من بين جنده قواد عرب واتراك فكان جزاء القادة العرب منه هو إقصاؤهم وتسليم الأمر إلى القادة الأتراك، ولما جاء المتوكل أحس بازدياد نفوذ القواد الأتراك وتحكمهم بالدولة، فأراد تقليل نفوذهم والحد من صلاحياتهم

ولكنهم شعروا بذلك فقتلوه، وازداد بعد ذلك نفوذهم وأصبح الخلفاء العباسيون طوع بنانهم بعد وفاة المتوكل لدرجة أنهم دخلوا ذات مرة على الخليفة المعتز وطلبوا منه أن يخلع نفسه عن الحكم فرفض فأوسعوه ضرباً وعذبوه وهو يبكي حتى خلع نفسه وعينوا بدلاً منه المهتدي بالله .

ويمكن القول بأن الحكم الفعلي منذ عهد أحمد المستعين الذي حكم منذ (٢٤٨ هـ - ٢٥٢ هـ) (٨٦٢ - ٨٦٦ م) كان بيد القادة الأتراك، واستمر الأمر على ما هو عليه إلى عهد الخليفة الثالث والعشرين المطيع والذي كان فيه الخليفة تحت سيطرة البويهيين الفرس، واستمر الحال إلى ما هو عليه حتى خلافة القائم (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ) (١٠٣٠ - ١٠٧٤م) حيث عادت السيطرة للسلاجقة منذ عهد المقتدى إلى نهاية عهد المستنصر، وفي عام (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) نزلت بسكان بغداد والعرب ضربة قاصمة بعد أن أنهى المغول الخلافة العباسية ببغداد، كما يمكن القول بأن الحكام الإسميين كانوا هم العباسيون ولكن الحكام الفعليين[٤] كانوا سلالات متعاقبة جاءت بعد ثورات اقليمية مثل :

١- الدولة الرستمية من (١٦١ هـ - ٢٩٦ هـ) - (٧٧٧ م - ٩٠٨ م)
٢- دولة الأدارسة من (١٧٢ هـ - ٣٧٥ هـ) - (٧٨٨ م - ٩٨٥ م)
٣ - دولة الأغالبة من (١٨٤ هـ - ٢٩٦ هـ) - (٨٠٠ م - ٩٠٨ م)
٤ - دولة بني زيري من (٣٦٢ هـ - ٥٤٧ هـ) - (٩٧٢ م - ١١٥٢ م)
٥ - الدولة الطولونية من (٢٥٤ هـ - ٢٩٢ هـ) - (٨٦٨ م - ٩٠٤ م)
٦ - الدولة الإخشيدية من (٣٢٢ هـ - ٣٥٨ هـ) - (٩٣٣ م - ٩٦٨ م)
٧ - دولة بني حمدان من (٢٩٣ هـ - ٣٩٢ هـ) - (٩٠٥ م - ١٠٠١ م)
٨ - الدولة السامانية من (٢٦١ هـ - ٣٨٩ هـ) - (٨٧٤ م - ٩٩٨ م)
٩- الدولة الغزنوية من (٣٦٦ هـ - ٥٨٢ هـ) - (٩٧٦ م - ١١٨٦ م)
١٠- الدولة الخوارزمية من (٤٧٠ هـ - ٦٢٨ هـ) - (١٠٧٧ م - ١٢٣٠ م)
١١- الدولة الغورية من (٥٩٨ هـ - ٦٨٦ هـ) - (١٢٠١ م - ١٢٨٧ م)

أما العبيديون[٥] الذين واكبوا تلك المرحلة من التاريخ فيرى كتاب التاريخ أن قصتهم بدت وكأنها قصة من كان له ثأر مع العرب أوالإسلام أو أراد البحث عن مجد مزيف، وقد شهد التاريخ ظهور أقوام يدعون في البداية أنهم من آل البيت الكرام أو مناصرين لهم ثم لا يلبثون أن ينشقوا عن المؤيدين الحقيقيين لآل البيت من السنة والشيعة لتنكشف حقيقة مزاعمهم التي ساقوها لمصالحهم الشخصية أو الفئوية ومن أولئك المدعين شخص اسمه سعيد بن أحمد من مواليد الكوفة عام (٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م) من أحفاد ميمون القداح، وخطط الباطنيون لنشر دعوتهم فنقلوا الإمامة إليه وخلعوا عليه اسم عبيد الله ابن محمد بن اسماعيل بن جعفرالصادق (عبيد الله المهدي) وحاولوا نشر دعوتهم في اليمن ولكنهم لم ينجحوا لوجود اتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين، ولكنهم حينما أرسلوا داعيتهم أبا عبدالله الشيعي لينشر دعوته في المغرب تعاطف الناس معه لحبهم لآل البيت الكرام واستمال عبيد الله المهدي وزراء الأغالبة وتعاطفوا معه لكنه تنكر لهم بعد ذلك وطردهم من مدينتهم رقادة بعد أن حشد أبو عبدالله الشيعي جيشاً من الناس للقضاء عليهم، وقد قال في مدحه أحد أتباعه أبياتاً يوم قدومه إلى رقادة تدل على حقيقة عقيدتهم في الحلول:

حل برقادة المسيح   حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذو البرايا   وكل شيىء سواه ريح

وحينما استتب الأمر لعبيد الله أنكر فضل أبي عبدالله الشيعي [٦] فقتله وقتل أخاه العباس حتى يستفرد بالسلطة، وأسس دولة أسماها الفاطمية عام (٢٩٧هـ - ٩٠٩م) ليقنع الناس بصدق دعواه ولكن أهالي المغرب ثاروا عليه لغدره ثم ثاروا على أبنائه من بعده فاتجه العبيديون إلى مصر بقيادة جوهر الصقلي بعد أن أعطى لأهلها العهود بأن لايتعرض لمذهبهم السني، وقد دخلها المعز لدين الله عام (٣٦٢ هـ - ٩٧٢ م) ولكنه أبعد جوهر الصقلي عن الأضواء

حتى لاينافسه وقذف به في الحروب بعيداً عن الحكم حتى أفل نجمه، ثم نكث بعهوده لأهل مصر وأخذ يحاول تغيير مذهبهم، وحين قدومه أراد بعض العلويين التأكد من درجة قرابتهم لابن عمهم الجديد القادم إلى مصر فتقدم إلى موكبه ثلاثة منهم هم أبو جعفر الحسيني وأبو إسماعيل الحسيني وابن طباطبا أحد أحفاد الحسن السبط وسألوه : إلى من ينتسب مولانا ؟ فأشار عليهم بالإنتظار حتى يجمع الناس فلما اجتمع حشد كبير منهم سأل الأشراف إذا كانوا كلهم موجودين، فقالوا له بأن المعتبرين منهم موجودون فاستل سيفه إلى النصف وقال لهم : هذا نسبي، ثم نثر فوق رؤوس الحاضرين الذهب وقال: وهذا حسبي ففهم الجميع رسالته وهي اقبلوني كما أنا والا...، وإمعاناً من المعز في عدائه للمسلمين قرب إليه غير المسلمين من يهود ونصارى وأسند إليهم المناصب العليا، وسار على ذلك أبناؤه من بعده مثل العزيز بالله الذي لم يكتف بتعيين وزير يهودي هو يعقوب بن علي بل تزوج من نصرانية استطاعت أن تقنعه بأن يحجب المناصب العليا عن العرب المسلمين وأن يعين بدلاً منهم أقاربها وبني ملتها، ثم عين منشا بن إبراهيم اليهودي والياً على بلاد الشام، وكان لاثنين من النصارى هما منصور بن مقشر وعيسى بن نسطورس الكلمة العليا فتره حكمه واستمر الأمر كذلك إلى أن جاء الحاكم بأمر الله والذي تسلط على أهل مصر بآرائه المتناقضة حيث كان مصاباً بمرض انفصام الشخصية فقلد الوزارة منصور بن عبدون النصراني ثم هدم كنيسة، وأمر بسب الصحابة على المنابر ثم عاد عن ذلك وأمر النساء بعدم الخروج من المنزل، وفي عهده وفد إليه جماعة من الفرس وكان من أشهرهم محمد بن إسماعيل الدرزي الذين اعتنقوا المذهب الإسماعيلي ولكنهم زادوا عليه فكرة تأليه الحاكم فأعجبته هذه الفكرة وقربهم إليه على حساب العرب المصريين، وكان هذا الدرزي هو السبب في انتشار تلك الأفكار في بلاد الشام.

ولما جاء المستنصر بالله [٧] الفاطمي قرب إليه اليهود وأسند إليهم المناصب الرفيعة وذلك لأن والدته كانت أمةً في بيت يهودي اسمه سعد بن إبراهيم التستري قبل أن يتولى ابنها الخلافة، فلما أصبح ابنها خليفة قربت ذلك اليهودي وأصبح ذا حظوة في ذلك العهد فتحيز لبني ملته على حساب العرب المسلمين، أما في عصر نفوذ الوزراء في العهد الفاطمي فقد كان الوالي المعين هو بهرام الأرمني النصراني، ولكنه طمع عام (٥٢٩ هـ - ١١٣٤ م) بالوزارة وحاصر القاهرة بجنوده فولوه إياها حيث عانى العرب المصريون من تحيزه لبني قومه الأرمن النصارى، وقد كثرت في العهد الفاطمي الاستعانة بالفرنجة لتثبيت حكمهم مما أغرى الصليبيين بالقيام بالحملة الصليبية الأولى التي هزموا فيها سلاجقة الروم وأسسوا إمارات مثل إمارتي أرمينية والرها، وهزموا كذلك سلاجقة فارس فاحتلوا إنطاكية واحتلوا اللاذقية بعد حرب مع سلاجقة الشام .

وقد أسعد ذلك الفاطميين الذين كانوا يريدون القضاء على السلاجقة المسلمين في الشام، فعقدوا اتفاقا مع الصليبيين بحيث يكون شمال الشام لهم بينما تكون فلسطين للفاطميين، واعتقد الفاطميون أن الأمر استتب لهم، إلا أنهم ذاقوا بعد ذلك مرارة الغدر، إذ نقض الصليبيون عهودهم وهجموا على بيت المقدس ونكلوا بأهلها وغرقت المدينة بدماء العرب المسلمين.

ثم مضوا بعد ذلك يحتلون المناطق الأخري وينكلون بأهلها المسلمين، ولكن الله هيأ للمسلمين بطلاً هو عماد الدين زنكي الذي أظهر بطولة نادرة، وإدارة عسكرية فذةً حتى استطاع أن يدحر الصليبيين، ولكن يد الغدر الباطنية امتدت إليه فاغتالته وهو يجاهد في سبيل الله عام (٥٤١هـ - ١١٤٦م)، إلا أن الله عوض العرب والمسلمين بنور الدين صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل فتتبعهم نورالدين حتى أخرجهم من أنطاكية، وأراد نور الدين

أن يبين للناس كافة ولأهل مصر خاصة معنى الترفع عن أنانية الحكام والدعوة لتوحيد المسلمين فأمر صلاح الدين الأيوبي في عام (٥٦٧هـ - ١١٧١ م) أن يدعو في أول خطبة جمعة في مصر للخليفة العباسي، ولما توفي رحمه الله ظن الصليبيون أن المسلمين سيعودون إلى سابق عهدهم في الخلافات، خاصة بعد ظهور بوادر الضعف حينما تولى ابنه الصالح إسماعيل الحكم بعده والذي كان صغير السن، ولكن صلاح الدين لم يكن ليترك الأمور لتتردى ويحل بالمسلمين الدمار مثلما كان يحدث في كل مرة، فتصدى صلاح الدين لهم وللفاطميين الذين تآمروا معهم، وكتب التاريخ ملاحمه المجيدة الغنية عن الذكر والتي شهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء إلى يوم وفاته عام (٥٨٩ هـ - ١١٩٣م) ، وقد استلم الحكم من بعده أبناؤه وأقرباؤه فكان منهم الصالح ومنهم الطالح وتعرضوا لتهديد جديد من الخوارزميين الذين شتتهم جنكيزخان فتجمعوا في أصفهان، وكادت الأمور أن تفلت من أيدي الأيوبيين لولا تصدي الصالح أيوب للصليبيين ولعمه إسماعيل الذي تعاون معهم، وقد ساعده على ذلك تجنيده للمماليك وتحالفه مع الخوارزميين، ولما توفي سار ابنه توران شاه [٨] على نهج أبيه في التصدي للصليبيين، ولكن زوجة أبيه شجرة الدر تآمرت عليه بالتعاون مع المماليك الذين خشوا من نفوذه، ثم تولت شجرة الدر الحكم ولكنها عزلت نفسها لما لمسته من صعوبة في توليها لمقاليد الحكم، واتفق المماليك عام (٦٤٨هـ - ١٢٥٠ م) على تولية ابنها الأشرف موسى الحكم وعمره ٨ سنوات على أن يتولى أحد مماليك الملك الصالح وهو عز الدين أيبك الوصاية عليه، وكانت شجرة الدر تريد أن تحكم من خلف ستار فلجأت للزواج منه اعتقاداً منها بأنها ستسوسه وستتمكن من السيطرة عليه، إلا أن أيبك ارتاب بها فخلع ابنها وسلب الحكم منها وانتهى بذلك حكم الأيوبيين وحل محله حكم المماليك، ولكن أيبك نفسه مات مغدوراً عام (٦٥٥هـ - ١٢٥٧م) فتم تعيين ابنها كحاكم وعمره ١١ سنة، فقام سيف الدين قطز بخلعه وقام بأمر الحكم، وفي عهده

سقطت بغداد بيد التتار عام (٦٥٦ هـ - ١٢٥٨م) واستمر الأمر على ذلك إلى أن مات آخر سلطان مملوكي هو الناصر محمد بن قلاوون فتنازع المماليك من بعده على الحكم مما أدى إلى انقراض دولتهم وورثهم بعد ذلك المماليك الشراكسة (البرجية) الذين سيرد ذكرهم لاحقاً.

ولابد لنا أن نورد لمحة عن المغول أو التتار الذين أذاقوا العرب والمسلمين الأمرين بعد أن مهد لهم ابن العلقمي الطريق بخيانته للمسلمين بالتواطؤ مع نصير الدين الطوسي المسمى نصير الشرك والكفر[٩] وذلك رغم قرب ابن العلقمي من الخليفة العباسي الذي وثق به واستوزره وجعله أقرب المستشارين إليه.

أما لفظ التتار[١٠] فيطلق على قبائل المغول والترك والإيغور والسلاجقة وغيرهم من سكان صحراء غوبي التي تقع في شمال الصين، وكانوا وثنيين ويعبدون الكواكب، ولكن غلب عليهم اسم المغول لشهرة جنكيزخان المغولي ولكثرة انتصاراته، وامتدت غزوات المغول من أقصى الشرق مروراً ببلاد المسلمين إلى حدود أوروبا بما في ذلك منطقتنا العربية . ومن آثار حروب المغول تعرض العرب والمسلمين لهجمات مدمرة، من أبرزها هجمتان شرستان الأولى قادها هولاكو والثانية كانت بقيادة تيمور لنك، وكان من عادة المغول أن يقسم الحاكم امبراطوريته بين أبنائه من زوجته الأولى، فقام جنكيزخان (١١٦٧ - ١٢٢٧م) بتقسيم المناطق التابعة له وفقاً لذلك العرف السائد بينهم، وقد كانت بلاد العرب إلى جانب بلاد فارس وخراسان من نصيب ابنه" تولاي " الذي أذاق العرب هو وابنه هولاكو (١٢١٧ - ١٢٦٥م) ومن تلاه من حكام المغول من بعده الذل والهوان ومر العذاب وأسسوا دولة اسمها "الدولة الأيلخانية"، وبعد سقوط بغداد مضى المغول الوثنيون ينشرون الخراب والدمار وحكموا مناطق عربية وإسلامية كثيرة، واضطهدوا العرب والمسلمين وعينوا النصارى كوزراء مكانهم، وقد كانت زوجة هولاكو المحببة لقلبه نصرانية فتحالف مع بني ملتها ضد المسلمين، ثم ورثه ابنه أباقا خان (١٢٦٥ - ١٢٨١م)

الذي كان متزوجاً من ابنة إمبراطور القسطنطينية فامتلأ بلاطه بالقسيسين وراسل ملوك الغرب وبعث لهم بالسفراء ليتحالفوا معه ضد المسلمين، وتسلط الحاكم التتري" إبل سيان " مع مؤيديه من النصارى على العرب وتجبر نائب هولاكو "كتبغا" عليهم وأخذت مدن الشام تسقط واحدة تلو الأخرى لتتكرر نفس معاناة السلب والنهب والاعتداء على الأرواح والأموال والأعراض، فتحرك علماء الدين في مصر بقيادة القاضي بدر الدين السنجاوي والشيخ عز الدين بن عبدالسلام وألهبوا غيرة المسلمين وجمعوا الأموال منهم للإنفاق على معركة التصدي للتتار، وتحرك سيف الدين قطز فهزم التتار في معركة عين جالوت بجيش يقوده بطل مغوار هو الظاهر بيبرس الذي أعاد للأذهان سيرة صلاح الدين في تصديه للصليبيين وبايع بالخلافة أحد أبناء العباسيين الذين فروا من بطش المغول في بغداد وهو المستنصر عام (٦٥٩ هـ - ١٢٦٠م)، ولما قتل المستنصر وهو يحارب التتار خلفه الحاكم بأمر الله ليؤسس للعباسيين حكماً في مصر، وقد تصدى بيبرس في فترة توليه للأمور من عام (٦٥٨ هـ - ٦٧٦ هـ) - (١٢٥٩ - ١٢٧٧م) فواجه الصليبيين والتتار والباطنية (الحشاشون)، وقد أعانه على ذلك «بركه خان» حفيد جنكيزخان وابن عم هولاكو، الذي اهتدى قلبه للإسلام، فوقف بوجه أبناء عمه لينتصر للدين الحق إلى أن توفاه الله عام (٦٧٥هـ - ١٢٧٦م)، وفي عام (٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م) تولى السلطان قلاوون مقاليد الحكم في الفترة ما بين (٦٧٨ هـ - ٦٨٩ هـ) - (١٢٧٩م - ١٢٩٠ م) وتصدى فيها ومن بعده أبناؤه للتتارالذين هاجموا الشام وأعانهم على ذلك فقيه مجاهد هو ابن تيمية (١٢٦٣- ١٣٢٨م) الذي كان عالماً ومجاهداً إلى يوم وفاته، ثم بدأ نور الإسلام يغمر قلوب بعض حكام المغول الذين حكموا بلاد العرب والمسلمين فحدثت حروب بينهم بسبب اعتناق بعضهم الإسلام وبقاء البعض الآخر على وثنيته، ثم بسبب اتخاذ أكثرهم المذهب السني مذهباً له بينما مال بعضهم إلى التشيع، وكذلك بسبب تنازعهم على مناطق الحكم الخاصة بكل منهم، ثم جاء بعد ذلك أرغون (١٢٨٤ - ١٢٩١ م) الذي كان يكره المسلمين وأزاح عمه تكودار أحمد الذي أسلم، ثم حارب كل حاكم

مغولي يعتنق الإسلام ومنع المسلمين من تولي المناصب المهمة وحرم عليهم الظهور في بلاطه، وجاء من نسله "اوليجايتو" الذي كان نصرانياً ثم أسلم واعتنق المذهب الشيعي وأجبر الناس على التشيع ليحارب بهم المماليك السنة، واتجه إلى مكة لمحاربة أهلها السنة ولكنه مات قبل أن يحقق مبتغاه ثم جاء من بعده ابنه "أبو سعيد" الذي عاد المذهب السني في عهده .

أما الهجمة الهمجية الثانية على الحضارة العربية فقد شنها تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥م) الذي قاد حروباً بربرية ضد كل من واجهه بعد قضائه على منافسيه من المغول . وقد امتدت حروبه الهمجية من آسيا إلى عمق روسيا مما أعطى فكرة سيئة عن الإسلام إلى يومنا هذا والإسلام بريء مما قام به، فهو لم يكن ينتمي إلى الإسلام إلا بالاسم، بل إن العرب والمسلمين كانوا أكبر المتضررين من بربريته، فقد غزا حلب عام ١٤٠٠م فاحتل مدنها وأحرقها واستحل مدنها لمدة ثلاثة أيام واحتل بغداد عام ١٤٠١م فمضى يوسع أهلها العرب ذبحاً ودماراً وتقتيلاً ودمر مكتباتها ومحا أوجه الحضارة وارتهن العلماء عنده فيها مما أسهم في ضعفها وانهيارها . وكانت هوايته هي أن يكوم جماجم الجيش المهزوم ليجعل من تلك الجماجم هرمًا، وبعد وفاته اختلف أبناؤه وأحفاده إلى أن ضعفت الدولة التيمورية في فارس فورثها الصفويون .

أما العثمانيون فالحديث عنهم يطول شرحه نظراً لطول فترة حكمهم وارتباطه بتاريخ العرب المعاصر، إذ بدأ تاريخهم عام (٦٩٩هـ - ١٢٩٩م) وتسلموا مقاليد الخلافة الإسلامية عام (٩٢٣هـ - ١٥١٧م) وانتهت دولتهم عام (١٣٣٧هـ - ١٩١٨م)، ورغم سلبيات حكمهم، إلا أنه كانت لهم إشراقات في مواجهة الصليبيين، ولكن أعداءهم حرصوا على تشويه كل تاريخهم بسبب طابعه الإسلامي، فلما تخلص العرب من حكمهم فيما بعد رسخت في أذهانهم الكثير من سلبياتهم ولم يعد يذكر أي جانب لهم سوى المفاسد وأنهم احتلوا ديارالعرب وتسببوا في تخلفهم مع أن الإنصاف يقضي أن يذكر المؤرخ ما لهم وما عليهم بموضوعية وتجرد .

لم تكن تركيا الحالية[١٠] هي الموطن الأصلي الحالي للعثمانيين بل كانت قبائلهم وهي من الجنس المغولي من أبناء يافث بن نوح وسكنوا في مناطق تبدأ من خراسان مروراً بتركستان امتداداً إلى الصين، وقد اعتنقوا الإسلام في العهد الأموي واعتمد عليهم المعتصم في العهد العباسي ومن بعده المتوكل في صد الجيوش البيزنطية وحينما ضعفت الدولة العباسية كان العبء الأكبر يقع عليهم في صد الهجمات الرومية، وبذلك تكونت دولتهم دولة السلاجقة.وهم ينتسبون إلى زعيمهم سلجوق، ومع هجمات الروم والمغول ثم هزيمتهم ضعفت دولة السلاجقة فبرز حفيده أرطغرل الذي كان من أبرز قادة قبائلهم واستطاع أن يهزم البيزنطيين، وامتلك ارطغرل بك الجناح الشرقي[١١] في كل بلاد إيران. وقد اضطر الخليفة العباسي أن يعهد إليهم بالحكم باسمه وحماية الدولة العباسية، وقد أنشأ السلاجقة دولتهم عام ١٠٧٧م واتخذوا من مدينة قونية في الاناضول بتركيا عاصمة لهم وأطلق المؤرخون على السلاجقة صفة الإسلام .

ولما توفي أرطغرل عام (٦٩٩ هـ - ١٢٩٩م) تسلم الأمر من بعده ابنه عثمان مؤسس الدولة العثمانية ودخل في معارك مع الروم الذين استعانوا بالمغول فهزمهم جميعاً، وأكمل ابنه مراد الأول مسيرته واستعان به إمبراطور بيزنطة "يوحنا الخامس " عام (٧٥٦ هـ - ١٣٥٥م) لمواجهة أعدائه من الصرب، وتصاهر العثمانيون مع المسيحيين في بيزنطة وفي نفس الوقت حاربوا المسيحيين الآخرين في أوروبا.

ومن ناحية أخرى دخل في حروب مع القرمان في الأناضول حتى احتل عاصمتهم أنقره، وكان جيشه يتكاسل عن الدخول في حرب مع المسلمين فتصالح مع أمير القرمان علاء الدين وتزوج من ابنته، وكان بين الأرثوذوكس والكاثوليك عداوة شديدة فحارب الأرثوذكس إلى جانب المسلمين، وكان الجندي الأرثوذكسي يعامل مثل معاملة الجندي المسلم، وحقق العثمانيون انتصارات على جيوش أوروبا. وفي تلك الفترة طلب تيمورلنك من بايزيد تسليمه سلطان بغداد الذي التجأ إليه بعد سقوط بغداد، ولكن بايزيد رفض ذلك، فهجم على

العثمانيين في عام (٨٠٤ هـ - ١٤٠١م) وقضى على جيوشهم، ولم يكن لتيمورلنك رغم جبروته أن يحقق ذلك الانتصار لولا الخيانات التى دبر لها رجل مدسوس جاء من فارس واسمه بكتاش قبل التحام الجيشين بأمد حيث ادعى الصلاح وأنه من أهل الكرامات فتسلل الى قلوب الإنكشارية، وهم من جيش بايزيد، واستطاع أن يؤسس طريقة البكتاشية الصوفية فتأثر به الإنكشارية وأصبحوا يطيعونه في كل أمورهم، وقد كان جيش بايزيد أكثر بكثير من جيش تيمورلنك ولكنه لم يكن على علم بالمؤامرة التي كانت في انتظاره، حتى إذا سار الجيشان لملاقاة بعضهما بدأت الخيانات بالظهور حيث بدأت أفواج من جنوده يتخلون عنه ويلتحقون بجيش تيمورلنك، فهزم بايزيد واسر، وبعد اسره تفرق أبناؤه وتنازعوا على الحكم ودخلوا في حروب ضد بعضهم البعض مما زاد من تفاقم الوضع حتى كادت الدولة العثمانية أن تضعف لولا بروز السلطان مراد الثاني (٨٢٤- ٨٥٥ هـ) - (١٤٢١ - ١٤٥١م) فأعاد للدولة العثمانية قوتها ولكن الجيوش الصليبية الأوروبية تجمعت عليه ودخل مراد الثاني في حروب منهكة معها إلى أن توفي عام (٨٥٥ هـ - ١٤٥١م) فاستلم إبنه محمد الثاني الحكم، وكان من أشهر حكام الدولة العثمانية ولقب بمحمد الفاتح لكثرة الفتوحات التي تمت على يديه وأهمها فتح القسطنطينية . ولما توفي عام (٨٨٦ هـ - ١٤٨١م) خلفه ابنه بايزيد الثاني الذي كان ضعيفاً فالتف الانكشارية حول ابنه سليم الأول، وقد انتبه سليم الأول إلى تخلخل الوضع في المناطق الإسلامية ومن ضمنها المنطقة العربية بسبب توغل الصليبيين وبسبب بروز الصفويين الذين لم يكتفوا باحتلال بعض مناطق نفوذ العثمانيين، بل أخذوا يجبرون سكان المناطق التي يحتلونها على التشيع، وكذلك بسبب استياء الناس من بقايا المماليك، فرأى أن يرجيء المواجهات مع الغرب إلى أن يستتب الأمر في داخل المناطق الإسلامية ويعيد الأمور إلى نصابها، فقام بتحويل اتجاهه من الغرب إلى الشرق، وباختصار شديد فإن أهم القوى العسكرية التي يحسب لها حساب آنذاك والتي واجهها السلطان سليم ومن أتى بعده قد كانت:

المماليك

وهم الذين واجههم السلطان سليم وكانوا يسمون بالمماليك البرجية، وقد سموا بالبرجية لأنهم جلبوا أيام المماليك وتحديداً في عهد المنصور قلاوون الذي أسكنهم أبراج القلعة حتى تمكنوا من تولي الحكم، وكانوا متعسفين في إدارتهم للأمور وأثقلوا الناس بالضرائب وكثرت الفتن والثورات في عهدهم، وأول سلاطينهم كان اسمه برقوق وقد كان الصراع محتدماً بين المماليك البرجية وتيمورلنك كما تم في عهد ملكهم "الأشرف برسباي" هزيمة الصليبيين في قبرص عام ١٤٢٦م والتي كانت مصدر تهديد للسفن الإسلامية، واشتهر منهم كذلك قانصوه الغوري والذي قتل في حربه مع العثمانيين في مرج دابق شمال حلب (٩٢٢هـ - ١٥١٦م) أما آخرهم فقد كان طومان باي الذي هزمه العثمانيون فانتهى بذلك عهد المماليك وانتهت معه الخلافة العباسية الصورية بتنازل الخليفة العباسي الأخير محمد المتوكل للسلطان سليم (١٢) عن الخلافة فحلت الخلافة العثمانية محل الخلافة العباسية وأصبحت مصر ولاية عثمانية وانتقل مقر الخلافة من القاهرة إلى اسطنبول.

الأسبان والبرتغاليون

أما الأسبان والبرتغاليون فقد طمعوا بغزو الدول الإسلامية بعد سقوط الأندلس فتصدى لهم السلطان سليم الأول لما علم بنية البرتغاليين غزو مكة والمدينة ونبش قبر الرسول ﷺ فدخل معهم في معارك كثيرة في شمال أفريقيا وتصدى لهم لتحرير المناطق العربية من قبضتهم،وقد استطاع تحرير الجزائر ثم ليبيا، وكان من بين الصليبيين قراصنة يعترضون السفن الإسلامية وينهبونها، فتصدى لهم قرصان نصراني اعتنق الإسلام وسمى نفسه خير الدين وقد هاله ماحدث للمسلمين في الأندلس فركب سفنه وأخذ يغير على سفن القراصنة الصليبيين وانتقم من هؤلاء القراصنة شر انتقام، وانضم هو وأخوه عروج إلى

جيش السلطان سليم واتجه ابن السلطان سليم وهو سليمان القانوني إلى تونس بدعوة من أهلها ضد حاكمهم الحفصي الذي كان ميالاً إلى شارلكان ملك إسبانيا وإيطاليا والنمسا فاستطاع أن يعزله، ولكن الحفصي تآمر مرة أخرى مع شارلكان حتى تمكن من دخول تونس وعاث فيها فساداً ودمارا إلى أن تمكن سليمان القانوني الذي كان والياً على مصر من الأمر مرة أخرى فهزمهم وطردهم من تونس عام (٩٨٠هـ - ١٥٧٢م)، واتجه السلطان سليم إلى الجزيرة العربية لمحاربة البرتغاليين الذين كانوا قد احتلوا بعض الدول العربية فطردهم منها :

الصفويون

وأما الصفويون الذين دخل العثمانيون معهم في حروب فينسبون إلى مؤسس الدولة الصفوية "الشاه إسماعيل"، وهو أول ملك فيها وكان قائداً لسبع قبائل تركية فى أذربيجان، وتعرف هذه القبائل باسم :الـ "قزل باش" أو حمر الرؤوس، وكان قوامها سبعين ألف فارس مسلح، ولم يكن إسماعيل نفسه زعيماً تركياً، ولكنه ظفر بالاحترام، لأنه من نسل سلسلة من الزعماء الدينيين، وكان جد هذه الأسرة الشيخ صفي الدين، عالماً وواعظاً من (٦٥٠ - ٧٣٥ هـ) (١٢٥٢- ١٣٣٤م).

وفى عام (١٥٠٠م - ٩٠٦ هـ) هزم إسماعيل قبائل (آق قونيلو) وجلس على العرش فى تبريز، وحوالي (١٥١٠م - ٩١٦هـ) استولي على العراق وفارس وكرمان، وهمدان وخراسان، وشقت قواته طريقها شرقاً حتى بلغت "خيوه" وأعلن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لإيران ليميز نفسه عن العثمانيين السنة، واستعمل القوة فى تغيير مذهب السنة الممتنعين عن التشيع واتفق مع الصليبيين والبرتغاليين ضدهم، وقد أذكى الإكراه في تحويل السنة إلى التشييع عداوة الأتراك العثمانيين ضده، وكان سلاطينهم فى القسطنطينية قد صاروا خلفاء على جميع المسلمين السنة وأصبح الصفويون الشيعة فى إيران

يفصلون الكتلة السنية في وسط آسيا والهند وأفغانستان عن السنة في تركيا والعراق ومصر والدول الإسلامية الأخرى الواقعة إلى الغرب من إيران، وكانت أولى نتائج هذا الاحتكاك المذهبي غزو إيران بجيش يقوده السلطان سليم الأول الذي هزم إسماعيل بالقرب من تبريز، وقد استمرت الحروب مدة طويلة، وكانت وفاته في عام (٩٣٠هـ - ١٥٢٣م).

وحكم الملك الصفوي الثاني [١٣] الشاه طهماسب من (١٥٢٣- ١٥٧٦م) (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ) وتمكن من الاحتفاظ بحدوده الشرقية، ولكنه قاسى من هزائم عديدة في الغرب على يد السلطان العثماني سليمان القانوني الذي استولى على العراق وتوغل حتى وصل إلى تبريز وأصفهان.

وبعد مدة وجيزة اعتلى الشاه عباس الكبير العرش في عام (١٥٨٧م - ٩٩٦هـ) ونجح في التخلص من الأتراك وتهديدهم ثم توجه غرباً، وانتصر على العثمانيين واسترد أذربيجان وأرمينيه وجورجيا، وفي عام (١٥٩٨م - ١٠٠٧هـ) نقل عباس العاصمة إلى أصفهان، وتولى الشاه عباس بناء مدينة ملكية جديدة في أصفهان مجاورة للمدينة القديمة وزين شيراز وأردبيل وتبريز بمباني جميلة، وقد كان قاسياً حتى مع أبنائه إذ قتل ابنه الكبير وفقأ أعين اثنين من أبنائه عام (١٠٣١هـ - ١٦٢١م) وقد تقرب إلى الإنجليز حينما أحس بضعف البرتغاليين فدربوا جنوده لمحاربة العثمانيين ووجه عناية خاصة إلى مزار الإمام علي كرم الله وجهه في مشهد لجعله مزاراً جذاباً حتى لا يرحل الحجاج إلى المزارات الشيعية في العراق، وكانت وفاته في عام (١٠٣٧هـ - ١٦٢٧م).

وقد جاء من بعده أبناؤه وأحفاده وبدأت الحركات الانفصالية حتى تمكن الأفغان من استرداد أرضيهم وتوغلوا في الأراضي التي استولى عليها الصفويون فاحتلوا مشهد عام (١١٣٥هـ ١٧٢٢م) واحتلوا بعد ذلك عاصمتهم أصفهان، وهنا تحركت نوازع الروس لاحتلال بقية أراضيهم فتصدى لهم العثمانيون ومنعوهم من الاستيلاء على أراضيهم وهددوهم بإعلان الحرب عليهم إذا هم هاجموا أراضي الصفويين رغم العداوة التى كانت قائمة بينهم

وبين الصفويين، فخاف الروس وتراجعوا عن ذلك، ولكن طهماسب الثاني اتفق مع الروس على التنازل عن الأجزاء الشمالية من البلاد فاستنجد أهلها بالعثمانيين المسلمين ضد الروس الصليبيين فاستجاب لهم العثمانيون وحاربوهم، ومن ناحية أخرى وقع قتال بعد ذلك بين الأفغان والعثمانيين ولكن الأمر انتهى إلى اتفاق صلح بين الشاه أشرف والعثمانيين على أن يكون هو الشاه مقابل اعترافه بأن السلطان العثماني هو خليفة المسلمين، ولكن أحد المؤيدين لطهماسب وهو نادر خان حارب الأفغان وقتل الشاه أشرف ونقض عهده مع طهماسب الصفوي وأعلن بداية حكم الأسرة الأفشارية ووسع ملكه فأغار على عمان عام (١١٥٠هـ - ١٧٣٧م) وبلاد الأفغان وبلاد الهند وبلاد الأوزبك وبخارى وخوارزم ولكن سرعان ما ثار عليه أهل تلك البلدان وتحولت انتصاراته إلى هزائم ومات وهو في طريقه لمحاربة الأكراد عام (١١٦٠ هـ - ١٧٤٧م). ثم جاء بعد ذلك الزنديون فالقاجار الذين انتهى حكمهم بتولي الأسرة البهلوية أمور الحكم وسيطرتها على الأمور إلى أن جاءت الثورة الإسلامية فأطاحت بحكم الشاه محمد رضا بهلوي .

الانكشارية

أما الإنكشارية الذين توقف الحديث عنهم عندما تطرقنا إلى السلطان سليم الأول قبل اتجاهه إلى المناطق الإسلامية فهم الذين لجأ القائد العثماني علاء الدين الابن الأكبر لعثمان الأول إلى احتوائهم، وهم من الأيتام والمشردين من أبناء الروم فأكرمهم ورباهم تربيه إسلاميـة وعسكرية وكون جيشاً اسمه (يني تشري) أي الجيش الجديد التي حرفت بالعربية إلى الإنكشارية، وكان قصده من ذلك الإيحاء للجيش القديم المكون من عدة قبائل بعدم التحزب لقبائلهم لأن بإمكانه الاستغناء عنهم، ولكن الإنكشارية كانوا كغيرهم من القيادات العسكرية التي ما إن تشعر بقوتها حتى تتطلع إلى الاستيلاء على السلطة، فكانوا كثيراً ما يتمردون على العثمانيين فيعزلون من لايعجبهم وينصبون من يشاؤون وفق هواهم، فكثرت اغتيالات السلاطين لإخوانهم خوفاً من طمعهم في

الحكم، وفي أواخر عهد سليمان القانوني كانت قيادة الجيوش بيد الصدر الأعظم وكانوا هم الحكام الفعليين في الدولة، وكان الإنكشارية يعمدون إلى السلب والنهب عندما تتوقف الحروب فكان الصدر الأعظم يوجههم للحرب خارج المدن العثمانية لمواجهة الصليبيين في النمسا والمجر ولكنهم استطاعوا بما لديهم من قوة عسكرية تحدي السلاطين العثمانيين فكانوا يزيلون عن الحكم من يشاؤون ويعينون مكانه من يريدون، وحينما أراد عثمان الثاني أن يستبدلهم بجنود مدربين قتلوه عام (١٠٣١هـ - ١٦٢١م) وعينوا الخليفة مصطفى الثاني مكانه، وتكررت قصتهم تلك مع الخليفة إبراهيم الأول فعزلوه وعينوا ابنه محمد مكانه ثم قتلوا إبراهيم عام (١٠٥٨ هـ - ١٦٤٨م)، وظل كل خليفة يخضع لابتزازهم إلى أن تطورت الفنون العسكرية وأسلحتها كالسفن العسكرية والمدافع بما يتطلبه ذلك من إعادة تنظيم الجيوش فقرر السلطان محمود الثاني عام (١٢٤٠ هـ - ١٨٢٤م) إلغاء نظام الإنكشارية الذي يتعارض مع التنظيم الجديد للجيش فتمردوا عليه وتجمعوا في أحد ميادين اسطنبول، ولكن هذه المرة لم تكن كسابقاتها إذ كان قد أعد عدته لهم فما أن تكامل جمعهم حتى وجه إليهم مدافعه التي حصدتهم وقضت على قوتهم فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

ولعلنا نلاحظ مما سبق سرده من أحداث تاريخية أن العرب الذين يتلقون اللوم اليوم على تخلفهم وتخلف أسلوب حكمهم وما إلى ذلك من الصفات التى يصمهم بها المغرضون وأعداؤهم، لم يكن لهم فى أغلب الفترات التاريخية أى خيار فى ذلك، بل كانوا وقوداً لحروب حكام من غير العرب الذين استولوا على مقاليد الحكم وكانوا رهينة لسياسة أولئك الحكام صالحهم أو طالحهم . فكيف سيكون حالهم بعد أن طوى تاريخهم صفحة ماضية وفتح لهم صفحة جديدة؟.

الحواشي المرجعية

(١) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي . مصدر سابق. ص١٥٨ .
(٢) نفس المصدر . مج ١، ص٣٦٩ .
(٣) نفس المصدر . مج١، ص٢٤٩ .
(٤) نفس المصدر . مج١، ص٣٦٦ .
(٥) محمد علي قطب . الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢، ص ١٥.
(٦) نفس المصدر .ص٧
(٧) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي . مصدر سابق. مج ١، ص٣٩٥ .
(٨) نفس المصدر . مج١، ص٤٥٣ .
(٩) نفس المصدر . مج٢، ص٤٨١ .
(١٠) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي . مصدر سابق. مج ١، ص٢٩٤
(١١) إسماعيل علي أحمد ياغي . مصدر سابق . ص٥ .
(١٢) ويلبر، دونالد . مصدر سابق . ص٨٦ .
(١٣) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي . مصدر سابق. ٥٢٥، ٥٢٨ ص

الفصل الخامس

● الدول العربية ومؤامرات تقسيم التركة العثمانيـة

www.books4all.net منتدى سور الأزبكية

الدول العربية ومؤامرات تقسيم التركة العثمانية

كان المشهد الرئيسي لحروب المنطقة هو استعانة الدول الأوروبية المتحاربة ببعضها أو بغيرها ضد بعضها البعض أو ضد غيرها، وعقدت من أجل ذلك الاتفاقيات والمعاهدات وفقاً لتطلعاتها وأولوياتها الخاصة، ولم يكن لديها مانع من التعاون مع العثمانيين أو التآمر ضدهم إن استدعى الأمر ذلك . ومن المفارقات أن كل طرف كان يلجأ لهذا الطرف الأجنبي أو ذاك لمساعدته في مقابل تنازلات في البلقان وفي أوروبا وفي المنطقة العربية وما جاورها، وقد وجدت القوات الغربية فرصتها في إثارة الفتن بين الطوائف العربية في عهد السلطان عبدالمجيد الأول (١٨٣٩م - ١٨٦١ م) وذاق الغربيون حلاوة إشعال الفتن في منطقتنا العربية، فشجعوا المسلمين والمسيحيين المبهورين بتقدم الغرب على الانفصال عن العثمانيين والثقة بهم لمنحهم مستقبلاً أفضل .

وبداية فقد أشفق العثمانيون على يهود الدونمة بعد الاضطهاد الصليبي لهم فآووهم وأحسنوا اليهم، إلا أن القيادات الصهيونية أخذت ترتب لهم أهدافاً أخرى كان من أهمها نكران الجميل واحتلال فلسطين، وتحرك الماسونيون في كل اتجاه للإجهاز على الدولة العثمانية وفي عهد السلطان عبد الحميد (١٢٩٣ -١٣٢٨هـ) (١٨٧٦ - ١٩١٠م) حاول جاهداً إدخال إصلاحات كثيرة

في التعليم والجامعات والمستشفيات ومد المياه والسكك الحديدية والجيش وقاوم النفوذ الصهيوني فسارعوا إلى إنشاء جمعيات ومؤسسات لاجتذاب رعايا الدولة العثمانية في باريس وأوهموهم بالتقدم والإزدهارالأوروبي بعد التخلص من العثمانيين، وتفرعت عن تلك الجمعيات جمعية أطلق عليها اسم "تركيا الفتاة " ذات جناح عسكري أسموه " الاتحاد والترقي"، فقام ذلك التنظيم بإشعال الفتن وبدأت الضغوط تتزايد بشكل مستمر على الدولة العثمانية في أوروبا، فتحركت الجيوش الروسية والفرنسية والإنجليزية من كل جانب لتقتطع الجزء بعد الآخر من الدولة العثمانية. وبعد انعقاد مؤتمر لوزان اشترط الإنجليز على السلطان عبد الحميد[١] أن يقطع كل صلة له بالإسلام وبالدول الإسلامية كشرط للاعتراف بتركيا فرفض ذلك والتف الناس حوله، إلا أن كمال أتاتورك، أحد المنتمين إلى جماعة الاتحاد والترقي وقف بوجهه وخلعه وألغى الخلافة الإسلامية ونفذ ماكان الغرب يطمح إليه من إلغاء لطابع الدولة الإسلامي وألغى الارتباط بالعرب وانتهت بذلك الخلافة الإسلامية، أما الدول العربية التي كانت تحت النفوذ العثماني فقد تركت وحيدة لتصارع قوى استعمارية متعددة الأطراف .

حاولت القيادات العربية أن تجد لها كياناً مستقلاً بذاتها، وبرز في تلك الفترة الشريف حسين الذي يعود نسبه إلى بيت النبي ﷺ ليؤسس خلافة تحل محل الخلافة العثمانية في الشام والعراق والجزيرة العربية، وقد شجعه الإنجليز على ذلك في بادىء الأمر حتى يلتف العرب حول قيادة عربية بديلة للخلافة العثمانية لا سيما وأنها قيادة تنتسب إلى البيت النبوي الشريف، ومن ناحية أخرى أخذوا يثيرون النعرات القومية عند الأتراك والعرب حتى تنقطع أواصر الصلة بين الطرفين، وبدأ الترويج لفكر "جمعية الفتاة العربية"، ذات الطابع القومي، وأخذوا يكيلون الوعود للعرب وللشريف حسين، وما أن تسنى

للإنجليز ذلك حتى كشفوا عن مؤمراتهم الحقيقية بالتعاون مع القوى الاستعمارية الأخرى آنذاك فاتبعوا سياستهم المعروفة " فرق تسد" وأصبحت الدول العربية إما خاضعة للاستعمار المباشر أو غير المباشر، وتنوعت أشكال المؤامرات على الدول العربية، وأصبح لكل دولة عربية قصتها وهمها مع هذا المستعمر أو ذاك، وسنورد في الصفحات التالية بعض قصص تلك المؤامرات ومنها قصة الجاسوس همفري .

قام جاسوس بريطاني اسمه همفري بمهامه الموكلة إليه في الأعوام (١٧١٠ - ١٧٢٢ م) والتي شرح جانباً منها في مذكراته عن تلك الفترة التي يقول فيها مايلي: "وأذكر ذات مرة أننا عقدنا مؤتمراً حضره الوزير بشخصه وكبير القساوسة، وعدد من الخبراء، كان عددنا جميعاً عشرين شخصاً، وطال النقاش أكثر من ثلاث ساعات، وانتهينا بدون أية نتيجة، إلا أن القس قال: "لا تنزعجوا فإن المسيح لم يصل إلى الحكم إلا بعد ثلاثمائة سنة من الاضطهاد والتشريد والقتل له ولأتباعه، وعسى أن ينظر إلينا المسيح نظرة من ملكوته فيمنحنا إزالة الكفار عن مراكزهم ولو بعد ثلاثمائة سنة، فعلينا أن نتسلح بالإيمان الراسخ والصبر الطويل واتخاذ كافة الوسائل والسبل للسيطرة ونشر المسيحية في ربوع المحمديين ولو وصلنا إلى النتيجة بعد قرون، فإن الآباء يزرعون للأبناء " .

وحتى أنه ذات مرة عقد في الوزارة مؤتمر حضره ممثلون من كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وكان مؤتمراً في أعلى المستويات وكان الحاضرون لفيفاً من الهيئات الدبلوماسية ورجال الدين، وكان من حسن حظي أن حضرت ذلك المؤتمر لعلاقتي الوطيدة بالوزير، وعرض المؤتمرون مشاكل المحمديين عرضاً وافياً، ذكروا فيه سبل تمزيقهم وسلخهم عن عقيدتهم وإرجاعهم إلى حظيرة الإيمان كما رجعت أسبانيا إليها بعد قرون من غزو المحمديين البرابرة لها، لكن النتائج لم تكن

بالمستوى المطلوب، وقد كتبت أنا كل ما دار من نقاش في ذلك المؤتمر في كتابي (إلى ملكوت المسيح) .

إنه من الصعب أن تقلع جذور شجرة امتدت إلى شرق الأرض وغربها، لكن الإنسان يجب عليه أن يذلل الصعاب مهما كان الثمن، إن المسيحية لم تأت إلا لتنتشر، وقد وعدنا بذلك السيد المسيح نفسه، أما محمد فقد ساعدته ظروف انحطاط العالمين الشرقي والغربي، وظروف الانحطاط إذا ولت فقد تذهب معها أيضاً ما رافقها من ويلات، ومن حسن الظن أن الأمر قد انعكس فقد انحط المحمديون وارتفعت بلاد المسيح فإن الوقت قد حان لأن نطلب الثأر ونسترجع ما فقدناه طيلة قرون. وها هي دولة قوية عصرية هي بريطانيا العظمى تأخذ بزمام هذه المبادرة المباركة، وبهذه المناسبة أذكر أن السكرتير قال لي في إحدى الجلسات التي اجتمعت معه من قبل سفرتي إلى (العراق) : اعلم يا (همفري) أن هناك نزاعات طبيعية بين البشر منذ أن خلق الله (هابيل وقابيل) وستبقى هذه النزاعات إلى أن يعود المسيح

١ - فمن نزاعات لونية .
٢ - ومن نزاعات قبلية .
٣ - ومن نزاعات إقليمية .
٤ - ومن نزاعات قومية .
٥ - ومن نزاعات دينية .

ومهمتك في هذه السفرة أن تتعرف على هذه النزاعات بين المسلمين وتعرف البركان المستعد للانفجار منها، وتزود الوزارة بالمعلومات الدقيقة حول ذلك وإن تمكنت من تفجير النزاع كنت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى، فإننا نحن البريطانيين لا يمكننا العيش في الرفاء إلا بالقاء الفتن والنزاع في كافة المستعمرات، كما أننا لا يمكننا تحطيم السلطان العثماني إلا بإلقاء الفتن بين

رعاياه، وإلا فكيف تتمكن أمة قليلة العدد من أن تسيطر على أمة كبيرة العدد، فاجتهد بكل قواك أن تجد الثغرة وأن تدخل منها.

وقد كان الكتاب يذكر بعد كل نقطة ضعف أن قانون الإسلام بالعكس (أي يأمرهم بفعل شيء وهم يفعلون عكس ذلك)، فاللازم إبقاء المسلمين في جهلهم حتى لا ينتبهوا إلى حقيقة دينهم، فقد ذكر الكتاب أن الإسلام:

١ - يأمرهم بالاتحاد والألفة ونبذ الفوارق ففي القرآن ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آل عمران:١٠٣).

٢ - ويأمرهم بطلب العلم ففي الحديث " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" .

٣ - ويأمرهم بالوعي ففي القرآن ﴿ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ .(غافر:٢١)

٤ - ويأمرهم بطلب الدنيا ففي القرآن ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة :٢٠١)

٥ - ويأمرهم بالمشورة ففي القرآن ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ ﴾ .(الشورى:٣٨)

٦ - ويأمرهم بتأمين السبل ففي القرآن ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ .

(الملك: ١٥)

٧ - ويأمرهم بمعاهدة أبدانهم وصحتهم ففي الحديث "إنما العلوم أربعة: علم الفقه لحفظ الأديان، وعلم الطب لحفظ الأبدان، وعلم النحو لحفظ اللسان، وعلم النجوم لحفظ الأزمان".

٨ - ويأمرهم بالعمران ففي القرآن ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ .(البقرة:٢٩)

٩ - ويأمرهم بالنظام ففي القرآن ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ (الحجر:١٩) وفي الحديث " ونظم أمركم ".

١٠ – ويأمرهم بقوة الاقتصاد ففي الحديث " من لا معاش له لا معاد له " .

١١ – ويأمرهم بقوة الجيش والسلاح ففي القرآن " وأعدوا لهم ما استطعم من قوة "

١٢ – ويأمرهم باحترام المرأة في القرآن ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾. (البقرة:٢٢٨)

١٣ – ويأمرهم بالنظافة ففي الحديث " النظافة من الإيمان " .

ويقول كذلك في موقع آخر من الكتاب "أطلعني السكرتير على السر الثاني الذي وعدني به وكنت متلهفاً له خصوصاً بعد أن ذقت طعم السر الأول، ولم يكن السر الثاني إلا وثيقة في خمسين صفحة تتعرض للخطط الرامية إلى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد، حتى يكون الإسلام خبراً بعد حقيقة، والوثيقة كانت موجهة إلى الرؤساء العامين العاملين في حقل الوزارة، لأجل هذا الشأن، وهي كانت مركبة من بنود أربعة عشر، وقد حذرت الوثيقة من إفشائها وأمرت بكتمانها أشد الكتمان لكي لا يطلع عليها المسلمون فيأخذون الخطط المضادة، وحاصل الوثيقة هو:

١ – التعاون الأكيد مع قياصرة روسيا للاستيلاء على المنطقة الإسلامية من بخارى، وطاجكستان، وأرمينيا، وخراسان وما والاها، وهكذا التعاون الأكيد معهم في الاستيلاء على أطراف بلاد الترك المحددة لروسيا .

٢ – التعاون الأكيد مع فرنسا وروسيا في وضع خطة شاملة لتحطيم العالم الإسلامي من الداخل والخارج .

٣ – إثارة النزاعات والخلافات الشديدة بين الدولتين التركية والفارسية وإذكاء نار الطائفية والعرقية بين الجانبين، وإشعال النزاعات بين كل متجاورين من القبائل والشعوب الإسلامية، وكذلك بين البلاد الإسلامية وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها، وإثارة النزاعات بينها .

٤ - إعطاء قطع من البلاد الإسلامية بيد غير المسلمين

أ- يثرب لليهود، ب - الإسكندرية للمسيحيين . ج - يزد للزرادشت البارسيين . د - عمارة للصائبة، هـ - كرمانشاه للذين يؤلهون علي بن أبي طالب . و- الموصل لليزيدية . ز- خليج فارس للهندوك . بعد أن يستوردوا كميات كبيرة من الهند، ح - طرابلس للدروز، ط - قارض للعلويين، ى - مسقط للخوراج، ثم اللازم تقوية هؤلاء بالمال والسلاح والخطط والخبرة لتكون هذه الفئات أشواكاً في جسم الإسلام ثم توسيع بلادها حتى تحطم كل البلاد الإسلامية.

٥ - التخطيط لتبضيع (تجزيىء) حكومتي الإسلام التركية والبارسية إلى أكبر عدد ممكن من الحكومات المحلية الصغيرة المتنازعة كما هو الحال الآن في الهند، انطلاقاً من قاعدة " فرق تسد، و فرق تحطم ".

٦ - زرع الأديان والمذاهب المزيفة في جسم بلاد الإسلام، واللازم لذلك تخطيط دقيق بحيث يتلاءم كل دين من تلك الأديان مع هوى جميع أهل البلاد (مثلاً) اللازم زرع أربعة أديان في جسم بلاد الشيعة، دين يؤله الحسين بن علي، ودين يعبد جعفر الصادق، ودين يعبد المهدي الموعود، ودين يعبد علي الرضا، والمكان المناسب للأول " كربلاء والثاني أصفهان وللثالث سامراء وللرابع خراسان "، كما أن اللازم جعل المذاهب الأربعة السنية أدياناً مستقلة لا ارتباط بعضها ببعض وإعادة الخلافات الدموية بينها، والدس في كتبها حتى يرى كل فئة منهم أنهم المسلمون فقط، وأن ما عداهم كفار يجب قتلهم وإبادتهم.

٧ - نشر الفساد بين المسلمين بالزنا، واللواط، والخمر، والقمار، وأفضل وسيلة لذلك هم أصحاب الأديان السابقة الباقية في هذه البلاد، فاللازم أن يكون منهم جيش كثيف لهذه الغاية .

٨ - الاهتمام بزرع الحكام الفاسدين في البلاد بحيث يكونون آلة بيد الوزارة يأتمرون بأوامرها وينتهون عن زواجرها، والضروري تسريب مآربنا عبرهم إلى البلاد وإلى المسلمين، وإن أمكن أن يكون الحاكم غير مسلم واقعاً فهو المفضل، وعليه فمن الضروري إدخال أفراد في الإسلام صورة ثم إيصالهم إلى مراكز الحكم لتطبيق المآرب بواسطتهم.

٩ - منع اللغة العربية حسب الإمكان، وتوسيع اللغات غير العربية مثل السنسكريتية، البارسية، الكردية، البشتو، إحياء اللغات الأصلية الدائرة في البلاد العربية، وتوسيع نطاق اللهجات المحلية المتفرعة عن العربية، والتي توجب قطع العرب عن اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن والسنة .

١٠ - زرع العملاء حول الحكام وإيصالهم إلى رتبة المستشارين لهم حتى يتسنى للوزارة النفوذ فيهم عبر المستشارين، ومن أفضل السبل لذلك العبيد والجواري ذوو الكفاءات العالية فاللازم تربية أولئك في الوزارة ثم بيعهم في أسواق النخاسة إلى المقربين من الحكام، كأولاد الحكام، وزوجاتهم، وذوي الرأي لديهم حتى يتقربوا إلى الحكام تدريجياً، ويكونوا بعد ذلك أمهات الحكام ومستشاريهم فيحيطوا بهم كالسوار بالمعصم .

١١ - توسيع نطاق التبشير بإدخال المبشرين في كل صنف خصوصاً المحاسبين والأطباء والمهندسين ومن إليهم وزرع الكنائس والمدارس، والمصحات ودور الكتب، والجمعيات الخيرية في عرض بلاد الإسلام وطولها ونشر ملايين الكتب المسيحية في أوساط المسلمين مجاناً وبلا عوض (مقابل) والاهتمام لوضع التاريخ المسيحي إلى جنب التاريخ الإسلامي، وزرع الجواسيس والعملاء في الأديرة والصوامع باسم الرهبان والراهبات، ومهمتهم تسهيل الاتصالات والتحركات المسيحية واستطلاع حركات المسلمين وأوضاعهم

وشؤونهم، كما أن اللازم تكوين جيش كثيف من العلماء من أجل تشويه تاريخ المسلمين والدس في كتبهم بعد الاطلاع الكامل على أحوالهم وأوضاعهم .

١٢ – تمييع شباب المسلمين بنات وأولاداً وتشكيكهم في دينهم وتفسيد أخلاقهم عن طريق المدارس والكتب والنوادي والنشرات والأصدقاء من غير المسلمين الذين يهيئون لهذا الشأن، فمن الضروري تكون جمعيات سرية من شباب اليهود والنصارى وغيرهما من أجل أن يكونوا مصائد لصيد شباب المسلمين بكل الطرق. (وفي موقع آخر من الكتاب وتحديداً في ص ٧٥ يتعرض السكرتير لأخواتنا المسيحيات وكأنهن سلعة حاشاهن ذلك فيطالب بملء بيوت قادة المسلمين بالمسيحيات الحسناوات حتى يصرفنهم عن الإسلام، وفي ذلك احتقار لانرضاه لأخواتنا المسيحيات)

١٣ –إشعال الحروب والثورات الداخلية، والحدودية بين المسلمين وغير المسلمين، وبين المسلمين أنفسهم على طول الزمان لتستنفذ قوى المسلمين وتشغلهم عن التفكير في التقدم، وتوحيد الصف، ولتستنزف طاقاتهم الفكرية ومواردهم المالية وتفني شبابهم وذوي النشاط منهم وتنشر الفوضى والإرباك والشغب فيهم.

١٤ – تحطيم كل أنواع اقتصادياتهم من مزارع ومعاش وتهديم السدود وطمس الأنهر والسعي لتفشي البطالة فيهم بتنفيرهم عن العمل، وفتح محلات للبطالة وتكثير مستعملي (الأفيون) وسائر المواد المخدرة ."

ومن ألوان المؤامرات التي تعرض لها العرب وتشتيت شملهم مؤامرة مؤتمر" هنري كامبل بنرمان[٢] عام ١٩٠٥ م (رئيس وزراء بريطانيا) التي أطلق عليها" مؤامرة العصر" حيث أوضح السير هنرى كامبل أن مصير الاستعمار في كل

من آسيا وأفريقيا في خطر يواجه خطر الأفول، وتفاديًا لذلك الخطر وجه الدعوة إلى مؤتمر دول يضم مفكرين وباحثين من أهم الدول الاستعمارية وهي (بريطانيا- وفرنسا- هولندا- بلجيكا- أسبانيا- إيطاليا- البرتغال) وبدأت جلسات المؤتمر في لندن عام ١٩٠٥ وكانت جلساته كلها سرية ووضعت أمام المؤتمر رؤية للخطر المحدق وجاء فيها.

- لا خطر يتهدد الدول الاستعمارية في المستعمرات التي يقطنها أوربيون إذ يمكن حل مشاكلهم بتشريعات خاصة.

- لا يوجد احتمال كبير بأن تطالب الهند وبلاد جنوب شرق أسيا باستقلالها.

- لا خطر محتمل في المستعمرات الواقعة في أفريقيا وفى المحيطين الأطلسي والهادى بسبب عزلة هذه المستعمرات، ورأى أن الخطر الضخم على الدول الاستعمارية يكمن في البحر الأبيض المتوسط الذي يعد همزة الوصل بين الغرب والشرق ومهد الأديان والحضارات ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه عام شعب واحد تتوافر لديه كل مقومات وحدة التاريخ واللسان والدين والترابط، هذا فضلا عن ثرواته الطبيعية ونزعاته التحررية.

وأسهب التقرير في تحليل أوضاع الوطن العربي خاصة مع زيادة قدرته السكانية. وطرح التقرير في الختام التساؤلات التالية:

١- كيف يمكن أن يكون وضع هذه المنطقة إذا توحدت آمال شعبها وأهدافه وإذا اتجهت هذه القوة في اتجاه واحد ؟

٢- ماذا لو دخلت الوسائل الفنية الحديثة ومكتسبات الثورة الصناعية الأوروبية إلى هذه المنطقة ؟

٣- ماذا سيكون إذا تحررت هذه المنطقة واستعملت ثرواتها الطبيعية من قبل أهلها؟ وأجاب التقرير نفسه على هذه التساؤلات بكلام حازم جاء فيه، عند ذاك ستحل الضربة القاضية حتمًا بالإمبراطورية الاستعمارية وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار بالخلود فتتقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار كما انهارت إمبراطوريات الرومان والاغريق، وقرر التقرير في الختام معالجة هذه المخاطر بالتالي :

- على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة وتأخرها وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل.

- ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الأسيوي، واقترحت اللجنة إقامة حاجز بشري يحتل الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل قوة صديقة للاستعمار على مقربة من قناة السويس وعدوة لسكان المنطقة، وقد وضعت اللجنة هذا التقرير وأودعته وزارة الخارجية البريطانية بعد أن أوصت بزرع إسرائيل[٣] في تلك المنطقة.

كان مؤتمر " كامبل بنرمان " والتوصيات الصادرة عنه مرحلة من مراحل المؤامرة التي اعتمدها الغرب ضد الوطن العربي ثم تلتها مراحل التنفيذ التي بدأت باتفاقية سايكس- بيكو في ١٦ مايو التي ١٩١٦ والتي عقدت بين كل من فرنسا وبريطانيا، وبداية هذه الاتفاقية تعود إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ حينما بدأ الحلفاء يتسابقون في تقسيم أملاك الدولة العثمانية المنهارة وانتهت المفاوضات بين الجانب الفرنسي والبريطاني بالاتفاق التالي:

١- تمنح فرنسا السيادة التامة على منطقتي الإسكندرونه والمنطقة الممتدة وراءها حتى الموصل.

٢- يوضع العراق من الخليج حتى شمال الموصل تحت إشراف بريطانيا .

٣- توضع سوريا تحت سيادة الشريف حسين مع الاعتراف لفرنسا ببعض المسئوليات الإدارية فيها.

٤ - يوضع لبنان بما فيه بيروت وطرابلس تحت الإشراف الفرنسي .

٥- توضع فلسطين تحت إشراف بريطانيا .

وعندما ترامت أنباء هذه الاتفاقية السرية بين الدولتين الحليفتين إلى روسيا هبت لتطالب بحصتها في أرضروم وترابيزوند والموصل وكردستان، وتمت الموافقة من قبل فرنسا وبريطانيا على مطالب روسيا التي تتلخص في:-

أ- ضم مناطق أرضروم وتبليس حتى غربي ترابيزوند إلى الممتلكات الروسية

ب- ضم منطقة كردستان الواقعة جنوبي "فان" والتي تضم مجرى دجلة وجزيرة ابن عمرو والجبال المتاخمة لها إلى روسيا، وقضت الاتفاقية بتقسيم المشرق العربي الذي كان تحت السيطرة العثمانية إلى خمس مناطق .

١- المنطقة أ - (سوريا الداخلية) وتقام فيها دولة عربية مستقلة لفرنسا فيها مركز ممتاز.

٢- المنطقة ب - (العراق الداخلي) وتقام فيها دولة عربية مستقلة لبريطانيا فيها مركز ممتاز.

٣- المنطقة الزرقاء (سورية الساحلية من كيليكية (قلقيليه) شمالاً حتى رأس الناقورة جنوبا) وتخضع للسيادة الفرنسية حيث يباح لفرنسا إنشاء الحكم الذي ترتئية فيها

٤- المنطقة الحمراء (العراق الساحلي من بغداد حتى خليج فارس - أي الخليج العربي، وتخضع للسيادة البريطانية حيث يباح لبريطانيا إنشاء الحكم الذي ترتئية فيها.

٥- المنطقة البنية (فلسطين) وتبقى منطقة دولية بحيث يعين شكل الحكم فيها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

وباختصار شديد فإن الاتفاقية أدت إلى ما يلي :

١- جزأت المشرق العربي إلى دويلات صغيرة مرتبطة بشكل أو بآخر بكل من بريطانيا وفرنسا، كما نقلت العرب من استعمار إلى آخر أشد وطأة ودهاء حيث كان العثمانيون لا يقيمون حدودًا بين الأقاليم في المشرق العربي بخلاف ما فعلة الاستعمار الجديد .

٢- أخطر نتائج هذه الاتفاقية هو ما آل إليه الوضع في فلسطين فقد مهدت هذه الاتفاقية إلى جعلها وطناً قومياً لليهود ولم يكن وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني من قبيل الصدفة، بل إن الاتفاقية نفسها قد أسلمت فلسطين لهذا المصير.

٣- السعي نحو تفعيل المزيد من الاضطرابات والحروب في المنطقة وإدخال المنطقة العربية برمتها في دوامة، بما أسفرت عنه الاتفاقية من قرارات متعلقة بها كوعد بلفور عام ١٩١٧ وقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، أما تنفيذ تلك القرارات فكان الهدف منه أن تعيش المنطقة برمتها في حالة عدم استقرار أبدي، وهو ما يحدث حاليا على أرض الواقع .

وحينما سقطت الدولة العثمانية [٤] بدأ التنفيذ الفعلي لتقطيع أوصالها وتقاسم مناطق نفوذها وسيطرتها، ليعيش الجسد العربي مؤامرة تمزيقه وتقطيعه إلى إمارات ودويلات وكنتونات صغيرة، وجاءت معاهدة سيفر [٥] بين

الأتراك والحلفاء عام ١٩٢٠م لتحقق المطالب الصهيونية بوضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني التي ألزمتها عصبة الأمم بإنشاء الوطن القومي اليهودي على فلسطين .

ولم تقتصر المؤامرات على الشق السياسي فقط وإنما شملت الاقتصاد واستغلال الموارد الأولية بالمنطقة خاصة النفط والثروات الزراعية، فحينما إضطر المستعمرون لمغادرة المنطقة العربية كرروا خطتهم بعدم تسليمهم مقاليد الحكم إلى الحريصين على مصلحة الأمة، بل اتجهوا إلى النخب العسكرية أو شبه العسكرية أو التي تربطها معهم مصالح خاصة ليسلموهم مقاليد الحكم إما سلمياً أو من خلال تمثيليات الشعارات الثورية، وقد استطاعت بعض الدول العربية الإفلات من هذه الخطة فتم تأجيل المؤامرة عليها إلى وقت مناسب، وسنورد ملخصاً لنتائج بعض تلك المؤامرات :

* ففي مصر كان العثمانيون يعينون ولاة ليحكموا الولايات نيابة عنهم، وغالباً ما كان هؤلاء الولاة يستقلون بولاياتهم إذا شعروا بضعف الخليفة، ولذلك كانت تقع كثير من الثورات وحركات التمرد التي أضعفت العثمانيين، ومن بين هؤلاء الولاة علي بك الكبير والي مصر الذي اتفق مع الروس ضد الخليفة وهزم الجيش العثماني في صيدا بمساعدة الأسطول الروسي إلى أن تمرد عليه نائبه محمد أبو الذهب وهزمه بالرغم من مساندة الروس له، ومات متأثراً بجراحه عام (١١٧٨ هـ - ١٧٦٤م). وفي عهد الخليفة سليم الثالث استطاعت الحملة الفرنسية دخول مصر وبلاد الشام عام (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م)، ولكن التنافس الروسي والإنجليزي ضد الفرنسيين جعلتهما يتحالفان مع أعدائهما العثمانيين لطرد الفرنسيين. وقد لعب الأزهر الشريف دوراً مهماً في تحرك المصريين جتى اضطرت فرنسا إلى الانسحاب من مصر عام (١٢١٦هـ - ١٨٠١م)،

إلا أن الروس والإنجليز أرادا ثمناً باهظا مقابل ذلك التعاون يتمثل باقتطاع أراضي من العثمانيين الذين لايملكون القوة لمواجهتهما، وكاد العثمانيون أن يخضعوا للابتزاز لولا تصدي المصريين لهم ورغبة الفرنسيين في الانتقام من الإنجليز فتعاونوا مع العثمانيين ضد الإنجليز، فاضطروا للانسحاب . وكان محمد علي هو أحد الجنود الذين دخلوا مع العثمانيين لمقاومة الفرنسيين فنصبه المماليك والأهالي والعلماء والياً على مصر، ولكنه بعد ذلك غدر بالبقية الباقية من المماليك وتخلص منهم في حادثة القلعة المشهورة عام (١٢٢٦هـ - ١٨١١م) وأخذ يثير الفتن بين العلماء حتى يستأثر بالحكم، واتجه إلى الغرب فأرسل البعثات ليقلدهم في كل شيء ظناً منه أنه سيصل بذلك التقليد الأعمى إلى ما وصلوا إليه من قوة، مما أثار عليه اعتراضات دينية، ومنذ أن تولى محمد علي الحكم لم يكن لمصر أية تبعية للدولة العثمانية إلا بالاسم، وقد انتابه بعد ذلك نوع من الثقة بالنفس فأخذ يتحدى دولة الخلافة العثمانية نفسها ودخل معها في حروب لم يستفد منها سوى الإنجليز والروس والفرنسيين الذين وجدوها فرصة لاستنزاف قوة العثمانيين ومحمد علي على حد سواء حتى تأتي اللحظة المناسبة للتخلص من كليهما. ثم جاء الاحتلال البريطاني فيما بعد لينهي البقية الباقية من تلك العلاقة الاسمية. وكان محمد علي(٦) قد وجه حملات إلى السودان فوحد القطرين ثم جاء ابنه إبراهيم وتلاه سعيد الذي كانت له صداقة مع نابليون فأرسل الجيش المصري لمساعدته في المكسيك إكراماً له وسخر المصريين لحفر قناة السويس ومنح امتيازات للأجانب كان فيها إجحافًا بحق مصر، ولما جاء إسماعيل ألغى نظام السخرة(٧) التي كان العامل المصري يعمل بموجبها في حفر القناة بلا مقابل، وتقدم بجيشه في أفريقيا ولكنه استدان الأموال ليصرفها على البذخ وعلى حفل افتتاح قناة السويس، وخشيت أوروبا من طموحاته في إفريقيا فأوعزت إلى الخليفة العثماني بأن يعزله، ولما خلفه توفيق كان ضعيفاً وثار الضباط في

عهده ووافق على عرض الإنجليز بمساعدته على قمع الثورة العرابية وحمايته وكانت النتيجة أن احتلت إنجلترا مصر عام ١٨٢٢ م وظل الخديوي توفيق لعبه في أيد الإنجليز الذين ضغطوا عليه ليسحب الجيش المصري من السودان ليقوموا بعد ذلك باحتلاله عام ١٨٢٢ م، وجاء بعد ذلك عباس حلمي الذي ظهرت في عهده مطالبات برحيل الإنجليز وحدثت في عهده مذبحة دنشواي وبرز في أثناء حكمه وطنيون مثل مصطفى كامل، ووقعت الحرب العالمية الأولى فإنحاز الخديوي إلى العثمانيين فخلعه الإنجليز وألغوا التبعية الاسمية للعثمانيين ووضعواً مصر تحت الحماية البريطانية، وجاء بعده حسين كامل ثم أحمد فؤاد الذي قامت في عهده ثورة ١٩١٩م ضد الإنجليز بعد ما منع سعد زغلول ورفاقه من الذهاب إلى باريس بعد الحرب العالمية الأولى لحضور مؤتمر الصلح والمطالبة باستقلال مصر فمنعتهم إنجلترا ولكنها رضخت بعد ذلك وسافروا إلى باريس لتستقبلهم الدول المجتمعة بالخذلان المبين فثار الشعب مما اضطر إنجلترا إلى أن تمنح مصر استقلالاً صوريًا وتبقي على قوة عسكرية بحجة الدفاع عن مصر، ثم جاء بعده الملك فاروق[٨] الذي استشرى الفساد في عهده وقامت حركة الإخوان المسلمين التي كان لها تأثير كبير على الشارع وتعاونت مع الضباط الأحرار للتخلص من الإنجليز والملك فاروق .

* وفي نجد ظهرت الحركة الوهابية كرد فعل على مجمل الأوضاع، ووجدت تلك الحركة دعماً قوياً من محمد بن سعود الذي حول انتماءه القبلي إلى انتماء ديني فكسب بذلك قلوب الناس وأصبح قائد تلك المنطقة السياسي الذي وجدت فيه نجد وباديتها محط إجماعها، ولم يلق ذلك قبولاً عند العثمانيين ولكنهم كانوا مشغولين بحروبهم فلم يرغبوا في تشتت جيوشهم التي كانت تحارب في أوروبا فأوكلت إلى محمد علي مهمة القضاء على السعوديين وعلى الحركة الوهابية.فشن حملات بقيادة ابنه طوسون ثم شارك فيها بنفسه إلى أن تم احتلال مكة والمدينة المنورة، ثم زحف ابنه إبراهيم إلى الدرعية معقل ابن سعود

الذي احتضن الحركة الوهابية ووقع صلحاً معهم عام (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧م)، وتم دعوة الإمام عبد الله بن سعود إلى اسطنبول بعد أن أعطاه الخليفة الأمان، ولكنه ما إن وصل إلى هناك حتى تم إعدامه وانتهت بذلك الدولة السعودية الأولى، وحينما خفت قبضة جيش محمد علي على نجد وانسحب من الحجاز، لم يبق للعثمانيين إلا السيادة الاسمية فقط بينما عادت السلطة من جديد للسعوديين فكانوا هم الحكام الفعليين لنجد بينما كانت الحجاز تحت حكم الأشراف التابعين للعثمانيين، إلا أن تنافساً حدث بين الأمراء السعوديين جعل ابن رشيد يهجم عليهم ويستولى على أملاكهم ولجأ الباقون منهم إلى الكويت، وانتهت بذلك دولتهم الثانية . ومن الكويت[٩] انطلقت الدولة السعودية الثالثة التي أسسها الملك عبد العزيز رحمه الله حيث استطاع انتزاع الرياض من ابن رشيد المسنود من العثمانيين ثم سار في توحيد المملكة وانضم إليه الأدارسة وآل غائض حكام إمارات عسير، أما الشريف حسين في الحجاز فقد لقب نفسه بأمير المؤمنين وطالب الملك عبد العزيز بمبايعته، إلا أن الملك عبدالعزيز رفض ذلك ونشبت بينهما حرب كانت الغلبة فيها للسعوديين الذين استمر حكمهم إلى يومنا هذا .

* تمكن الاحتلال البريطاني من بسط نفوذه على دول الخليج عام١٨٢٠م وتمثل ذلك في اللمحات التالية :

- البحرين وقد كانت ممتدة من موقعها الحالي إلى البصرة وغزاها البرتغاليون ولكن العرب والعثمانيين تصدوا لهم ونافسهم الإنجليز والهولنديون حتى تم طردهم، وتعاون الإنجليز والفرس بعد خروج البرتغاليين ولكن آل خليفة تمكنوا من حسم الأمر في موقعة الزبارة ثم عاد النفوذ الإنجليزي على البحرين وتكونت في هذه الأثناء دولة قطر، وحينما استقلت البحرين حاولت إيران ضمها ولكن إرادة العرب وآل خليفة والشعب البحريني حالت دون ذلك .

- وأما في الإمارات العربية المتحدة الحالية فقد خاض القواسم حروباً مع الإنجليز وبعد انسحابهم تمكنت الإمارات السبع من تكوين الاتحاد الحالي، ولكن إيران احتلت بعدها ثلاث من جزرها ولازالت تحتلها رغم المطالبات والمناشدات الإماراتية والعربية المتكررة بإعادتها إلى السيادة الإماراتية والتي كانت تواجه دائماً بالرفض الإيراني.

- واستطاعت الكويت[١٠] مقاومة بسط النفوذ العثماني عليها وقام الإنجليز باتخاذ الكويت كمحمية لهم مثلها مثل بقية دول الخليج العربي، وبعد استقلالها حاول عبد الكريم قاسم بعد ثورته على الحكم الملكي العراقي التحرش بها ولكنه لم يحقق شيئاً إلى أن جاء صدام حسين عام ١٩٩٠ فغزاها محاولاً محوها من الخارطة ولكنه خاب في مسعاه بعد أن رفضه أهلها واستنكرت فعلته دول العالم وحاربه ائتلاف دولي بقيادة أمريكا فانسحب منها مكرهاً.

- وغزا البرتغاليون عمان عام (٩١٣هـ - ١٥٠٧م) حتى طردهم اليعاربة عام (١٠٣٤ هـ - ١٦٢٤م) ثم احتلها الفرس حتى طردهم البوسعيديون عام (١١٥٤ هـ - ١٧٤١م) وجاءها الإنجليز بعد ذلك إلى أن استقلت عام (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م).

* وفي اليمن قاوم اليمنيون العثمانيين في عهد الأئمة ثم شكلت اليمن مع مصر وسوريا الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨م ولكن سوريا انفصلت عن الاتحاد عام ١٩٦١م، وفي عام١٩٦٢ م قامت ثورة ضد الإمام بدر واستعان الثوار بجمال عبد الناصر فأرسل الجيش المصري إلى اليمن، ولكنه اضطر إلى سحب جيوشه بعد هزيمة ١٩٦٧ م وحدثت بعد ذلك انقلابات عسكرية . أما في الجزء الجنوبي من اليمن فقد احتل الإنجليز عدن وأشعلوا الفتنة بين القبائل، ولكن اليمنيين ثاروا عليهم واستقلت اليمن الجنوبية ليتلقفها الاتحاد السوفيتي

الذي استطاع تثبيت أقدامه فيها إلى أن قامت عدة انقلابات عسكرية أشهرها انقلاب عبد الفتاح إسماعيل ضد سالم ربيع ثم انقلاب علي ناصر عليه ثم جاء اتحاد اليمنيين تلاه بعد ذلك محاولة فاشلة للانفصال.

* وفي العراق[١١] وبعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى تنازلوا عن بلاد العرب، ولم يعط الإنجليز العرب استقلالهم كما وعدوهم. وفي عهد الملكية ثار الشعب على الإنجليز وانضم العراق إلى حلف بغداد عام١٩٥٥ الذي ضم تركيا وإيران والمملكة المتحدة وباكستان، ولكن العراق انسحب من الحلف بعد ثورة عبد الكريم قاسم ضد الحكم الملكي، ثم قامت بعد ذلك ثورة ضده برئاسة عبد السلام عارف، وبعد وفاة عارف فى حادث سقوط طائرة مشبوه خلفه أخوه عبد الرحمن عارف إلى أن قامت ثورة أحمد حسن البكر الذي يعتبر صدام حسين امتدادًا له والذي دخل في حرب مع إيران ثم غزا الكويت ليقصم بذلك ظهر الأمة العربية وليفتح الباب واسعاً لانهيار في المعنويات العربية ولتداعيات لم تشهد الأمة العربية لها مثيلاً في تاريخها الحديث، ولم يكتف بذلك،بل أخذ يبطش بشعبه إلى أن تم إسقاطه بتحالف دولي . ولكن العراق دخل بعده في فوضي عارمة وأصبح مسرحًا لمؤامرات متعددة الأطراف تستهدف شعبه وأرضه.

- واستقلت سوريا[١٢] عن الفرنسيين وكان أول زعيم لها هو شكري القوتلي لتبدأ سلسلة من الانقلابات، ودخلت سوريا بعد ذلك في اتحاد مع مصر ثم مالبثت أن انفصلت عنها لتستمر الانقلابات والانقلابات المضادة إلى أن استلم الرئيس الراحل حافظ الأسد الحكم، ثم جاء من بعده ابنه الدكتور بشار ليخلفه في الحكم .

* وفي لبنان وتحديداً في عهد السلطان عبدالمجيد الأول (١٨٣٩م - ١٨٦١ م) حاول الاستعمار إثارة الفتنة بين الدروز والموارنة في جبل لبنان ولم

يسمحوا للعثمانيين بالتدخل للسيطرة على الخلافات بينهما بحجة أن العثمانيين غير قادرين على حل تلك المشاكل، وحاول الإنجليز استمالة الدروز بينما حاول الفرنسيون نفس الأمر مع الموارنة، ورغم أن الاستعمار الفرنسي كان حريصاً على أن يكون نظام الحكم فيها مقسماً طائفيًا بعد استقلال لبنان عنه، إلا أن موقف الأطياف الوطنية المسيحية والمسلمة والدرزية كان موقفاً مخلصاً للوطن، فحينما تولى بشاره الخوري رئاسة أول جمهورية وقف هو ورئيس الوزراء رياض الصلح أمام الأطماع الفرنسية، مما يدل على أن تاريخ محاولات تفتيت النسيج الاجتماعي في الدول العربية التي تتعدد فيها الأطياف العرقية والمذهبية والدينية كانت محاولات غير ناجحة والتي يأمل المواطن العربي أن تصمد في وجه التحديات الجديدة التي تحيط بالبلدان العربية من كل جانب، فعلى الرغم من تمسك كل طيف بخصوصيته، إلا أن الجميع كانوا مقتنعين بمظلة الثقافة العربية الإسلامية.

وعودة إلى لبنان وفي تطور سياسي لاحق استعان الرئيس السابق كميل شمعون بأمريكا لمواجهة معارضة شعبية ضد قراراته التي أراد من خلالها تغيير الدستور ليتمكن من ترشيح نفسه مرة ثانية بعد انتهاء ولايته ، ولكن أمريكا لم تستمر في تدخلها طويلاً تفادياً للتورط في خلافات مع شرائح المجتمع اللبناني الرافضة للتدخل الأجنبي، فانسحبت قواتها وجاء بعده رئيس جمهورية مسيحي وطني هو فؤاد شهاب، وبعد النكسة لجأ اليها الفلسطينيون الذين شردهم الإسرائيليون وحدثت احتكاكات بينهم وبين بعض اللبنانيين مما أدى إلى اندلاع حرب أهلية مزقت الوطن وفرقت المواطنين، وقامت إسرائيل أثناءها بغزو لبنان ولكن اللبنانيين تصالحوا بعد اتفاق الطائف، ثم تعرضت لبنان للتدمير مرة أخرى إثر قيام حزب الله باختطاف جنديين إسرائيليين لمبادلتهما بأسرى لبنانيين ولكن الرد الإسرائيلي كان عنيفًا قال عنه السيد حسن نصرالله (أمين عام حزب الله) بعد انتهاء الحرب وقد هاله الدمار الذي

حدث – بأنه لو كان يعلم بهذا الرد الإسرائيلي العنيف لما أقدم على خطف الجنديين .وانتهى الأمر بتمركز قوات من الأمم المتحدة على الأراضي اللبنانية. إلا أن الاحداث تطورت مرة أخري بعد اعتصامات المعارضة والاشتباكات التى حدثت بين الجيش اللبنانى ومنظمة فتح الإسلام فى مايو ٢٠٠٧.

* أما مملكة الأردن[١٣] فقد كانت عبارة عن إمارة في شرق الأردن يحكمها الملك عبد الله بن الحسين ثم استقلت عن بريطانيا، ودخلت الأردن حرب فلسطين وقام الملك عبد الله بالدعوة إلى قيام مشروع سوريا الكبرى التي تضم الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين ولكنه لم ينجح في مسعاه واغتيل بعدها، ودخل حفيده الحسين في اتحاد مع العراق ولكن انقلاب قاسم قضى على تلك الوحدة ودخل في اتحاد مرة أخرى مع العراق ومصر واليمن ولكن غزو صدام للكويت كشف أن ذلك الاتحاد كان المقصود منه مساعدة صدام في غزو الكويت فحل ذلك الاتحاد في فترة حرب الخليج .

* أما فلسطين فقد رفض السلطان عبد الحميد أية مساومة بشأنها فقام يهود الدونمة الذين تظاهروا بالإسلام بالعمل على القضاء على الخلافة العثمانية. وكانت جمعية الاتحاد والترقي تضم بعض هؤلاء اليهود فساعدهم الحلفاء للوصول إلى الحكم ووعد وزير خارجية بريطانيا " بلفور" عام ١٩١٧م بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين، وبعد الحرب العالمية الأولى وسقوط العثمانيين نكث الحلفاء بوعودهم للعرب بمنحهم الاستقلال ووقعت فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي الذي فتح الباب للهجرة اليهودية، ومنذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا وتبعات ذلك الوعد المشئوم لم تنته، بل إنها تتفاقم يوما بعد يوم بين تقسيم ١٩٤٧م ومذابح دير ياسين وحروب ١٩٤٨م، ١٩٥٦م، ١٩٦٧م، ١٩٧٣م وصولاً إلى الحرب الأخيرة في لبنان والاقتتال بين الفلسطينيين أنفسهم.

* أما في ليبيا[١٤] ففي عام ١٩١٢م أجبرت إيطاليا العثمانيين على التنازل عن ليبيا، وتعاون المصريون مع إخوانهم الليبيين للتخلص من الاستعمار الإيطالي ولكن جهودهم لم تفلح حتى بعد أن تعاون معهم العثمانيون لدحر ذلك الاستعمار. وبعد الحرب العالمية الأولى وتولي موسوليني الحكم عمل على تغيير التركيبة السكانية لليبيا والتي اعتبرها جزءاً من إيطاليا . وكان لأحد شيوخ الزاوية السنوسية وهو عمر المختار دور كبير في مقاومة الإيطاليين ولكنهم قبضوا عليه وأعدموه، وبعد هزيمة دول المحور في معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية سيطر الحلفاء على ليبيا وانقسمت ليبيا إلى قسمين برقه وطرابلس وكانتا من نصيب الإنجليز، أما إقليم فزان فقد كان من نصيب فرنسا . واستمرت حركة المقاومة ضد الاستعمار وساندتها الدول العربية والإسلامية حتى اضطرت بريطانيا للجلاء عن ليبيا شريطة إقامة قواعد بريطانية وأمريكية، واختار الشعب الليبي محمد السنوسي ملكاً على ليبيا الذي ألغيت في عهده المعاهدة مع بريطانيا خاصة بعد استخدام بريطانيا قواعدها في العدوان الثلاثي على مصر، وفي تلك الفترة تدفق البترول في ليبيا فلم تعد بحاجة إلى المساعدات الخارجية، وبعد ذلك قام العقيد معمر القذافي بثورة ألغى بعدها الملكية وغير اسمها إلى الجماهيرية الليبية وتقلبت علاقات الجماهيرية مع غيرها من الدول ومرت بمراحل متعددة مع الغرب من عداوة لأمريكا وللغرب وصداقة للسوفييت ثم عودة مرة أخرى لأمريكا والغرب .

* أما تونس[١٥] ففي اتفاق بين فرنسا و إنجلترا وألمانيا تم تبادل مناطق النفوذ لتصبح قبرص تابعة لإنجلترا والإلزاس واللورين لألمانيا وتونس لفرنسا. وبهذا التقسيم انتهت تبعية تونس للعثمانيين عام١٨٨١م، وحاول الاستعمار الفرنسي تغيير الهوية العربية الإسلامية لتونس مثلما فعل في الجزائر ولكن الشعب التونسي قاوم الاستعمار إلى أن تسنى له الاستقلال بقيادة زعيم الحركة الوطنية الحبيب أبورقيبة، واحتفظت فرنسا ببنزرت ولكنها انسحبت

منها بعد ذلك، وقام بعد ذلك الرئيس زين العابدين بن علي بتنحية أبو رقيبة وحل محله إلى يومنا هذا.

* وفي الجزائر[١٦] حاولت فرنسا عام ١٨٣٠ م تعويض ما فاتها في الهند والقارة الأمريكية فركزت على استعمار الجزائر وألغت السيادة العثمانية عليها وحاولت أن تجعل منها قاعدة للانطلاق نحو أفريقيا وعملت بكل الوسائل لطمس هويتها العربية والإسلامية، ولكن المقاومة الجزائرية اشتدت، وكان من أبرز زعمائها الأمير عبد القادر فأنزلت خسائر فادحة بالفرنسيين حتى اضطروا للتخلي عن وسط وغرب الجزائر إلى أن استجمع الفرنسيون قوتهم من جديد وهاجموه حتى اضطر للاستسلام في نهاية الأمر وتم نفيه إلى دمشق حيث مات هناك، واشتدت ضراوة فرنسا فعملت على إلغاء اللغة العربية وشجعت هجرة الفرنسيين للجزائر وصادرت أراضي الجزائريين فقاومها الجزائريون بزعامة الأمير خالد عبد القادر الجزائري أثناء الحرب العالمية الأولى ولكنه لم يستطع أن يدحرهم فتزعم علماء الجزائر الكفاح المسلح، وعندما قامت الحرب العالمية الثانية هاجم الألمان فرنسا واحتلوا باريس فاستعان الفرنسيون بالجزائريين لدحر الألمان، وقد كان متوقعاً أن تكافئهم فرنسا بعد هزيمة الألمان على موقفهم بمنحهم الاستقلال، ولكنها ازدادت قمعاً للشعب الجزائري فثار الشعب الجزائري وساندته في ذلك الدول العربية حتى نال استقلاله وتولى بن بيلا الاشتراكي النزعة رئاسة الجمهورية. ونشب بين الجزائر والمغرب خلاف حول منطقة تندوف التي كانت فرنسا قد ضمتها للجزائر، وبعد ذلك قام العقيد هواري بومدين بانقلاب عسكري وخلع بن بيلا، فلما توفي حكم الشاذلي بن جديد البلاد وتم الصلح بين المغرب والجزائر وجرت انتخابات في البلاد فازت بها جبهة الإنقاذ الإسلامية فضغطت الدول الأوروبية لإلغاء نتائج الانتخابات واستجابت الحكومة لذلك الضغط، ومنذ ذلك

اليوم إلى يومنا هذا والاضطرابات مستمرة في الجزائر، وإن كانت بشكل أخف من ذي قبل .

* أما المغرب (١٧) فكانت من أوائل الدول العربية استقلالاً عن الخلافة العباسية وعمل حكامها الأدارسة على نشر الإسلام ومساعدة إخوانهم في الأندلس. وبعد ضعف الأدارسة تفككت الدولة إلى قبائل واستطاع العبيديون إنشاء دولة أطلقوا عليها اسم الفاطمية في شمال المغرب كما مر بنا سابقاً، ثم جاء المرابطون فالموحدون ثم بنومرين إلى أن سقطت الأندلس فزحف البرتغاليون على المغرب وأذاقوا أهلها الذل والهوان فقاومهم أهل المغرب وظهر بنو وطاس ثم الأشراف الحسينيون الذين التف حولهم الشعب فقاوموا البرتغاليين، وقد ساعدهم العثمانيون ضد الأسبان والبرتغاليين فحكموا البلاد إلى أن استطاع أعداؤهم بث الفتنة بينهم وبين العثمانيين وتشكيكهم في النوايا العثمانية مما جعلهم يخافون من ضم العثمانيين لهم ويرفضون حتى مجرد السيادة العثمانية، ثم بدأ الضعف يدب فيهم إلى أن بدأت القبائل تستقل عن حكمهم وبرزت أسرة الشبانات التي حاربت الأشراف الحسينيين وقضت عليهم ولكن الأشراف الفلاليين نهضوا ضد الشبانات وقضوا عليهم وظلوا يحكمون المغرب إلى يومنا هذا. وظلت البلاد في عزلة حتى قام الفرنسيون بتقسيم المغرب بينهم وبين الأسبان عام ١٩١١ م، فكان لفرنسا المناطق الوسطى والجنوبية وكان لأسبانيا المناطق الشمالية ووضعت طنجة تحت الإدارة الدولية فثار المغاربة على ذلك وقاد ثورتهم في الريف محمد عبد الكريم الخطابي، ولما جاءت الحرب العالمية الثانية وعد الحلفاء السلطان محمد الخامس بالاستقلال إذا تعاون معهم، فساعدهم ثم انتظر ليوفوا بعهودهم، ولكنهم نكثوا بعد انتصارهم فثار الشعب من جديد فنفى الفرنسيون السلطان إلى الخارج ولكنهم سرعان ما رضخوا للضغط ورحلت فرنسا بعد أن استقلت المغرب، ولكن مشكلة جديدة برزت لها وهي مشكلة موريتانيا التي كانت تابعة للمغرب ولكن الفرنسيين فصلوها عن المغرب فاستقلت موريتانيا ولكن مشكلة الصحراء

المغربية التي تطالب جبهة البوليساريو باستقلالها لا زالت قائمة، وكذلك مدينتي سبته ومليلة اللتان لازالتا تحت الاحتلال الأسباني.

* أما موريتانيا[١٨] التي اشتق المستعمرون الأسبان ثم الأوروبيون اسمها من كلمتين هما بلاد العرب فقد خضعت آخر الأمر للاستعمار الفرنسي حتى استقلت عام (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م) فظهر الخلاف بينها وبين المغرب وحدث انقلاب عسكري على أول رئيس لها وهو مختار ولد داداه فاختير ولد محمد السالك رئيسًا لها لكن السلطة الحقيقية كانت بيد أحمد أبو سيف الذي قضى في حادث تحطم طائرة فاستبد محمد خونا بالحكم حتى خلعه معاوية ولد سيدي الطايع في انقلاب عسكري، وظهر في هذه الأثناء الجناح العسكري لجبهة تحرير أفريقيا والذي تموله الصهيونية العالمية والمنظمات التبشيرية النصرانية، وأخذ هذا الجناح يزرع الفتنة بين العرب والزنوج الموريتانيين بحجة أن العرب هم المسيطرون على مقاليد الحكم،وقام ذلك الجناح بانقلاب فاشل، وكان لذلك نتائج سلبية على العرب الموريتانيين المقيمين في السنغال فتعرضوا لهجمات أعقبها هجمات ثأرية ضد الزنوج المقيمين في موريتانيا، إلى أن انتهى الأمر بترحيل العرب الموريتانيين من السنغال وترحيل الزنوج من موريتانيا، تلا ذلك محاولة معاوية ولد الطايع التقرب من إسرائيل واستبد بالحكم إلى أن أطاح به انقلاب عسكري حكم موريتانيا ليعقبه انتخابات شعبية.

أما أفريقيا السمراء فقد تعرضت لهجمة استعمارية شرسة بعد سقوط الأندلس من الأسبان والبرتغاليين لكونها الأقرب إلى المناطق التي احتلوها من عرب الأندلس، ثم تنافس معهم مستعمرون أووربيون آخرون فنال المسلمون منهم شتى أنواع الاستعباد ومؤامرات التنصير إلى يومنا هذا، أما المناطق العربية فكانت محنتها مزدوجة لكونها مسلمة وعربية في آن واحد.

* فقد كانت السودان تخضع للحكم الثنائي الإنجليزي المصري ولما أحست

إنجلترا بدنو أجلها في السودان عقدت مفاوضات مع السودانيين حول مستقبلهم فوقع خيار السودانيين على الانفصال عن مصر وأعلن عن قيام الجمهورية السودانية وانضمامها للجامعة العربية، ومنذ اختيار إسماعيل الأزهري كرئيس للسودان والمؤامرات تترى على السودان، افتتح إبراهيم عبود سلسلة الانقلابات ثم عاد الأزهري مرة أخرى لينقلب عليه جعفر نميري وقامت بعد ذلك عدة محاولات انقلابية كادت واحدة منها أن تنجح لولا تدخل مصر، ولكن النميري ظل يغير سياسته من اليسار إلى اليمين إلى أن تورط بنقل الفلاشا[١٩] إلى إسرائيل، فقام عبدالرحمن سوار الذهب بانقلاب عليه .وكان الصادق المهدي هو رئيس الوزراء فقام انقلاب أخير قاده عمر البشير والذي ظل يصارع التدخلات الأجنبية، خاصة وأن الاستعمار الإنجليزي زرع فتنة فصل شمال السودان عن جنوبه ثم ترك الأمر للإرساليات التبشيرية والحكومات المرتبطة بها مثل : أثيوبيا وأوغندا وأفريقيا الوسطى لتكمل المهمة،ولكن الحكومة السودانية اتفقت في النهاية على أسس إدارة الدولة مع جيش تحرير السودان الجنوبي بقيادة جون قرنق والذي مات في حادث تحطم طائرته بعد ذلك بفترة قليلة، وما أن انتهت مشكلة الجنوب حتى برزت للسودان مشاكل عرقية جديدة لايزال بعضها قائماً مثل مشكلة دارفور التي تمثل مأساة إنسانية والتي تسعى الدول الاستعمارية لتأجيجها .

* وتعرضت الصومال إلى تمزق شديد في أوصالها،إذ كانت مساحتها الأصلية تعادل ضعف ماهي عليه الآن تقريباً ولكن التنافس الاستعماري مزقها شر ممزق، فانقسمت إلى الصومال الفرنسي الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم جيبوتي، وانقسمت كذلك إلى الصومال الإيطالي والصومال الإنجليزي، واقتطعت الحبشة إقليم أوغادين وأخذت كينيا جزءاً آخر من هذا البلد المستباح، ولا تضم الصومال اليوم إلا الصومال الإيطالي وجزءاً أرجعته لها إنجلترا بعد أن اقتطعت جزءاً آخر أعطته كهدية إضافية لأثيوبيا، أما أثيوبيا

وكينيا فلم يتخليا عن الأجزاء التي اقتطعتها من الصومال. وحاولت الصومال استرجاع أراضيها من الدولتين بالمفاوضات ثم بالقتال ولكن دونما فائدة، بل زاد ذلك من مشاكلها إذ أخذت أثيوبيا تدعم الحركات المعارضة، إلى أن جاء محمد سياد بري فاعتقد بأن تقربه من السوفييت سيغير الوضع واستجاب للإملاءات السوفيتية فأعلن تطبيق الاشتراكية وسار على نهجهم وبالغ حتى ألغى اللغة العربية رغم أن الصومال عضو في الجامعة العربية . ولكن حينما بدأ الصدام بين أثيوبيا والصومال فإذا به يفاجأ بأن الاتحاد السوفيتي يلقي بكل ثقله إلى جانب أثيوبيا ضدالصومال فقطع علاقته بالسوفييت، ولكن أثيوبيا رغم إبرامها اتفاقية سلام مع الصومال إلا أنها ظلت تساند قوى المعارضة الصومالية وتخترق قواتها أرض الصومال بشكل مستمر مما أدى إلى إضعاف الحكم في الصومال وفرار سياد بري من البلاد فانهارت السلطة وبدأت الفصائل الصومالية تدخل في حرب ضد بعضها وانفصل من جديد جزء من الصومال ليكون جمهورية مستقلة في الشمال . وحتى حينما أرادت الدول الغربية التدخل من جديد بقيادة الولايات المتحدة نكبت بخسائر فادحة فاضطرت للانسحاب، وظل الوضع على ماهو عليه إلى أن قامت فصائل مقاتلة أطلقت على نفسها اسم اتحاد المحاكم الشرعية ورفعت شعار توحيد الشعب الصومالي والوقوف بوجه التدخل الأثيوبي الذي ظل يرسل قواته لمساعدة الحكومة المؤقتة، ولكن هذا الاتحاد مني بخسائر وهزائم في مطلع عام ٢٠٠٧ حينما اشتركت قوات أثيوبية وقوات من الحكومة المؤقتة في الصومال باسترجاع ماكانت قوات المحاكم قد كسبته من مدن.

* أماجيبوتي(٢٠) التي كان اسمها الصومال الفرنسي فقد تعرضت هي الأخرى للاستعمار الفرنسي، ثم اتخذت من القبيلتين اللتين تسكنانها وهما عفار وعيسى اسماً لها، ثم مالبثت أن استقلت عن فرنسا لتسمى جيبوتي وتنضم لجامعة الدول العربية.

* وأما جزر القمر فتسكنها أغلبية كاسحة من المسلمين وقد بدأت الهجرات العربية اليها منذ بداية اتساع رقعة الإسلام، وقد تعرضت للاستعمار الفرنسي ثم نالت استقلالها باستثناء جزيرة واحدة هي جزيرة مايوت التي توجد فيها جالية فرنسية كبيرة، ولكن جزر القمر منكوبة بوجود مرتزقة أوروبيين يعملون على زعزعة الإستقرار وقلب أنظمة الحكم فيها، ومن أشهر هؤلاء المرتزقة بوب دينار الذي قام بانقلاب اغتيل فيه الرئيس علي صويلح ثم بانقلاب آخر اغتيل فيه الرئيس أحمد عبدالله واستلم بوب الحكم لحين اختيار رئيس جديد، فلما تم اختيار الرئيس محمد جوهر حاول التمسك بالحكم لكن الإستعانة بالفرنسيين لمواجهة المرتزق بوب دينار مكنت القوات الفرنسية من العودة لجزر القمر التي لازالت تواجه ظرفاً عصيباً بسبب كثرة المرتزقة الأوربيين الذين يحاولون الانفصال بعدة جزر من الدولة الأم لدرجة أن منظمة الوحدة الإفريقية ألغت عضويتها في المنظمة لكثرة المرتزقة الأوروبيين فيها، ولم يستجب لطلبها الانضمام إلى جامعة الدول العربية إلا بعد محاولات مضنية.

وهكذا ماكاد حلم العرب أن يتحقق بالخلاص من الاستعمار حتى جوبهوا بزخم من المؤامرات التي عقدها الاستعمار مع بعض دول الجوار الجغرافي للعرب ومع بعض النخب العسكرية والسياسية للاستيلاء على السلطة والادعاء بالشعارات الوطنية والقومية والدينية والليبرالية في الوقت الذي عقدت فيه تلك النخب صفقات سرية لمصلحتها الشخصية والفئوية، فلما استنفذت تلك النخب دورها وانتاب الغرور بعضها الآخر وتجاوز حدوده المرسومة له، تحولت أنظار الاستعمار إلى خطة جديدة تكيل بموجبها اللوم لأنظمة الحكم العربية، الصالح منها والطالح، لتجعل منها سبباً في تخلف الأمة العربية، وحاولت أن تطرح شعارات محببة للنفوس تتقرب بها للشعوب العربية مثل الديمقراطية وحقوق الأقليات لتضرب بذلك أكثر من عصفور بحجر واحد ولتتخلص من أنظمة

الحكم المعادية لها أو التي يتعارض وجودها مع مصالحها الخاصة، ولتتقرب من الشعوب العربية التي تئن من جور حكومات الشعارات الزائفة، ولاشك أنها كانت محقة في توجيه اللوم إلى بعض الأنظمة القمعية التي لم تكن لتستولي على مقدرات شعوبها لولا مساعدة وترتيب من الدول الاستعمارية سواء بالانقلابات العسكرية أو المؤامرات أو غيرها من السبل .

ولكن تلك الحكومات الخبيرة بالمؤامرات تأقلمت مع المطالب الغربية فحرصت على إجراء انتخابات شكلية رسخت وجودها بالتزوير والبطش والتلاعب بنتائج تلك الانتخابات،واستطاعت أن توصل بعض المتعاطفين معها إلى مقاعد البرلمان، وهكذا ودعت الشعوب العربية القرن العشرين واستقبلت القرن الواحد والعشرين وهي تعاني من أكثر من مأزق سياسي واقتصادي واجتماعي، وتعيش شعوبها صراع قوى محلية متنافسة، وصراع استعمار قديم مع استعمار جديد يحدث نفسه منذ أمد بتحقيق أطماع قديمة، ودول ومناطق عربية محتلة وأخرى تم إلغاء كل علاقة لها بالعروبة والاسلام .

مشروع الشرق الأوسط الجديد(الكبير)(٢١) :

لقد لاحظنا أن الشرق الأوسط يخضع لمؤامرات منذ أزمنة بعيدة كلها تهدف إلى تجزئته وتقسيمه بالرغم مما هو عليه حاليا، وبعيداً عن الخوض في التاريخ القديم كانت خريطة التقسيم في العصر الحديث وتحديدًا في عام ١٩١٦ أول خريطة وفقاً للمخطط الإنجليزي الفرنسي التي كانت ترزح المنطقة كلها تحت احتلالهما، وعرفت هذه الاتفاقية باتفاقية "سايكس بيكو" وتكررت السيناريوهات في عام ١٩٨٣ . وبعد الحادى عشر من سبتمبر طرح مصطلح الشرق الأوسط الكبير أو الجديد، الذي من المفترض أن يشمل دول المشرق العربي ومصر بالإضافة إلى إيران وتركيا وأفغانستان، وهناك خريطة جديدة

لتقسيم شبه الجزيرة العربية والخليج وفيها إلغاء دول الخليج القائمة إلى جانب اليمن وضمهم جميعاً في ثلاث دويلات فقط، هي دويلة الإحساء الشيعية ودويلة نجد السنية ودويلة الحجاز، وقد وضع هذه الخريطة المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" سنة١٩٨٠، واعتمدها الكونغرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية عام ١٩٨٣ وفقاً للخريطة التي ضمها كتاب المؤلف عبد الهادي البكار / أسرار سياسية عربية (٢٢) .

وقد نشر موقع إسلام أون لاين الإلكتروني تقريراً خطيراً ورد ذكره في مجلة القوات المسلحة الأمريكية في عددها حزيران (يونيو) ٢٠٠٦ كتبه رالف بيترز وهو (كولونيل) سابق في الجيش الأمريكي، و خدم في شعبة الاستخبارات العسكرية أيضاً وتفرغ للكتابة و النشر بعد تقاعده، وقد نشر في ١٠ تموز (يوليو) ٢٠٠٦ كتابه المعنون Never Quit The Fight الذي يُعدّ هذا التقرير جزءاً منه أيضاً.

ويتحدّث رالف بيترز في هذا التقرير عن عملية تغيير لمعالم دول الشرق الأوسط من الناحية الجغرافية، فتنشأ بموجبها دول جديدة، و تنقسم دول أخرى، وتتغير معالم دول معينة، وتندمج دول أخرى، ويعرض التقرير المنشور في المجلة خرائط لمنطقة الشرق الأوسط بشكلها الحالي، و خرائط للشكل الذي يتم العمل على تحقيقه، ويعتمد التقرير لتسويغ هذا المخطط على عدد من الحجج المنطقية الجدلية لتمرير هذا المشروع وتسويقه لدى المتطلعين إلى التشرذم والانقسام، ومن تلك المبررات :

أولاً: إنّ الحدود الحالية هي حدود رسمتها كل من بريطانيا و فرنسا بشكل عشوائي في القرن التاسع عشر وهي حدود غير عادلة.

ثانياً : إنّ قوس الحدود الأكثر تشابكاً و فوضوية في العالم يكمن في إفريقيا والشرق الأوسط، وإنّ هذه الحدود تعمل على إثارة الحروب والموت في هذه المنطقة من العالم ، ولذلك يجب تغييرها وإعادة رسمها لإعطاء الأقليات المذهبية أو القومية والإثنية حقوقها المسلوبة.

ثالثاً : صحيح أنّه في بعض الحالات، قد تتفاهم أعداد ومجموعات مختلفة متعددة الأعراق أو الديانات والإثنيات بحيث تتعايش وتتداخل مع بعضها البعض، لكنّ الغالب أنّ التداخل بالدم أو المعتقد في أماكن أخرى قد لا يكون ناجحاً بقدر الاتحاد الذي يحصل في داخل المجموعة الواحدة، لذلك لا بد من إجراء هذا التغيير في خريطة الشرق الأوسط.

رابعاً: الحدود المرسومة للدول ليست ثابتة على الإطلاق والعديد من الحدود من الكونغو إلى القوقاز مروراً في كوسوفو تتغيّر الآن، ومن هنا فإنه لا يجب الاعتداد بالحجج القائلة إنّ هذه الحدود لهذه الدول لا يجب تغييرها ؛ لأنّها تعبّر عن واقع موجود منذ آلاف السنين، وإنّ المحافظة عليها تتطلب تحمّل ضريبة المشاكل التي تحصل فيها.

خامساً: إنّ حدود الشرق الأوسط تسبب خللاً وظيفياً داخل الدولة نفسها، وبين الدول بعضها البعض، خاصّة من خلال الممارسات ضد الأقليات القومية والدينية والإثنية، أو بسبب التطرف الديني أو القومي والمذهبي، ولذلك يجب إنهاء هذا الأمر.

ويدعي التقرير أنّ الغاية من هذا التعديل هو تحقيق عدد من الأهداف الإنسانية والتي تتعلق بالعدل والديمقراطية والتوازن وأهداف أخرى رئيسية هي:

أولاً: إنهاء الظلم الذي يعاني منه عدد من الأقليات في الشرق الأوسط ومنها: الأكراد، البلوش والشيعة العرب، وعلى الرغم من أنّ التعديلات المرتقبة

تأخذ بعين الاعتبار مصالح هذه الفئات، إلا أنّ هذه التعديلات المرتقبة قد لا تستطيع أن تحقق مصالح أقليات أخرى بالكامل مثل : المسيحيين، البهائيين، الإسماعيليين النقشبنديين، وعدد من الأقليات الأقل عدداً .

ثانياً: محاربة الارهاب بشكل كامل بواسطة القوات الأمريكية المتمركزة في المنطقة وحلفائها من الدول المحلية أو العالمية.

ثالثاً: تأمين تدفق النفط بشكل تام وكامل للغرب دون أية قيود.

رابعاً: تحقيق السلام الكامل عبر إحداث تعديلات في الحدود الجيوسياسية للدول الموجودة حالياً في الشرق الأوسط، و نشر الديمقراطية. ويمرر التقرير في ثناياه عدداً من النقاط التي قد يمر القارئ عليها مرور الكرام، و لكنّها خطيرة جداً في مضمونها ومعناها ومنها:

أولاً: الترويج بأن هذا التغيير والتعديل هو لمصلحة الجميع، خاصه أنّه وعلى عكس ما قامت به كل من فرنسا وبريطانيا يراعي مصالح القوميات والإثنيات والمذاهب والمجموعات المختلفة المنتشرة في المنطقة القائمة حالياً؛ لأنه قائم على أساس وقائع ديموغرافية تشمل الأقليات المذهبية والإثنية والقوميّة .

ثانياً : إنّ هذا التغيير في الحدود المرسومة حالياً و تعديلها لإيجاد شرق أوسط جديد، لا يمكن أن يتم بسهولة و سرعة، لأن إعادة تصحيح الحدود الدولية يتطلب توافقاً لإرادات الشعوب التي قد تكون مستحيلة في الوقت الراهن، ولضيق الوقت فإنه لابد من سفك الدماء للوصول إلى هذه الغاية واستغلال عامل الوقت لصالح هذه الخطّة.

استناداً لما تمّ ذكره، فإن دولاً جديدة ستنشأ، مما يعني فقدان بعض الدول الموجودة لأجزاء كبيرة من حدودها الحالية و زيادة حدود دول أخرى.

الدولة الكردية : تقتضي الخطّة المذكورة إقامة دولة كردية مستقلة للأكراد البالغ عددهم ما بين (٢٧ - ٣٦) مليون كردي يعيشون في مناطق محاذية لبعضها البعض في الشرق الأوسط ؛ إذ يعد التقرير أنّ الأكراد هم أكبر قوميّة في العالم لا يعيشون في دولة مستقلة، و أنّه يجب تحقيق دولتهم المستقلة عبر عدد من الخطوات منها:

أولاً : استغلال الفرصة التاريخية التي لاحت للولايات المتّحدة بعد سقوط بغداد في إنشاء دولة كردية إثر تقسيم العراق إلى ثلاث دول؛ لأن الأكراد سيصوتون بنسبة ١٠٠٪ لصالح قيام دولة مستقلة إذا عُرضت عليهم فرصة قيام دولة مستقلة.

ثانياً: دعم أكراد تركيا على الرغم من أنّ هجماتهم في الداخل قد خفّت خلال العشر سنوات الماضية، إلا أنهم عادوا من جديد الآن، و عليه يجب استغلال هذه الفرصة للضغط على تركيا، و إظهار الجزء الشرقي منها كما وأنّها "منطقة محتلة".

ثالثاً: بعد قيام الدولة الكرديّة المستقلة في العراق وتركيا، فإنّ أكراد إيران وسوريا سينضمون بمناطقهم مباشرة إليها وسيشكلون "دولة كردستان الكبرى المستقلة" بحدودها النهائية.

وستكون هذه الدولة الكردية الممتدة من ديار بكر في تركيا إلى تبريز في إيران أكبر حليف للغرب في المنطقة ما بين اليابان وبلغاريا.

الدولة الشيعية العربية : وفقاً للتقرير، فإنّ الجزء الجنوبي من العراق سيكون نواة لتشكيل دولة شيعية عربية تنضم إليها مناطق واسعة من الأراضي المحيطة بها ليشكل حزاماً على المنطقة المحاذية للخليج العربي على أن تشمل المناطق التالية:

أولاً: الجزء الجنوبي الغربي من إيران والمعروف بمنطقة الأهواز أو عربستان والتي تضم معظم الشيعة العرب في إيران.

www.books4all.net

ثانياً: الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية والذي يضم العدد الأكبر من الأقلية الشيعية في المملكة.

دولة سوريا الكبرى: بعد تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام: كردي في الشمال، شيعي في الجنوب وسني في الوسط، سيضطر الجزء السني إلى الالتحاق بسوريا، و ذلك لأنه سيصبح دولة لا مقومات لها بين مطرقة الدولة الكردية الكبرى إلى شماله، و سندان الدولة الشيعية إلى جنوبه إذا لم ينضم إلى سوريا، و سيتم إجبار سوريا على التخلي عن جزء صغير منها لضمّه إلى لبنان لتشكيل 'دولة لبنان الكبير" على البحر المتوسط لإعادة إحياء دولة فينيقيا.

المملكة العربية السعودية: ستكون المملكة إلى جانب باكستان بالإضافة إلى تركيا من أكثر الدول التي ستعاني نتيجة للتغيير الذي سيطرأ على المنطقة، وسيتم تقسيم المملكة إلى خمسة أقسام:

أولاً: القسم الشرقي الساحلي حيث تتواجد الأقلية الشيعية في المملكة، وسيتم إلحاق هذا القسم بالدولة العربية الشيعية التي تحدثنا عنها أعلاه.

ثانياً: القسم الثاني هو جزء يقع في شمال غرب وشرق المملكة، وسيتم إلحاقه بالأردن الذي سيشكل بحدوده الموجودة حالياً إضافة إلى الجزء السعودي دولة "الأردن الكبرى" التي ستضم كل الفلسطينيين في الشتات.

ثالثاً: القسم الثالث من المملكة سيضم كل المدن الدينية لاسيما مكّة المكرّمة و المدينة المنوّرة التي سيتم تشكيل دولة دينية عليهما يحكمها مجمّع ديني من مختلف الطوائف والمذاهب الإسلامية يشبه إلى حد كبير الفاتيكان.

رابعاً: إلحاق قسم من جنوب المملكة إلى الجمهورية اليمنية التي سيزيد حجمها.

خامساً: تشكيل دولة سياسية في القسم المتبقي من حجم المملكة الأصلي.

الجمهورية الإيرانية: صحيح أنّه سيتم اقتسام بعض الأجزاء من إيران لصالح تشكيل دولة كردية و دولة شيعية عربية و دولة بلوشية و جزء صغير لضمّه لدولة أذربيجان، إلاّ أنّه سيتم اقتطاع جزء من أفغانستان المجاورة لتشكيل دولة قومية فارسية تحلّ محل الجمهورية الإيرانية الحالية.

أفغانستان و باكستان: القسم الذي سيتم اقتطاعه من أفغانستان لمنحه لإيران سيتم تعويضه من خلال منح أفغانستان جزءاً كبيراً من باكستان حيث العديد من القبائل الأفغانية والقريبة لها، وسيتم اقتطاع جزء آخر أيضاً من باكستان حيث يقيم البلوش لمنحه لدولة بلوشستان الحرة، و بذلك يتبقى مساحة ثلث أو أقل من حجم باكستان الحالية التي ستتشكّل الدولة الجديدة المنتظرة.

الكويت، قطر، عمان، الإمارات والبحرين واليمن: ستبقى هذه الدول على الأرجح بشكلها الحالي دون زيادة أو نقصان مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الإمارات قد تشهد بعض التغييرات، و ذلك تبعاً للتغير الذي سيصيب بعض الدول المجاورة لها، سواء لناحية إيران أو لناحية دولة الشيعة العرب، فيما سيزيد حجم اليمن نتيجة لمنحها جزءاً من المملكة العربية السعودية.

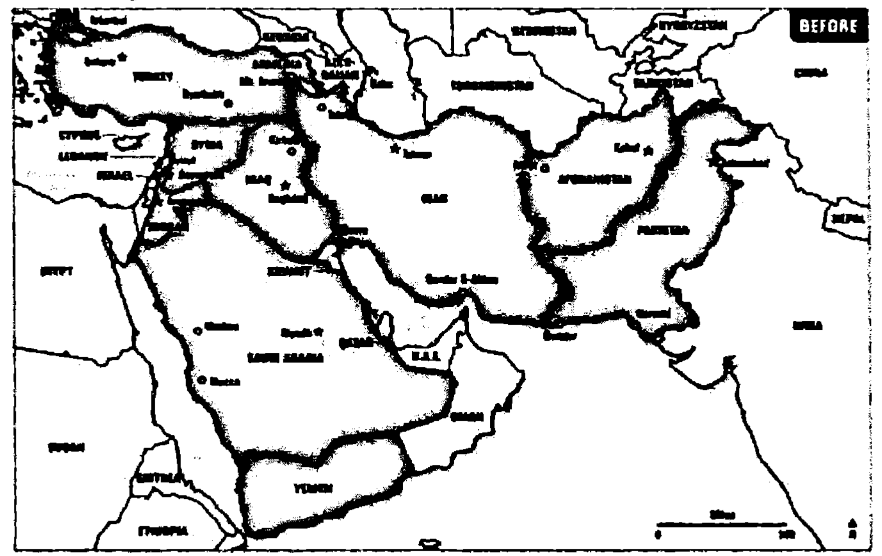
لذلك وكما نرى فإنّ إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط سيتم على أساس قومي أو إثني(عرقي) في بعض الأحيان و طائفي في أحيان أخرى، و بما أنّ إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط انعكاساً لإرادة الناس والفئات لا يمكن أن يتم فوراً حتى ولو أرادوا ذلك الاّ أنّه مع الوقت ومع عملية سفك الدماء وفقاً للتقرير فإن تحقيق هذه الخريطة الجديدة سيكون ممكناً جداً.

أمّا بالنسبة لإسرائيل ووفقاً للتقرير، فلكي تمتلك أي أمل بالحياة بسلام مع جيرانها فسيكون عليها الانسحاب من كل المناطق التي احتلتها في العام ١٩٦٧

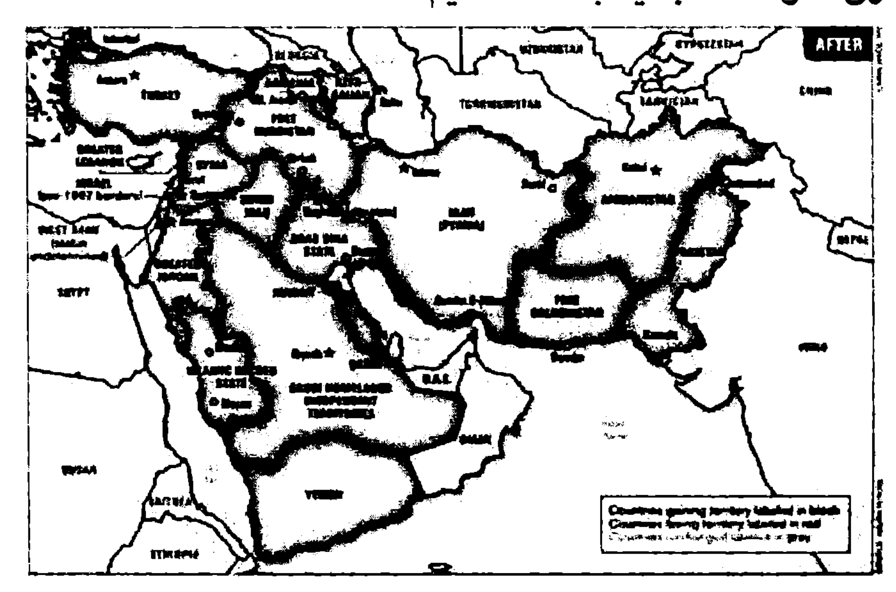
مع ضـرورة إجراء تعـديلات محليـة تواكب القلق الأمني الذي يسـاورهـا بشـكل دائم.

الشرق الأوسط القديم قبل التقسيم :





الشرق الأوسط الجديد بعد التقسيم :



الشرق الأوسط الجديد

ويرد بعد ذلك تعليق في الموقع يقول " إن نشر مثل هذا التقرير في مجلة عسكرية أمريكية هدفه إن لم يكن التطبيق الفعلي، فهو لابتزاز عدد من الدول الكبيرة كالسعودية والباكستان وتركيا للبقاء ضمن الدائرة الأمريكية.خوفاً من هذا المصير، وفي حال تمّ تطبيقه فالهدف منه إيجاد بيئة رسمية وشعبية موالية للولايات المتحدة الأمريكية ؛ لأنّ الدول التي ستنشأ والكيانات التي ستقوم والمجموعات التي ستستفيد من هذا الواقع ستكون ممتنّة جداً للولايات المتحدة و مدينة لها، كما هو حال الحكومة الحالية في أفغانستان من الناحية الرسمية، أو كما هو الحال مع شيعة العراق وكرده رسمياً أو شعبياً.

ومما لا شك فيه أنّ الخطط الأمريكيّة تجاه العالم الإسلامي الذي تدعوه الشرق الأوسط، عندما تريد تخصيص الدول العربية و بعض الدول الأخرى في محيطها، تعدّدت وتنوّعت على مر السنين لتتلاءم مع التغيرات التي تطرأ على المنطقة بين الحين والآخر، لكنّها في جميع الأحوال والظروف حافظت على عاملين اثنين أساسيين اعتبرتهما كثوابت في جميع هذه الإستراتيجيات، وخطّا أحمر يمس الأمن القومي الأمريكي:

العامل الأول هو: حماية أمن إسرائيل ودعمها بأي ثمن، والعامل الثاني هو: تأمين النفط والمصالح الإستراتيجية الأمريكية الأخرى.

و على العموم فإنّ الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في المنطقة يمكن تلمّس معالمها من خلال الأدوار التي لعبتها أمريكا في أفغانستان والعراق، ومن خلال الأدوار التي تلعبها مؤخراً بمساعدة أوروبا في عدد من الملفات، سواء في سوريا أو لبنان أو فلسطين أو مصر أو الخليج العربي وتركيا.

إنّ مسألة التلاعب أو التحكّم بورقة الأقليات[٢٣] وحقوق الإنسان مسألة معروفة قديماً في العرف السياسي الأمريكي الخارجي، وهذا الأسلوب يظهر

الولايات المتّحدة بمظهر المدافع عن حقوق البشر و توجّهاتهم في وقت تعاني هي أصلاً فيه من عنصرية بغيضة تجاه الأقليات سواء العرقية أو القوميّة .

وخلاصة القول نجد أن الخطة الجديدة تقوم على استعمال ورقة الأقليات لزعزعة استقرار ووحدة الدول القائمة في الشرق الأوسط، لاسيما أنّ لهذه الورقة قوّة كبيرة، وقد تؤدي إلى مواجهات عنيفة تتفكك على إثرها الدولة إلى دويلات طائفية وعرقية أو تضعف الدول كثيراً في أحسن الأحوال ؛ لأنّ الدولة في الشرق الأوسط بطبيعتها الحاليّة، ومنذ انهيار الدولة العثمانيّة هي دولة قوميّة بالأساس، وتضم عدداً كبيراً و متنوعاً من الأعراق والطوائف والقوميات.

وبطبيعة الحال فإن الدول التي تحويها القائمة في هذا المجال هي الدول الأكثر تنوعاً و امتزاجاً مثل: العراق، أفغانستان، السودان، الجزائر، لبنان...إلخ و ذلك من أجل إعادة صياغة الواقع العرقي والطائفي والقومي وفق تركيبة تناسب المخططات الأمر يكية التي تهدف إلى تحقيق عدة أهداف منها:

أولاً: إضعاف الدولة القوميّة بشكلها الحالي التي لديها حساسية كبيرة بطبيعة الحال تجاه التدخلات الخارجية في شؤونها، وهو ما سيسهّل عملية الاختراق الأمريكية للدول التي تأبى الانصياع لما تريده أو التي ترفض التغيير بحسب الوصفة المقدّمة على الطريقة الأمريكيّة.

ثانياً : ضمان عدم إلتحام هذه الأقليات والطوائف والأعراق، وضمان عدم ذوبانها أو على الأقل انسجامها مع الأغلبية في أي بلد من بلدان الشرق الأوسط في أي إطار جامع على الشكل الذي كانت فيه منذ قرون لضمان أنها ستكون بحاجة إلى مساعدة خارجية، و كل ذلك من أجل أن تبقى هذه الأقليات برميل بارود يمكن تفجيره في الوقت الذي تراه القوى الغربية مناسبًا، وبالتالي

ستكون أمريكا جاهزة للتدخل في أي مكان و زمان تراه مناسباً في أي بلد من هذه البلدان إذا رأت أنّ ذلك لمصلحتها، و بحجّة الحماية بطبيعة الحال. وإن لم يكن ذلك في مصلحتها فلا هي ترى ولا تسمع ولا تتكلم.

ثالثاً : إنّ الهدف أيضاً من ورقة الأقليات هو تسويغ وجود إسرائيل وتوسيع رقعة المشاكل والنزاعات الإقليمية الداخلية العرقيّة والقوميّة لإشغال العالم العربي والإسلامي وشعوب هذه الدول بالمشاكل الداخلية المستجدّة لديهم والمخاطر التي تتهدّد بلدانهم المعرضّة آنذاك للتفتيت والتقسيم، بمعنى تقسيم المقسّم أصلاً وتجزئة المجزأ بعدها حتى تصبح القضية الفلسطينية في آخر اهتمامات الشارع الإسلامي والدول الإسلامية، هذا إن تذكّرها بعد ذلك أحد، وبالتالي تنعم "إسرائيل" بما هي فيه.

رابعاً : الهدف أيضاً من نفس الموضوع هو إفساح المجال أمام إسرائيل للدخول والتغلغل في هذه الدول عبر الأقليات سواء القومية أو الطائفية أو العرقية، ولنا في أكراد العراق وشيعته مثال على ذلك؛ إذ أنّ الدولة المدمّرة أو المفتّتة أو التي يتم إضعافها عبر ورقة الأقليات سيكون من السهل على إسرائيل اختراقها كما حدث أيضاً في جنوب السودان.

ترتكز الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في المنطقة، في شقّها الثاني على تحجيم نفوذ الدول الكبرى تقليدياً في المنطقة مثل:

- **السعوديّة** : التي من المفترض أن تشمل دائرة نفوذها الإقليمية على الأقل دول الخليج العربي و ذلك لاعتبارات اقتصادية وديمغرافية، جغرافيّة وعسكرية... إلخ.

- **مصر**: التي من المفترض أن تشمل دائرة نفوذها أو دائرة تأثيرها أيضاً

منطقة شمالي إفريقية و السودان و فلسطين على الأقل، و ذلك أيضاً لأسباب ديموغرافيّة، اقتصاديّة، تاريخيّة ..إلخ.

- **سوريا والعراق** : حيث تمتد دائرة نفوذ الدولتين إلى الدول المجاورة لهما سواء لبنان و فلسطين بالنسبة إلى سوريا أو الأردن و الخليج بالنسبة للعراق بالإضافة إلى عدد آخر من الدول الكبيرة أيضاً التي لم نذكرها.

ونلاحظ أنّ الولايات المتّحدة قد لجأت إلى هذه الخطّة في تحجيم نفوذ الدول الكبرى نظراً للتعقيدات الكثيرة والتشابكات الكبيرة التي تتركها دائرة نفوذ مثل هذه الدول الكبرى على الدول الأخرى، ممّا من شأنه أن يحدّ من التدخّل الأمريكي بحيث يصعّب على الولايات المتّحدة التدخل في أي موضوع أو ملف لأي دولة تكون لهذه الدول الكبرى نفوذ فيها، إذ إنّ الأمر آنذاك سيتطلب من الولايات المتّحدة جهداً مضاعفاً و وقتاً مضاعفاً و تباحثاً مع جميع الأطراف، وربما جوائز ترضية للدول الكبرى، و ربما قد تخفق في النهاية للوصول إلى هدفها أو قد تصل إليه بصعوبة.

هذه هى قصة خريطة الشرق الأوسط الجديد كما تم تداولها فى الموقع المذكور أعلاه والتعليقات التى وردت بشأنها . ولا يعرف إن كان هناك نية لوضع خريطة أو خرائط ؟ ولكن مهما كان الأمر فإن حال العرب والمؤامرات عليهم لم يتغير ولم يتبدل. وهم يعيشون حالة الضيا ع بين أمل معقود وحلم مفقود.

الحواشي المرجعية

(١) إسماعيل أحمد ياغي . الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. مصدر سابق . ص١٣٠ .

(٢) ياسين سويد . مؤامرة الغرب على العرب . ص٢١ .

(٣) نفس المصدر . ص٢١ .

(٤) بروكلمان، كارل . تاريخ الشعوب الإسلامية. ص٧٦٢ .

(٥) إسماعيل أحمد ياغي . مصدر سابق . ص٢١٣ .

(٦) يانج جورج . . تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل. ص٦١ .

(٧) نفس المصدر . ص٢٢٦ .

(٨) عادل ثابت . فاروق الأول : الملك الذى غدر به الجميع. ص٢٤٥ .

(٩) إسماعيل أحمد ياغي . تاريخ العالم العربي المعاصر . مصدر سابق . ص٨٧ .

(١٠) نفس المصدر . ص٩٣ .

(١١) نفس المصدر . ص١٩٧ .

(١٢) نفس المصدر . ص١٠٣ .

(١٣) نفس المصدر . ص١٨٥ .

(١٤) نفس المصدر . ص٣١١ .

(١٥) نفس المصدر . ص٣٣٩ .

(١٦) نفس المصدر . ص٣٧٥ .

(١٧) نفس المصدر . ص٤١٥ .

(١٨) نفس المصدر . ص٤٤٩ .

(١٩) عمر هارون الخليفة . مصدر سابق. ص١٩٧ .

(٢٠) مسعود الخوند . مصدر سابق . جـ٧، ص٣٠٦ .

(٢١) الموقع الإلكتروني. إسلام أون لاين . ٢٩ يوليو (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) .

(٢٢) عبد الهادى البكار . أسرار سياسية عربية. القاهرة: دار الخيال، ٢٠٠٠ . ص١٩٦

(٢٣) صلاح سالم. مصدر سابق. ص٧٧ .

الفصل السادس

- العرب والفراغ الأيديولوجي
  - الأيديولوجيـــة النازيـــة
  - الأيديولوجية الصهيونيـــة

www.books4all.net

العرب والفراغ الأيديولوجي

بدأنا حديثنا في صدر هذا الكتاب عن نظرية المؤامرة بين مؤيد ومعارض لها لنصل إلى أن هناك من يقول بأن سبب تخلف العرب وفشلهم عائد إلى المؤامرات التي تحاك ضدهم من الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، بينما تجد هناك في المقابل من يقول بأن العرب يعيشون وهم مؤامرات تحاك ضدهم، وأن حكامهم عمدوا إلى تغذية هذا الشعور للتخلص من فشلهم وللتستر على سياساتهم الخاطئة، وإن التركيز على المؤامرة الغربية يقصد منه صرف الأنظار عن مؤامرات تقوم بها جهات غير غربية لاتريد للعرب إلا السوء وتروج لهذه الفكرة حتى تبعد الشبهة عن نفسها، ولابد لنا من ذكر بعض الملاحظات في هذا المجال مثل :

إن كتابات الطرفين المتناقضين تبدأ بالحديث عن نظرية المؤامرة، ثم تراهما يحصران حديثهما فجأة عن العرب والمسلمين، مع أن عوامل التاريخ والجغرافيا تؤكد أن المؤامرات ليست مقصورة على دولنا نحن العرب والمسلمون فقط كما أسلفنا ولا هي حكر على تاريخنا، بل إن للمؤامرة بيئة تعيش فيها، وحينما تستوفي أركانها فإن تبعاتها تقع على ضحاياها في أية بقعة من بقاع العالم، مهما كانت معتقداتهم ودياناتهم التي يدينون بها لدرجة

أن كلمة المؤامرة تكاد تكون موجودة في جميع لغات العالم المتحضر والمتخلف، القديم والحديث على حد سواء .

كما أننا نلاحظ فيما سبق من أطروحات مؤيدة أو معارضة لنظرية المؤامرة أنها لا تراعي مبدأ تحديد مفهوم المؤامرة، إذ أنها تضع عنواناً كبيراً هو نظرية المؤامرة لتجعله أسير التعميم الشديد في وقت يحتاج فيه هذا المفهوم إلى تمحيص وتدقيق . فالمغالون في تأييد نظرية المؤامرة يهملون جانباً مهماً هو أنهم يفتحون الباب واسعاً ليدخل منه كل طاغية أو نظام متسلط ليبرر شنائعه وممارساته القمعية متذرعا بأنها ضرورة ملحة لمواجهة مؤامرات غربية أو شرقية، وما على إعلامه إلا الترويج لذلك، كما أن الشعب المغلوب على أمره لا يملك إلا ترديدها طوعاً أو كرهاً .

أما المعارضون لنظرية المؤامرة بشكل مطلق فهم في دفاعهم عن أطروحاتهم يغلقون الباب تماماً أمام أي احتمال لتخطيط يستهدف التآمر على دولهم وشعوبهم ويحصرون تفسير الأمور في زاوية ضيقة هي النقص في استيعاب الواقع أو التهرب من الأخطاء التي يقع فيها الحكام العرب أو شعوبهم على حد سواء، وقد كان من الواجب على الفريقين المتناقضين أن يؤكدا على استخدام كلمة "بعض المؤامرات" وعدم استخدام "كل المؤامرات" حتى تكتسب أطروحاتهم مصداقية منطقية .وقد كان بإمكانهما أن يتفقا، فيقول أحدهما بأن بعض مفاهيم نظرية المؤامرة تنطبق على العرب والمسلمين، بينما يقول الآخر بأن بعض مفاهيم نظرية المؤامرة لا تنطبق على العرب والمسلمين، ويكون الطرفان كلاهما في هذه الحالة على حق بعد أن انتفى التعميم الفج في القضية وتحولت أطروحة كل منهما بذلك من قضية كلية إلى قضية جزئية تستوعب الرأيين.

ثم يأتي بعد ذلك جالدو الذات ليقولوا بأن مجرد نجاح المؤامرات المستمر ضد العرب هو بحد ذاته دليل على قصور شديد لديهم وأنه يجب عليهم أن يعترفوا بفشلهم وبأنهم متخلفون لا يستطيعون هم أو حكامهم أن يسوسوا أمرهم كما هو الحال عند غيرهم من الشعوب والدول، وأنه لا أحد يتآمر عليهم بل إنهم هم المتآمرون على أنفسهم .

ولنا أن نفترض حسن النية في المثقفين المدافعين عن نظرية المؤامرة الذين يستندون في أطروحاتهم إلى بدايات التخطيط الاستعماري الدولي والصهيوني متمثلا في اتفاقية "سايكس بيكو" التي أعادت ترسيم الحدود العربية فجعلتها كاللغم الحدودي البريطاني - الفرنسي الذي ينفجر بين حين وآخر بين بعض الدول العربية وغيرها ليولد الخلافات والنزاعات الحدودية الدائمة، ثم مجيء مؤامرة وعد بلفور الذي أهدى ومنح فلسطين لليهود، وكذلك المؤامرات الصهيونية المستمرة ضدهم، وربما يأتي حسن الظن في هؤلاء المؤيدون لنظرية المؤامرة من دوافعهم لاستنهاض همم العرب حتى يفيقوا من غفلتهم فيغيروا من واقعهم من الداخل .

وعلى الجانب الآخر يجب علينا كذلك افتراض حسن النية في المثقفين العرب الآخرين الذين يعارضون نظرية المؤامرة على اعتبار أن الفكر العربي لا يخطط ولا يرسم سياسات لدراسة المستقبل، وعندما يفاجأ بهذه السياسة الدقيقة والحكيمة يستسهل وصفها بالمؤامرة،على الرغم من الفارق الكبير بين التخطيط السليم ورسم السياسات والمؤامرات، فهم يعارضون وجود مؤامرة حتى لايصاب العرب بالاتكالية فيركنون إلى تقبل الواقع وتفسير الأمور تفسيراً يعوزه البحث العلمي الدقيق، وبالتالي توجيه سهامهم إلى الأهداف الخاطئة .

وإذ يقدر المرء لهذين الفريقين حسن نواياهم وغيرتهم لتغيير أوضاع أمتهم إلى الأفضل فإن بعداً آخر للقضية يحتاج من الفريقين أو من غيرهم من الغيورين على هذه الأمة أن يتعمقوا فيه.

هذا البعد هو عن أي عرب ومسلمين نتكلم وعن أي حكام عرب نتحدث؟ وعن أي متآمر يتربص بنا الدوائر. إن مشكلتنا الحقيقية هي أننا نتلقف ما ينشر وما يبث وما يذاع على أنها مسلمات دون أن نتعمق فيها أو أن نحللها، والواجب علينا هو أنه إذا ما توصلنا إلى مطابقة التحليل العلمي والمنطقي وواقع الحال على أي من الأطروحات التي يتبناها المدافعون عن نظرية المؤامرة أو القائلون بضدها أو غيرهم، فيجب علينا أن نقبل ذلك كاستنتاج منطقي وعلمي صحيح بشكل مؤقت لأن أية نظرية أو نتيجة يجب أن تخضع للتقييم المستمر وعدم التسليم بديمومتها الأبدية، ولا يجب أن نشعر بالخجل إذا ما تراجعنا عنها، بل يجب على المفكر المخلص أن يفخر بالتراجع عن نظرية كان ينادي بها لأنها كانت في يوم ما صحيحة ولكنها لم تعد الآن كذلك.

ومن المتفق عليه أن المسلمات الأكثر ثباتاً هي ثلاثة أنواع من النظريات أولها النظريات المنطقية كقولنا: إن الجزء أصغر من الكل، أو إنه لا يمكن للكل أن يكون كلاً وغير كلٍ في آن واحد. أما ثانيها فهي النظريات الرياضية كقولنا ١+١=٢، أو ٣×٣=٩ ، أو ٧÷٧=١، وآخر تلك النظريات هي النظريات العلمية كالتي تقول إن التفاحة تسقط من الشجرة على الأرض ولا تصعد إلى الأعلى، ومع ذلك فإذا ما أثبت أحد ما عكس ذلك فلا يجب أن نشعر بالحرج عند تراجعنا عما اعتقدناه صحيحاً، فما بالنا نقدس جمود النظريات البشرية السياسية والفكرية وهي التي لم ينزل بها سلطان مبين من الله عز وجل .!

وهناك بعد آخر مهم للموضوع ربما يغيب عن أذهان بعض من تطرقوا له، وهو أن نظرية المؤامرة أمر يختلف عن مفهوم المؤامرة، فلا أحد يستطيع إنكار وجود المؤامرة كظاهرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وغير ذلك من أنواع المؤامرات التي أتينا على ذكر بعض منها،والا أوقع المعارض لهذا المفهوم نفسه في تناقضات ومواجهات لأدلة لاحصر لها على مر التاريخ، ولكن ماهو موضع استنكار هو أن يتبنى الواحد منا نظرية المؤامرة كمنهج لتفسير المؤامرات التي تحيق بنا بشكل مستمر بمعنى تبرئة الذات من أية مسئولية، وعدم تفسير الأمور والأحداث تفسيرا ًعلميا ًومنطقيا، والإصرار على توجيه الاتهام بشكل تلقائي إلى عدو تقليدي دون التيقن من أن أطرافاً أخرى هي السبب وراء ذلك. ومن سوء حظنا نحن العرب أن لدينا عدواً جاهزاً هو إسرائيل تنطبق عليه مختلف أنواع التهم سواءً كان ضالعاً فيها أم بريئاً منها، مما وفر ملاذاً آمناً لقوى متآمرة أخرى داخلية وخارجية لتحتمي به من توجيه أصابع الاتهام التي يمكن أن توجه إليها.

والآن آن لنا أن نجيب على سؤال مهم قد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم وهو: إذا ما اتفقنا على أن بعض المؤامرات تحاك ضد المسلمين وخاصة العرب على أساس أنهم محور التقاء العالم الإسلامي غير العربي والعالم العربي غير الإسلامي، فإن التهمة لا تزال لصيقة بالعرب لأنهم سمحوا حتى لبعض المؤامرات أن تحاك ضدهم . ولماذا لا يعملون على إحباط المؤامرات التي يتم تنفيذها ضدهم أو تجنبها مثلما يفعل غيرهم من الدول التي تتعرض لمثل تلك المؤامرات؟

فيمكننا القول إن هذا الاستنتاج سليم في بعض جوانبه لأنه بالإمكان القول بأن القوة العددية للعرب تربو على ٣٠٠ مليون نسمة تقريبا، وأن أراضيهم

الشاسعة تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، وأن الإمكانيات الاقتصادية والثروات الهائلة التي تحتويها رقعتهم من شأنها أن تجعلهم في صدارة العالم، وأن المقدرة العلمية للمتعلمين والمثقفين العرب لاتقل عن قدرة أندادهم في الدول الأخرى، وإن غيرهم من الدول كالدول الأوروبية رغم تعدد لغات سكانها ومذاهبهم الدينية والفكرية هم أكثر قدرة على مواجهة المؤامرات رغم ما يوحد العرب من لغة وثقافة ودين عظيم كالدين الإسلامي إلى آخر تلك المفارقات التي تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي أن العرب هم سبب بلائهم وأن المؤامرات أو بعضها تحقق نجاحاً عندما تحاك ضدهم في حين أنها لا تنجح في دول أخرى كالهند مثلا وهي لا تمتلك نفس مقوماتهم ؟

إن جواب هذا السؤال يحتاج إلى تمحيص وتدقيق شديدين لأننا نتحدث عن أمة كبيرة عانت من محن وابتلاءات قل أن تنكب بها أمة على مر التاريخ، فأصبحت ساحة مفتوحة للمؤامرات، أما إذا أردنا تلخيص السبب الرئيسى في كل ذلك فسنجده في غياب عنصر مهم من عناصر القوة ودرء المؤامرات، ألا وهو غياب الأيديولوجية الواحدة والصبر والمثابرة على تحقيقها، فعرب اليوم يفتقرون إلى وجود أيديولوجية مشتركة تجمعهم وتعكس ماضيهم وحاضرهم وترسم مستقبلهم وتحتوي على القيم العالية من عدل ومساواة وانضباط الحاكم والمحكوم، ولم يجتهد مفكروهم أو زعماء دولهم الاجتهاد الكافي لصياغة مثل هذه الأيديولوجية، وحينما تكون لدينا أيديولوجية صادقة وقويمة وواضحة للشعب فإنه سينجذب إليها حتى وإن كانت صعبة التطبيق. فالأيديولوجية المعبرة عن آمال الشعوب أساس تحقيق الأمم لأهدافها.

وبناء على ذلك فإن نجاح أية أيديولوجيا يعتمد على من يقفون وراءها ومدى قدرتهم على إقناع الناس بها أو حملهم عليها ،ومن هنا يأتي خطأ الدول

والمجتمعات في عدم التصدي للمفاهيم السياسية وغير السياسية المعوجة بشكل مبكر وعدم تصحيحها بالحجج والبراهين المنطقية وترك مروجيها يسرحون ويمرحون إلى أن يستفحل أمرهم فيصعب علاجه، فاعتناق الأفكار والأيديولوجيات لايأتي بالضرورة بسبب رقيها أو إنسانيتها أو تحقيقها للعدالة، وإلا لكانت الأديان السماوية خير أيديولوجيات يهتدي بها الناس، سيما وأنها جاءت مكملة لبعضها البعض لتختتم رسالتها في الإسلام الذي جاء جامعًا لما قبله ومانعا لما بعده، أما إذا كانت تلك الأيديولوجية منحرفة، فإن الشعوب المغلوبة على أمرها تساق إلى تلك الأيديولوجية المنحرفة رغم أنوفها وهي تتطلع إلى يوم الخلاص منها ومن منظريها ومنفذيها.

ولكن المتتبع لمسار الأيديولوجيات يلحظ أن الأيديولوجيات السامية قد تتعثر مسيرتها في الوقت الذي قد ينجح فيه ذوو الأيديولوجيات المنحرفة لإشباع عقدهم السلطوية أو النفسية أو لتحقيق أهدافهم الدنيوية والعنصرية والشعوبية والسياسية وغيرها، وإذا ما بحثت عن السبب في هذا النجاح وغيره فستجده كامنًا في أن أفراداً أو جماعات تتبنى فكرًا منحرفًا، ثم تبدأ مؤامراتها وعملها الدءوب لتحقيقه على أرض الواقع، مستخدمة ما أمكنها من وسائل وأساليب لتصل إلى غايتها المنشودة فترسم الخطة بعد الخطة بصبر وأناة في انتظار ساعة تحقيق حلمها المنشود مستفيدة من تقاعس المخلصين عن التصدي لهم، ومستفيدة كذلك من كل الظروف المحيطة لتتسلل بالوسائل الإدارية والمالية والسياسية والاجتماعية والإرهابية وغيرها لتحقق غايتها.

ولكي نستطيع تبسيط الموضوع وتسهيله سنضرب مثالاً لأيديولوجية جائرة استطاعت أن تحقق نجاحًا رغم تعسفها وتعاليها على بني البشر، هي الأيديولوجية النازية، ومثالاً آخر لأيديولوجية شبيهة بها استطاعت الصمود

أمام التحديات بسبب صبرها ومثابرتها على تحقيق أهدافها الباطلة وهي الأيديولوجية الصهيونية، لنستنتج من ذلك أهمية الأيديولوجية والصبر والمثابرة على تحقيق الأهداف في تاريخ الأمم، وهما عنصران (أي الأيديولوجية العربية المعاصرة والمثابرة على تنفيذها) افتقدهما العرب فأصابهم ماأصابهم من بلاء

الأيديولوجية النازية (١):

كلمة "نازي" مأخوذة بالاختصار والتصرف من العبارة الألمانية "ناشيونال سوشياليستيش دويتش أربايترباتري Nationalsozialististische Deutsche" Abeiterpartei (NSDAP)"، أي "الحركة الاشتراكية الديمقراطية القومية"، وهي: حركة عرقية داروينية شمولية، قادها هتلر وهيمنت على مقاليد الحكم في ألمانيا، وعلى المجتمع الألماني بأسره، وهي حركة سياسية وفكرية ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، ضمن حركات سياسية فكرية أخرى تحمل نفس السمات، داخل التشكيل الحضاري الغربي .

وظهرت النازية في آخر الأمر على مسرح السياسة القومية والدولية منتصرة كتعبير قوي متكامل عن الخصائص الرئيسية لفلسفة الجرمان السياسية، وظهرت لتكافح وتنتزع للألمان مغانم جديدة وتعوضهم عن الخسائر القديمة، وهي كقوة محاربة تركت في تاريخ العالم المعاصر طابعاً لن تستطيع الأيام محوه من ناحية صراعها الأيديولوجي والسياسي والعسكري.

وفي الواقع أن النازية وإن كانت قد نمت في العهد الذي أعقب الحرب العالمية الأولى وتسببت في المآسي التي حدثت للألمان وللعالم بأجمعه، إلا أنها قامت كحركة احتجاج على آثار تلك الحرب المتمثلة في معاهدة فرساي،

وكتعبير عن السخط المتعدد الجوانب الذي ساد البلاد، وكأمل في الوحدة والاستقلال والرفاهية والغزو وغيرها من الأهداف التي استقرت منذ أكثر من قرن من الزمان في أفئدة الألمان وعجزت جمهورية فيمار عن أن تحققها بنظامها الاشتراكي الديمقراطي، ولم تتردد النازية في الإعلان عن أن العنف هو وسيلتها لبلوغ مآربها في الداخل والخارج، وتنظيم العالم تنظيماً يكفل لها السيادة لألف عام.

ولقد كانت الأيديولوجية النازية مصرةً على الصراع الذي لا يعرف هوادة أو رحمة ولا يقف عند حدود جغرافية أو حدود وطنية مما تعارفت عليه الدول القومية الحديثة ولا يعترف إلا بالعنصرية كأساس للتنظيم المحلي والعالمي مما دفع الباحثين إلى النظر إليها على أنها ليست فلسفة عالمية قابلة للتصدير أو التقليد، وإنما هي فلسفة جرمانية خلقت لتبرر مطامع ألمانيا التاريخية ورغبتها في التوسع والاستعمار. وقد أعطى النازيون للغير كل تبرير لذلك الفهم، فهم أكدوا أن الشعب هو العنصر، وأن العنصر أو العرق هو وحدة القوة الخلاقة للثقافة والحضارة الحقيقية، وأنه ينبغي أن ترتب الدول والأمم على هذا الأساس، ومن ثم فالأرض للصفوة المختارة من الشعوب، وخيراتها للصفوة المختارة من أفرادها، وأن مثل هذا المبدأ لا يقوم إلا للدعوة إلى السيادة والحكم والأرستقراطية والتسلط، لا إلى الدعوة إلى المساواة والسلام بين شعوب الأرض، فهو مبدأ محلي لمخاطبة أبناء الرايخ ولتسيدهم في مجال السياسة والحرب، وقد دعا هذا الاتجاه في الفلسفة النازية مفكراً مثل هارولد لاسكى لأن ينكر عليها مجرد السمو إلى المرتبة التي يجوز إطلاق اسم الفلسفة عليها، ويعدها أداة من أدوات تبرير السلوك عند العصابات وقطاع الطرق من الفاشلين الذين لا يستطيعون بلوغ غاياتهم إلا باتباع هذا المنهج، ولكن مهما قيل في وصف النازية بسبب ما أقدمت عليه من انتهاج للعنف، فإنها كانت

دعوة جذابة لملايين الألمان، إذ بدت كأنها المجال الوحيد الذي يلتقي في رحابه ذلك الشعب الممزق آنذاك من الناحية السياسية والقومية والاجتماعية، فلقد قدمت مبدأ الدم كأساس يلتقي عنده الألماني بالألماني ويحس معه فيه بالتماسك والعصبية والوحدة، واتفقت في هذا مع التراث الألماني الذي يمجد الدم، ومع التراث الفكري والثقافي الذي يذهب إلى سمو العنصر الجرماني وتفرده بين العناصر البشرية بالقدرة على خلق الثقافة وحملها على مر الزمن، وكانت ملهمة حقاً لليائسين من الألمان في حل مشاكل بلادهم الداخلية والدولية في ظل جمهورية فيمار التي وزعت السلطة بين الحكومة الفيدرالية والحكومات المحلية وفي الولايات. فقد أثارت فكرة تركيز السلطة في قيادة موحدة وحزب منظم الحماس لها بين الجماهير وضمنت للنظام النازي تفاني نخبة من أبناء الشعب في خدمته.

وقد وجدت الحركة في رجال مثل روزنبرج وجوبيلز وجورنج وريـنتروب وغيرهم من الشخصيات المتحمسة أعمدةً لتقيم على مجهوداتهم المتصلة بنيانها، فكان شرح روزنبرج للحركة النازية أوضح بكثير وأقرب إلى فهم الجماهير من كتابات الفوهرر نفسه ،ويظهر ذلك من طريقة عرضه للنظرية العنصرية، فهو مثلاً يقول ببساطة في كتابه "أسطورة القرن العشرين، "إن التاريخ والعمل لم يعودا يقومان على الصراع بين طبقة وطبقة، ومعتقد كنيسة ضد معتقد كنيسة، وإنما على الصراع بين دم ودم وشعب وشعب... وإن كل عنصر له روحه، وكل روح لها عنصرها ومعمارها الخاص الداخلي والخارجي..." ويقول كذلك في تفوق العنصر الآري "لقد نشأ اليوم معتقد جديد هو أسطورة الدم، وفي الدفاع عن فكرة الدم ندافع عن الطبيعة المقدسة للإنسان، فالاعتقاد بأن الدم "النوردي" هو ذلك السر الذي حل محل الأسرار

المقدسة القديمة وغلبها على أمرها ويمكن ذكر بعض النقاط التي توضح أيديولوجية النازيين كما يلي:

١- تتضح مادية النازيين الصارمة في إنكارهم للطبيعة البشرية وثباتها فكل شيء من منظورهم خاضع للتغير، ويمكن القول بأن ثمة نزعة مادية قوية هي التي تعطي النازية تفردها واختلافها عن الأيديولوجيات العلمانية الأخرى، فالنازية دفعت بكثير من المقولات الكامنة في الرؤية العلمانية الشاملة إلى نتيجتها المنطقية، ولم تعد تقتنع بتغيير العالم وإنما كانت تطمح إلى تغيير النفس البشرية ذاتها، ومن هنا جاء اهتمام النازيين بعلم تحسين النسل وإعادة تنظيم العالم من خلال سياسات بيولوجية وضعية، ومن هنا جاءت حربهم الشديدة على الأمراض النفسية والجسمانية وعلى كل انحراف عن المعايير العلمية الصارمة فنسب إلى بعضهم المناداة بإبادة الأقزام، وغرور الجنس أو العنصر لم يكن موجودا عند النازيين وحدهم، بل كان حاضرًا في النظريات التكنولوجية التي تعود إلى بداية عصر النهضة في الغرب، و لايزال كامنًا حتى عند غيرهم من شعوب الشرق والغرب المتخلفة والمتعالية على غيرها،وإن حاولت تغليفه بمسميات مضللة حتى تبعد عن نفسها تهمة العنصرية.

٢- آمن النازيون بفكرة الدولة باعتبارها مطلقاً علمانياً متجاوزاً للخير والشر وحدد هتلر المطلق الأول والأوحد (الدولة) بدقة غير عادية حين قال إنه لابد من تحقيق العدالة وتوظيفها في خدمة الدولة، أي أنه لا يوجد مفهوم مطلق للعدالة، وإنما تتحدد العدالة بمقدار تحقيق النفع للدولة، والدولة كأمر مطلق هي الإطار الذي يعبر الشعب العضوي (فولك) الألماني من خلاله عن إرادته.

٣- تبنت النازية النظرية العرقية الداروينية الغربية، وأكدت التفوق العرقي للشعب الألماني على كل شعوب أوروبا، والتفوق العرقي لشعوب أوروبا على كل

شعوب العالم، ورفض هتلر فكرة المساواة بين بني البشر باعتبارها فكرة دينية (حيلة يهودية مسيحية) ونوع من التنويم المغناطيسي تمارسه اليهودية النازية على العالم بمساعدة الكنائس المسيحية.

٤- من الأفكار الأساسية في الفكر النازي فكرة الشعب العضوي (فولك) الذي توجد وحدة عضوية بين أعضائه من جهة، وبين حضارتهم والأرض التي يعيشون عليها من جهة أخرى، وهي وحدة لا تنفصم عراها، ولا يمكن لهذا الشعب أن يحقق كل إمكانياته إلا بعد أن يضم إليه مجاله الحيوي، أي ضم الأراضي التي ينتمي إليها الجنس الألماني حتى تكتمل الدائرة العضوية، أما العناصر الغريبة الأجنبية (أي غير المنحدرين من الجنس الألماني) فهي تؤدي إلى إعاقة هذا التكامل العضوي الصارم، وبالتالي فهي عناصر ضارة لابد من استبعادها.

٥- من العبارات المتواترة في الخطاب العضوي النازي عبارة "الدم والتربة"، وهي ترجمة للعبارة الألمانية "بلوت أوند بودين "Blut und Boden وهي من الشعارات الأساسية للنازية والمرتبطة بفكرة الشعب العضوي، وهذه العبارة النيتشوية تمجد آداب الفلاحين وعواطفهم باعتبارها تجسيداً للصفتين الأساسيتين اللتين يستند إليهما رقي الجنس الألماني، الدم الألماني والتربة الألمانية، وهي تحول الدم والتربة إلى المرجعية أو الركيزة النهائية التي تستند إليها المعارف والأخلاق، وشعار "الدم والتربة" هو مثل جيد على أننا لا نحتاج إلى شيء لانراه لنرجع إليه مادام المطلق بين ظهرانينا، فبالتربة والدم يصبح المطلق كامناً في المادة لا متجاوزاً لها، وبذلك يقوم شعب من الشعوب بتنصيب نفسه إلهاً على بقية الشعوب، فدمه وتربته يحويان كل القداسة ويعطيانه حقوقاً مطلقة لا يمكن النقاش بشأنها، ولكن هذه الحلولية هي حلولية بدون إله، فثالوث

القومية العضوية: الدم، التربة، الشعب، ليس إلا صدى للثالوث الحلولي الوثني: الإله، الطبيعة، الإنسان، ويبدو أن الدم، باعتباره حامل القداسة وباعتباره الصلة التي تربط الإنسان والأرض، يحل محل الإله .

٦- وقد ترجم كل هذا نفسه إلى مفهوم العرق السيد، وهو العرق الآري الألماني الذي سيحتفظ بنقائه العرقي ويؤسس أمة تتألف من الحكام المحاربين والمفكرين وقدرها المحتوم هو أن تحكم الأعراق الدنيا وتعيش على عملها وتحقق السيادة على العالم، وهذه الأمة ستنظم نفسها على شكل هرمي تقف على قمته نخبة تتسم بالصفات العرقية الأكثر تفوقاً، وعلى قمة الهرم يقف الفوهرر: التجسد المادي .

٧- ويلاحظ تراجعاً في الفكر النازي عن الجوانب الاشتراكية الإنسانية الذي كان يحوي بعض المطلقات الإنسانية (مثل فكرة العدل وضرورة التكافل)، وقد ظهرت رؤية مادية وأحديه صارمة في ماديتها وواحديتها تنفي المطلقات والثوابت والماهيات كافة، رؤية علمانية شاملة تنزع القداسة عن كل شيء بحدة وشراسة وتسقط تماماً فكرة الحرمات، وهذا التحول عن الإنسانية (الهيومانيد) والسقوط التدريجي والمطرد في الواحدية المادية هو نمط التطور الأساسي في الحضارة الغربية الحديثة، حيث تطورت من رؤية إنسانية (علمانية جزئية) تحوي مطلقات إلى رؤية علمانية إمبريالية شاملة تنفى المطلقات والثوابت والكليات كافة.

٨- وتصورالنازيون أن العلمَ الطبيعيَّ قادرٌ على مساعدة الإنسان بالتوصل إلى حلول لجميع المشاكل، بما في ذلك المشاكل الإنسانية والأخلاقية والروحية، ومن ثم فالعلم هو وحده القادر على تحديد الصالح والطالح والخير

والشر وهو وحدة المرجعية النهائية، ولذا طالب النازيون بضرورة تطبيق قيم العلم والمنفعة المادية على الإنسان والمجتمع، وآمن النازيون بالمنفعة المادية كمعيار أخلاقي للحكم على الواقع، وبالفعل اتسم النازيون بالحياد العلمي الشديد في تعاملهم مع الواقع ومع البشر، واستخدموا مقاييس علمية صارمة لا تشوبها أية قيم أخلاقية أو عاطفية أو غائية، وتحول كل البشر، بما في ذلك الألمان أنفسهم إلى مادة بشرية، ومن ثم قسموا العالم كله إلى نافعين وغير نافعين (وهو تقسيم يعود إلى القرن الثامن عشر، عصر العقل المادي والعقلانية المادية) وتقرر أنه لا يستحق الحياة إلا من ينتج ويستهلك، أما من لا ينتج ويستهلك (بالإنجليزية: Useless Eaters حرفياً من يأكلون ولا نفع لهم)، فمصيره أمر مفروغ منه، فقد صنف على أن حياته لا قيمة لها (بالألمانية: بالاست إكسستينزن Ballastexistenzen بل وتشكل عبئاً على الاقتصاد الوطني بطبيعة الحال.

٩- ولكن كما هو الحال دائماً، فإن مايبدو ظاهريًا رؤية علمية نفعية محايدة من الناحية الأخلاقية يخفي في باطنه رؤية داروينية نيتشوية (نسبة إلى العالم الطبيعي داروين والفيلسوف الألماني نيتشه) بتأكيدها على فكرة البقاء باعتباره القيمة المطلقة والصراع باعتباره الآلية الوحيد للبقاء، وهي عملية مادية محضة، فالبقاء هو البقاء المادي، والصراع صراع مادي، والبقاء في هذه الغابة الداروينية الواحدية المادية التي لا تعرف الرحمة أو العدل ليس من نصيب الأرق قلباً أو الأرفع خلقاً أو الأكثر رحمةً وإنما هو من نصيب الأصلح والأقوى مادياً (فالقوة هي المطلق النهائي) والأقوى هو الذي لا تعرف الرحمة طريقاً إلى قلبه والذي يتحلى بأخلاق الأقوياء ويضرب بيد من حديد على الضعفاء بدلاً من أن يأخذ بأيديهم.

بعد تقبل النازيين النفع المادي والقوة، باعتبارهما المعيار الأخلاقي الأوحد في منظومة معرفية علمانية مادية شاملة لا تعرف المطلقات الإنسانية أو الأخلاقية أو الدينية، قام المفكرون والعلماء النازيون بتقييم الواقع المحيط بهم من خلال هذه المنظومة الفكرية المادية وصنفوا كثيراً من العناصر باعتبارها غير نافعة : (السلاف -الغجر - اليهود - المعوقين - الخ....)

ومن وجهة النظر النازية فإنه لا يمكن الدفاع عن كل هذه العناصر من منظور أخلاقي مطلق، فهذا أمر مرفوض من منظورهم العلماني الشامل النفعي النسبي، وهم يصفون رأيهم هذا بالمستنير الرشيد الذي ينطلق من حسابات دقيقة للمدخلات والمخرجات، فمن يريد الدفاع عن نفسه عليه أن يفعل ذلك من داخل المنظور العلمي النفعي المستنير لا من خارجه.

وقد أعدوا منهجًا ماديًا نفعيًا تم بموجبه تحويل العالم بأسره إلى مادة خام جاهزة للاستعمال، وتم بموجب أيضا تدجين الشعب الألماني وتوجيهه وتحييد حسه الخلقي تماماً وإسكات عواطفه، ليكون في انتظار التعليمات والحلول الواقعية العلمية العملية (المادية) النهائية لمشاكله، وهي حلول ستفرض عليه من مجموعة من رجال الحزب والعلماء وأهل التخصص.

وحينما بدأت آلة الإبادة النفعية الموضوعية الجهنمية في الدوران، فإنها ابتدأت أول ما ابتدأت بالألمان أنفسهم فصهرت وجدانهم ومعارفهم في بوتقة واحدة لا يرون العالم إلا من خلالها و كما يمليه عليهم النموذج المادي الذي أعد لهم من قبل، ثم انتقلت لتمارس عملها الفعلي على الآخرين من خلال معسكرات الاعتقال والسخرة والإبادة .

وقد حظيت الحركة النازية في البداية بتأييد رأسمالي غربي لأنها كانت تنظر إلى الاتحاد السوفيتي (السلافي) على اعتبار أنه العدو الأكبر للحضارة الآرية، ومن ثم كان الرايخ الثالث من هذا المنظور الغربي يشكل قلعة ضد الزحف السلافي الشيوعي، ولكن ستالين كان أكثر دهاءاً، حيث عقد حلفاً مع هتلر اقتسما بمقتضاه بولندا والمجال الحيوي المحيط بها، ثم تحالف الغرب الرأسمالي مع الشرق الاشتراكي ضد هتلر، لا دفاعاً عن المبادئ ولكن لأنه بدأ يهدد مصالحهما معاً.

هتلر والنازية :

لقد تجسدت الاتجاهات السياسية والفكرية عن الألمان فيما انتهجه هتلر من سياسة وما وضعه من فكر ونظريات سياسية حيث يرسم هتلر[٢] في كتابه "كفاحي" التجربة الشخصية والقومية والعالمية التي تمخضت عن أسلوبه في الفكر والحياة، فهو وإن كان نمساوي المولد والجنسية إلا أنه ألماني العنصر، بل إن تمسكه بألمانيته جعلت منه ألمانياً أكثر من الألمان أنفسهم شأنه في ذلك شأن المواطنين الذين يعيشون في أوطان نائية ويربطهم الحنين والتعصب بالوطن الأم في صورة متشددة أكثر ممن هم يعيشون فيه ويستظلون بظله، وهتلر مثله مثل منزيس وغيره من أحفاده الإنجليز في أيرلندا وكندا وأستراليا وجنوب إفريقيا ونيوزيلنده، وهكذا دعا هتلر إلى الإمبراطورية الألمانية كما دعوا هم إلى الإمبراطورية البريطانية. وعلى هذا النحو وجدت الأفكار العنصرية التي نشرها جوبينو في فرنسا وهوستون تشامبرلين في ألمانيا دعاة بلغاء يمسون قلوب الجماهير الألمانية مثل هتلر، وروزنبرج، ويتخذون منها برنامجاً للاعتقاد والعمل في الحياة الخاصة والعامة، ولقد حاول هتلر أن يتتبع نشوء فكرة العنصرية الألمانية في طفولته وحداثته وأن يميز بين أصولها النامية في البيت

والمدرسة والقرية والمدنية، ولقد صقل هتلر هذه الخواطر والتأملات في المدرسة الفنية التي التحق بها حيث تأثر سياسياً وتعلم كيف يفهم التاريخ ويدرك مغزاه، وقوى عنده الإحساس بانتسابه إلى العنصر الألماني، وحساسيته الشديدة هو وزملاؤه من النمساويين الألمان نحو كل ما هو ليس بألماني، ويلاحظ أن ثورة هتلر القومية التي تقوم على إيمانه بالوحدة الألمانية ووجوب عودة الألمان في النمسا إلى الوطن الكبير قد طغت على هذه الفترة من حياته وتكوينه.

وقد بدأت قصة ارتباط هتلر بالنشاط السياسي النازي مع ظهور النواة الأساسية للحركة النازية المتمثلة في حزب صغير يُسمى "حزب العمال الألمان" والذي أسس في جو البطالة والثورة الاجتماعية عام ١٩١٨ بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وإذلالها على يد الدول الغربية المنتصرة، وكان المنظر الأساسي للحزب هو "جوتفريد فيدر" الذي نادى بعقيدة لها صبغة قومية قوية وطابع اشتراكي، تدعو إلى ملكية الدولة للأرض وتأميم البنوك، وكان من أوائل من انضم لعضوية هذا الحزب محاربون قدامى مثل "رودولف هس" و"هرمان جورنج"، ومثقفون محبطون مثل "الفريد روزنبرج" وهتلر نفسه، وقد ازدادت عضوية الحزب لأنه ركز على المخاوف الكامنة لدى قطاعات كبيرة من الألمان من الشيوعيين والبلاشفة، وعلى حنقها على معاهدة فرساي التي أذلت ألمانيا وحولتها إلى ما يشبه المستعمرة، كما ركز على إحساس الجماهير بالضياع في المجتمع الحديث واحساسهم بالقلق وعدم الطمأنينة نتيجة تآكل المجتمع التقليدي، ورغم أن الحزب كان يُسمى "حزب العمال"، فإنه لم يضم كثيراً من العمال بين أعضائه، ولم ينضم له من العمال سوى العاطلين عن العمل، وأعيد تنظيم الحزب عام ١٩٢٠ وسُمي "حزب العمال الألماني الاشتراكي القومي"

وترأسه هتلر الذي حصل على تأييد لودندورف (بطل الحرب العالمية الأولى) وعديد من رجال الصناعة الذين رأوا أن بإمكان هتلر تقويض دعائم النظام السياسي القائم، الذي لم يكن يسمح لهم باتباع سياسة رأسمالية حرة مطلقة، وسار الحزب النازي بخطى واسعة في الفترة من (١٩٣٠ حتى ١٩٣٢)، ووصلت عضويته إلى مليونين بحيث أصبح الحزب الثاني في ألمانيا أثناء فترة الكساد الكبير الذي بدأ عام ١٩٢٩، وهي فترة شهدت تآكل مدخرات الطبقة الوسطى الألمانية وانتشار الحركات الإباحية والبغاء والفوضوية وتعاظم نفوذ الشيوعيين، ورغم أن هتلر خسر انتخابات الرئاسة عام ١٩٣٢ أمام هندنبرج، إلا أن حزبه النازي أصبح أكبر حزب ألماني على الإطلاق، وقد فشل المستشار فون بابن في الاحتفاظ بأغلبية تمكنه من الحكم في البرلمان، فأجريت انتخابات أخرى، وكان هتلر قد حصل إبان ذلك على الدعم المالي من رجال المال والصناعة في وادي الراين الذين كانوا يهدفون إلى احتوائه واستخدامه كأداة

وكان هتلر يستخدم خطابين مختلفين : أحدهما للجماهير، والآخر لرجال المال، وقد احتجت بعض العناصر الاشتراكية في الحزب على الإتجاه المتزايد نحو اليمين، ولكن هتلر نجح في القضاء على هذه العناصر، وفي عام ١٩٣٣، قام الرئيس هندنبرج بتعيين هتلر مستشاراً، وحينما إندلع حريق في مبنى البرلمان، قام هتلر بطرد النواب الشيوعيين بعد أن ألقى التبعة عليهم، ثم اقترع البرلمان على منح هتلر سلطات شاملة، ومن ثم أنجز هتلر ثورته القانونية، وفي عام١٩٣٤نجح في استصدار قرار عام بتأسيس الرايخ الثالث الذي قدر له أن يدوم ألف عام (الرايخ هو ألمانيا أو الإمبراطورية الألمانية المقدسة حيث يمتد الرايخ الأول من تاريخ تأسيس الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام ٩٦٢ م حتى

انحلالها عام ١٨٠٦ م، والرايخ الثاني هو الإمبراطورية الألمانية فقد امتد منذ عام ١٨٧١ م وحتى ١٩١٨م، أما الرايخ الثالث فهو الدولة النازية من بزوغه عام ١٩٣٣م) وأصبح هو حاكم (فوهرر) ألمانيا بلا منازع، وفي عام ١٩٣٦م، بدأت خطة السنوات الأربع لإعادة تسليح ألمانيا وإعادة تنظيم الاقتصاد انطلاقاً من الاعتماد على الذات، وقد حقق النازيون نجاحاً اقتصادياً باهراً ، الأمر الذي زاد من التفاف الجماهير حولهم، حيث تم القضاء على البطالة وبنيت منشآت عامة عديدة، ثم سيطر هتلر على حزبه سيطرة كاملة، وأصبح هتلر رئيساً للدولة لا يقاسمه السلطة أحد .

وما كان يمكن لمثل الدعوة النازية أن تعيش على وفاق مع العالم الخارجي، فلقد سخرت من كل تراث تحرري في الفكر والسياسة الألمانية، ومجدت كل ما يوقد نار الحرب والغزو، ومن ثم ألقت جانباً دعوة كانت مطروحة إلى السلام وإلى تنظيم أداة دولية لرعايته، كما كالت اللوم والهجوم على دبلوماسية جمهورية فيمار السلمية.

وما أن تولى هتلر الحكم في سنة ١٩٣٣ م حتى أخذ يسند كل مطلب من مطالبه بالسلاح في وقت حاولت فيه الولايات المتحدة أن تتحاشى التدخل في المشاكل الأوروبية، وركنت فيه بريطانيا إلى عدم التسلح مما جعل تشامبرلين يطلب السلم مع هتلر في سنة ١٩٣٨ م بأي ثمن يجنب بلاده الحرب، واهتزت فيه دعائم الحياة في فرنسا، وتسلح هتلر في هذا الصراع بسلاح الأيديولوجية النازية والعسكرية الجرمانية.

وقد أعطت الأيديولوجية العنصرية تبريراً للدبلوماسية الألمانية القائمة على العنف في ضم النمسا إلى ألمانيا، وفصل الألمان في إقليم السوديت عن

تشيكوسلوفاكيا وضمهم إلى الوطن الأم في سنة ١٩٣٨م، ولو أن هتلر وقف عند هذا الحد ولم يضف من أقاليم تشيكوسلوفاكيا بعد ذلك إلى ألمانيا ما ليس بألماني، لاكتسبت دعوته العنصرية مظهراً منطقياً، ولكن موقفه من تشيكوسلوفاكيا في مارس سنة ١٩٣٩م أثبت الجانب الآخر من فلسفته السياسية الذي يذهب إلى وجوب سيادة العنصر الآري واستغلاله للشعوب المتخلفة في أوروبا وخارج أوروبا، ومن هنا كان عدم الثقة المتبادل بين الروس والألمان حتى بعد عقب ميثاق رينروب مولوتوف في أغسطس ١٩٣٩م، فكتاب هتلر "كفاحي" ملئ بالعزم على مواصلة الألمان حلمهم الكبير في التقدم نحو الشرق واحتلال أقاليم روسية لتأييد تفوقهم التكنولوجي والصناعي. وعلى أية حال فالنازية إلى جانب عدائها من ناحية السياسة العملية التطبيقية للدول الغربية التي فرضت على ألمانيا معاهدة فرساي وعدائها لروسيا التي تبنت فلسفة "كارل ماركس وأنجلز" واتخذت منها إنجيلا لنظامها الداخلي وعلاقاتها الدولية فهي كمذهب تناقض في نقط جوهرية المذهبين السائدين في الشرق والغرب، ولابد لها من الصراع معهما خاصة وأنها ضمنت دستورها مبدأ الحرب، ونصت على أهداف لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق الحرب، والنازية مثل الشيوعية من ناحية أن كليهما لا يقف عند حدود الدولة القومية التقليدية، ومن ثم لابد من تصارعهما طالما لا يكتفيان بالتزام المحافظة على أساليب الدبلوماسية العادية، فالنازية رادفت بين الشعب والعنصر، على حين أن الشيوعية رادفت بين الشعب والطبقة، ولو أنه يبدو أن توسع العنصرية رأسي وتوسع الطبقية أفقي، إلا أن كلاً منهما يطالب التابعين لمذهبه بتفضيل الولاء له وللدولة الأم على الولاء للدولة التي اختاروا العيش فيها، فالتماسك الحقيقي عند النازية يقوم على الاشتراك في الدم مهما تعددت الدول التي تتقاسم

أصحاب الدم الواحد، بينما يقوم التماسك الحقيقي عند الشيوعية على الانتساب إلى طبقة البروليتاريا من عمال الصناعة والمدن في سائر الأمم، وقد وسعت تجربة الشيوعية في روسيا مفهوم البروليتاريا إذ لم تقصره على عمال الصناعة فحسب، وإنما مدته حتى شمل العمال في كل مجال من مجالات النشاط العام، ولهذا بدا للنازية في ألمانيا أن الشيوعية خطرة على الوحدة القومية الألمانية، خاصة عندما ظهر أثرها في ثورات سنة ١٩١٨ م وما تلاها من أحداث، وفي ما ناله الحزب الشيوعي من أصوات في الانتخابات العامة ومقاعد متكاثرة في الريخستاج في ظل دستور جمهورية فيمار الديموقراطية، فلقد التحمت منذ البداية في معركة فكرية مع الديمقراطية والشيوعية وهادنت في الوقت نفسه الفاشية وزعميها موسوليني حتى ارتبطتا بالتحالف المعروف بالمحور، وبالرغم من تغييرها لأسلوب تلك المعركة مع الديمقراطية والشيوعية من الناحية الدبلوماسية مما استدعى أحياناً التحالف المؤقت مع إحداهما على حساب الآخر كما حدث مثلاً في اتفاق ميونخ في سبتمبر سنة ١٩٣٨م، أو في الميثاق الروسي الألماني في أغسطس ١٩٣٩م، إلا أن الفوهرر لقي الموت منتحراً في مايو سنة ١٩٤٥م وهو يحارب قوى الديمقراطية والشيوعية معاً في جبهة واحدة، فالنازية تقف في تفسيرها للتاريخ وتصورها للنظام القومي والدولي موقفاً معارضاً لتفسير الشيوعية للتاريخ وتصورها لمفهوم الدولة والمجتمع في علاقاته الداخلية والخارجية، وأن مسلكهما في أعقاب الحرب العالمية الأولى إزاء بعضهما البعض من الناحية النظرية والعملية كان إنذاراً واضحاً بالاشتباك في حرب، وهذا ما سارع إليه هتلر بحله الأحزاب الألمانية وعلى رأسها الحزب الشيوعي عند توليه الحكم، وبدخوله الحرب مع الاتحاد السوفييتي في سنة ١٩٤١م دون إعلان لها، بما في ذلك من نقض لميثاق سنة

١٩٣٩م بين روسيا وألمانيا.

وكما رأت النازية في الشيوعية مبدأ يهدد البناء الأرستقراطي الذي تستهدف بناءه في ألمانيا، رأت في الديمقراطية نظاماً دالاً على الانهيار والانحطاط مما يذكر بما ضمنه "شبنجلر"من تنبؤات في كتابه "انهيار الغرب"، وما وجهه من قبله نيتشه من هجوم على الحركة الديمقراطية في السياسة والاجتماع والأخلاق، ولم تكن الحركة النازية لتذهب بعيداً خارج الحدود لتكتشف عدوها في الديمقراطية، إذ قابلتها وجهاً لوجه في الحركة الاشتراكية الديمقراطية الألمانية، وحاولت أن تقوض دعائمها وتقيم بدلاً منها اشتراكية ألمانية خاصة بها تكتسب صفة الاشتراكية من أنها ألمانية لا العكس، وقد حاولت النازية ذلك إلا أنها فشلت في تلك المحاولة سنة ١٩٢٣م، وتم لها ما أرادت حين عجز الشيوعيون والاشتراكيون الديمقراطيون أن يتحالفوا ويقفوا في وجه تهديد النازية في سنة ١٩٣٢م، وقضوا بذلك على الجمهورية، إذ عين الرئيس فون هندنبرج في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣م هتلر رئيساً للحكومة الألمانية، وفي يونيو ١٩٤٣م، أصبح الحزب النازي هو الحزب الأوحد، وقام هتلر بتصفية البقية الباقية من العناصر العسكرية في حزبه بطريقة دموية، وكان من بينهم إرنست روم رئيس قوات العاصفة، كما قام هتلر بضرب اليمين، فأثبت بذلك أنه لم يكن مجرد أداة في يد الممولين أو بقايا النظام الملكي فأمم المصارف وبعض الصناعات، ومع هذا، استفادت العناصر الرأسمالية من خلال سيطرة الدولة على كثير من القطاعات الاقتصادية، وألغيت اتحادات العمال، وفقد العمال حقوقهم، وتم استيعابهم في مؤسسات الحزب وتم التنسيق بين جميع مؤسسات الدولة والحزب، كما أصبحت الخدمة العامة إجبارية، ثم فرض التجنيد الإجباري وأخضعت ألمانيا كلها لنظام مركزي قوي، وألغي استقلال

الولايات، وأخضعت لهيمنة الفوهرر وأجهزته مباشرة، بل أسس الحزب كنيسة ألمانية بهدف السيطرة على الكنائس البروتستانتية .

استعار هتلر من التنظيمات الشيوعية فكرة الخلية والتنظيم الهرمي للحزب والانضباط الداخلي، واستعار من الفاشية الإيطالية فكرة ميليشيا الحزب ذات الزي الموحد، وهؤلاء هم مرتدو القمصان البنية وكان يشار إليهم بالحرفين (S.A) وهما اختصار عبارة «شتورم أبتايلونج» "Sturm Abteilung" أي "قوات العاصفة" أما النخبة: فهم فرق الإس. إس (S.S) وهي اختصار للعبارة الألمانية «شوتس ستافل» "Schutz-Staffel" ومعناها «نخبة الأمن» أو «الحرس الخاص»، وكانو يرتدون قمصاناً سوداء وشارة الموت، وكان للحزب تحيته الخاصة بأن يرفع العضو ذراعه اليمنى ويقول : «هايل هتلر» وأصبح الصليب المعقوف رمزه، كما كان له نشيده الخاص .

رأت العقيدة النازية أن هذا الهرم الألماني المنظم، لابد أن يسيطر على العالم بأسره، وقد استفادت هنا من الفكر الجغرافي السياسي (الجيوبولوتيكي) الغربي، إذ رأى النازيون أن ألمانيا أمة حركية من حقها أن تحصل على مجال يتناسب مع قوتها وحيويتها وحركيتها، وهو مجال أوسع مما سمحت به معاهدة فرساي.

انطلاقاً من كل هذا وضعت ألمانيا فوق الجميع وأصبح للألمان حقوقًا مطلقة في كل ما يعتقدون أنه مجالهم الحيوي، وقد رأى النازيون أنه يجب على الشعب الألماني أن يستيقظ من سباته وأن يتنبه للخطر، وأن يغزو مجاله الحيوي حتى يصبح مجالاً ألمانياً صرفًا .

ولكن النازية ما إن انتصرت في صراعها ضد الديموقراطية والشيوعية فى

بادىء الأمر على نطاق قومي ودولي حتى لقيت آخر الأمر نهايتها الرسمية بانتحار هتلر في سنة ١٩٤٥م، غير أن أكثر من مفكر يتساءل الآن عما إذا كانت الأيديولوجية النازية قد خبت فعلاً في نفوس الألمان، أم أن النازية هي التعبير الناضج عن تلك الروح الألمانية التي تسعى إلى "التجسيد" منذ أكثر من قرن من الزمان، وقد تعود في ثوب جديد.؟

هتلر واليهود(٣) :

إن الانطباع السائد بأن هتلر اختص اليهود بعداء مابعده عداء وكراهية ما بعدها كراهية دون سواهم من بني البشر اعتقاد يقفز على حقائق مهمة تتعلق بأي فكر عنصري، سواء كان ذلك الفكر نازياً أو غير نازي، إذ أن المحرك الأساسي لاضطهاد الغير واستعمار أراضيهم هو الشعور بالقوة أو الحاجة إليها، ولذلك يلجأ المنظرون والمنتمون إلى تلك القوة الغاشمة بالبحث عن التبريرات التي يحاولون من خلالها أن يضفوا شرعية على أفعالهم، حتى وإن كانت تلك الشرعية مفروضة على الغير، ومن ناحية أخرى، فإنهم يسعون من خلالها أيضا إلى شحذ همم من يستقوون بهم للانضواء تحت لوائهم.

فإذا كان المقصود في حالة العداء هذه أن هتلر وحزبه النازي كان يكره اليهودية من بين سائر الأديان فهذا استنتاج غير صحيح لأن النازيين لم يكونوا ليقيموا أي وزن لأي دين أو معتقد باستثناء معتقدهم، وقد كانت السمة الأساسية للمنظومة النازية هي علمانيتها الشاملة وواحديتها المادية الصارمة، وقد هاجم الفريد روزنبرج (أهم الفلاسفة النازيين) المسيحية باعتبارها عقيدة تدافع عن المطلقات، وفي كتابه أسطورة القرن العشرين حاول أن يبين بعض الأطروحات الأساسية للنازية مثل أن الروح والعرق شيء واحد، وما العرق إلا عبارة عن التعبير الخارجي عن الروح، وما الروح إلا عبارة عن التعبير الداخلي

عن العرق والروح العرقية هي التي تحرك التاريخ، وهذا لا يختلف كثيراً عن تصور الفلسفة الألمانية المثالية عن تماثل الروح والطبيعة.

ولكن هتلر، بذكائه الشديد، حاول أن يبقي هذه النقطة من برنامجه غامضة ولم يهاجم المسيحية حتى لا يستفز الجماهير ولا يواجه الكنيسة بشكل علني، وقد عقد اتفاقاً مع الكنيسة الكاثوليكية في بادئ الأمر، إلا أنه سرعان ما نقضه حينما استتبت الأمور له، ولم يكتف بذلك بل قام بإرسال كثير من رجال الدين إلى المحرقة، وأسس "كنيسة" ألمانية بهدف السيطرة على الكنائس البروتستانتينية، وتطهير فكرة القومية الألمانية من العناصر المسيحية التي دخلت عليها، وكان الالتحاق بهذه الكنيسة القومية، ومن ثم الانفصال عن المنظومة المسيحية شرطاً أساسياً للانضمام الى فرق الحرس الخاص، وفي السنوات الأخيرة من الحكم النازي، وضع هتلر مخططاً شاملاً للقضاء على الكنائس المسيحية بشكل كامل، حتى تسود الواحدية المادية وقيم القومية العضوية والولاء الكامل لألمانيا والدولة" الرايخ الثالث"، وكل سمات النازية الأخرى تنبع من رؤيتها العلمانية الإمبريالية الشاملة.

أما إذا كان المقصود من حالة العداء هذه هو استهداف اليهود دون غيرهم من أجناس البشر لأنهم من جنس غير جرماني، فإننا سنذكر بعض أفكار العالم الألماني د.إ.فيشر E.Fischer التي تبين أن الفكر العنصري لم يكن موجهاً ضد اليهود أو غير اليهود على وجه الخصوص، بل كان موجها حتى ضد الألمان أنفسهم، وتبين كذلك مدى تغلغل المنظومة النازية في الحضارة الغربية في ذلك الوقت، فقد بدأت سيرة هذا العالم العلمية في عام ١٩٠٨م حينما قامت السلطات الألمانية بإلغاء كل الزيجات المختلطة في مستعمرة جنوب غرب إفريقيا التابعة لألمانيا (ناميبيا في الوقت الحاضر) وحرمان الألمان ممن تزوجوا من

غير البيض من حقوقهم المدنية، وفي هذا الإطار قرر الدكتور فيشر، أستاذ التشريح بجامعة فرايبورج، أن يبدأ دراساته عن أبناء الزيجات المختلطة التي تمت بين البوير (وهم من أصل هولندي) ونساء قبائل الهوتنتوت الإفريقية، وقد نشر نتائج بحثه عام ١٩١٣ م، وكان من ضمن التوصيات " العلمية التي وردت في هذا الكتاب ما يلي: " من الواجب أن نزود أبناء مثل هذه الزيجات المختلطة بالحد الأدنى من الحماية التي يتطلبها البقاء، باعتبارهم جنساً متدنياً عنا، وبعد هذا يجب أن تسود المنافسة الحرة، التي ستؤدي إلى تدهورهم وتدميرهم".

ثم ألف فيشر كتاباً مع آخرين بعنوان "مبادئ الوراثة الإنسانية للصحة العرقية"، أي أن فكر الدكتور فيشر العلمي، الدارويني العنصري، ولد في صميم التشكيل الحضاري والاستعماري الغربي.

وقد وصلت نسخة من هذا الكتاب إلى هتلر في سجنه عام ١٩٢٣م، وكان آنذاك يكتب كتابه المشهور كفاحي، فطور أفكاره عن العرق وأعطاها التبريرات "العلمية" المطلوبة.

وفى ٣٠ يناير ١٩٣٣م، وبعد أن أصبح هتلر مستشارًا لألمانيا بيومين، ألقى فيشر محاضرة بعنوان " الاختلاط العرقي والانجاز الثقافي" ثم عين رئيساً لجامعة برلين في ذلك العام، وبدأ فيشر يشيد بالنظام النازي وبنخبته الحاكمة لأنها تفكر من خلال "الإطار البيولوجي" وتتدخل في مسار التاريخ لتحمي الصفات العرقية الألمانية، وفي عام١٩٣٥م قام بمناقشة قضية تعقيم الأطفال الألمان الملونين، وفي عام ١٩٤١م كان فيشر هو ضيف الشرف في حفل افتتاح معهد دراسة المسألة اليهودية في فرانكفورت حيث طالب بحل المسألة اليهودية عن طريق نقل اليهود من أوروبا كما طالب بتعقيم ربع اليهود، وقد حضر في

عام ١٩٤٢م اجتماعاً لمناقشة مسألة إنهاك شعوب شرق أوروبا من خلال العمل وإعادة توطين الملايين منهم في سيبيريا، ثم كتب فيشر مقالاً يشير فيه إلى أن العلم النازي قد ازدهر لأن الطبقة الحاكمة ترحب به وتضع نتائجه موضع التنفيذ وفي خدمة الدولة، وحتى قرب نهاية الحرب كان فيشر لا يزال يقوم بجهوده "العلمية" النازية، فوافق على أن يكون رئيساً للمؤتمر المعادي لليهود والذي كان سيعقد في كراكوف في بولندا ، إلا أن المؤتمر لم يعقد لأن الستار كان على وشك أن يسدل على التجربة النازية ككل .

من هذا يتبين لنا أن مشكلة الفكر النازي تكمن في احتقاره للغير وفي تمييزه بين الأفراد المنتمين للعرق الجرماني وبين غيرهم، وفي ادعائه أن الشعوب التي تنتمي إلى الجنس الجرماني تحتاج دائماً إلى آخر تتميز عنه وتستمد منه هويتها، والآخر هنا هو كل من يقف في طريق تحقيق الأطروحات النازية، و قد تصادف أن يكونوا في هذه الحقبة من الزمن هم السلاف بالدرجة الأولى، الذين يشغلون المجال الحيوي في الخارج، أما في الداخل، فكانوا من العناصر غير النافعة المستهلكة دون أن تكون منتجة، وأحياناً ضارة مثل المعاقين والشواذ جنسياً والشيوعيين والغجر والمصابين بأمراض وراثية مزمنة، بل والأقزام، ولذا كان النازيون يرون ضرورة إبادة العناصر الضارة في الداخل والخارج وهم السكان السلاف الذين يعيشون داخل المجال الألماني الحيوي أي في الأماكن التي يقطنها الألمان، والغجر ممن لا نفع يرجى منهم، واليهود خصوصاً الأقلية المالية اليهودية. لقد كانت ألمانيا تتبنى عقيدة عنصرية هي " النازية " التي تقوم على أسطورة نقاء الجنس " الآري " واستراتيجية دولية تنهض على أساس توسيع المجال الحيوي، حتى وإن تم ذلك بغزو الدول والشعوب، وهي بلاشك أيديولوجية مضادة لمنطق العقل و العدل .

يقول هتلر فى كتابه "كفاحي" على الدولة العنصرية[٤] أن تؤمن بأن رجلاً راجح العقل قوي الإرادة والصحة أكثر نفعاً للمجتمع من رجل ذي عاهة مهما تكن مواهبه العقلية، ولذلك فالدولة منوط بها رعاية النشء وتقوية الأجسام، وهذا من صميم مهام الدولة بحيث تبدأ العناية بالنشء منذ الطفولة...

وكان أعضاء الجماعة اليهودية حسب التصور النازي من أهم القطاعات غير النافعة، بل والضارة، فهم يتمركزون في القطاعات الهامشية للاقتصاد، مثل تجارة الرقيق الأبيض، ورغم أنهم مثل البكتريا والطفيليات التي تعيش على الآخرين، إلا أنهم يدعون أنهم يشكلون عرقاً سامياً وشعباً مختارًا ، ولذا فهم يحاولون دائماً الهيمنة على الحياة السياسية والاقتصادية للشعوب الأخرى، ويشير هتلر إلى أن اليهود سيطروا على عالم المال في ألمانيا وأنهم يحيكون مؤامرة عالمية للسيطرة على الحكم، ولذا فهم يحاولون إشعال الحروب والثورات (وهذه هي الأفكار الأساسية في " بروتوكولات حكماء صهيون "، وفي كتاب إدموند دروموند " فرنسا اليهودية "، وهما من أكثر الكتب شيوعاً في أوروبا في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر). كما بين هتلر أن الماركسية والماسونية ليستا سوى حيل يهودية للسيطرة على العالم، وقد صنف اليهود أحياناً باعتبارهم سلافيين، لأن كثيراً منهم كانوا "أوست يودين ostjuden أي من يهود شرق أوروبا، وألقى باللوم على اليهود باعتبارهم مسئولين عن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وعن إذلالها ولذا قرر الألمان أن يجعلوا المجال الحيوي الألماني "خالياً من اليهود " (بالألمانية: يودين راين (Judenrenrein).

وقد بدأ النظام النازي حملته على اليهود عقب تعيين هتلر مستشاراً في ٣٠ يناير عام ١٩٣٣م، ففي أبريل عام ١٩٣٣م نظمت مقاطعة للأعمال التجارية اليهودية ثم استبعد اليهود من كثير من الوظائف العامة، وفي أبريل ١٩٣٥م، استبعد الأطفال اليهود من النظام التعليمي، وفي سبتمبر من نفس العام،

صدرت قوانين نورمبرج التي نزعت عن أعضاء الجماعة اليهودية حقهم في أن يكونوا مواطنين بالرايخ، تنفيذاً لفكرة الشعب العضوي والشعب العضوي المنبوذ، ومنعت الزيجات المختلطة بين اليهود والآريين.

وفي عام ١٩٣٨م منع اليهود من العمل في الوظائف الوسيطة كأن يكونوا وكلاء وبائعين ومديري عقارات ومستشارين في الأعمال التجارية، وأدى اغتيال عضو في السفارة الألمانية في باريس على يد يهودي بولندي إلى قيام ثورة شعبية ضد اليهود تُعرف باسم "كريستال ناخت" أي "ليلة الزجاج المحطم" أحرق خلالها أربعمائة معبد ونهب كثير من المتاجر والمنازل الخاصة بهم، وتم القبض على الألوف منهم وفرضت غرامة على اليهود ككل، وقد حاول هتلر، في بداية الأمر، أن يحل مسألته اليهودية بشكل نهائي أيضاً بالطرق الاستعمارية السلمية التقليدية أي مثلما فعل بلفور، أي التخلص من الفائض البشري اليهودي عن طريق تصديره (ترانسفير) إلى رقعة أخرى خارج ألمانيا، وكان هتلر يدرك أن الترانسفير (تفريغ الأراضي من سكانها ونقلهم) هو جزء من المنظومة الغربية وطريقة حلها للمشاكل، فقد أشار في أغسطس ١٩٤٠ م إلى أنه تم إفراغ بروسيا الشرقية من سكانها الألمان بعد الحرب العالمية الأولى، وتساءل عن وجه الضرر في نقل ٦٠٠ ألف يهودي من أراضي الرايخ (وكان هناك مشروع نازي ترانسفيري أكبر وهو نقل ٣١ مليون "غير ألماني" من شرق أوروبا، وهى عبارة بلفورية لا تختلف عن تلك العبارة التي وردت في وعده للصهيونية. وداخل هذا التصور الترانسفيري الغربي تحرك هتلر لتنفيذ خطته:

١- قام هتلر بشحن عشرة آلاف يهودي وأرسلهم عبر الحدود إلى بولندا في ٢٨ أكتوبر ١٩٣٨م، ولكن الحدود البولندية كانت موصدة دونهم (فبولندا هي الأخرى كانت تود الدفاع عن مصالحها المادية) .

٢- استمرت المحاولات النازية التي تستهدف تهجير اليهود حتى نهاية الحكم النازي، فبذلت المحاولة تلو الأخرى لتوطينهم في سوريا والإكوادور وتم تشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين، وكان هناك مشروع صهيوني نازي يسمى "مشروع مدغشقر" كان يهدف إلى تأسيس دولة يهودية في تلك الجزيرة الإفريقية، ولكن معظم هذه المشروعات فشلت ولم تطرح بدائل أخرى، فالمجال الاستعماري الحيوي لألمانيا، بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى كان محدوداً.

٣- لم تكن الدول الغربية (التي تتباكى حتى الآن على ضحايا الإبادة) ترحب هي الأخرى بالمهاجرين اليهود أو غيرهم بسبب حالة الكساد الاقتصادي.

٤- وكان هتلر يسمي خطة الترانسفير هذه "الحل الشامل" و"الحل النهائي" ولكن هذا الحل النهائي البلفوري لم يكن متاحاً لهتلر، ولذا لم يكن أمامه سوى استبعاد اليهود بطريقة غير بلفورية، وتتميز بكونها أكثر حدة ومنهجية وقسوة ووحشيةً، ومع هذا يميل كثير من العلماء إلى القول بأن " الحل النهائي النازي للمسألة اليهودية " ظل ذا طابع بلفوري حتى النهاية، أي حلاً نهائياً من خلال الترانسفير، أو التهجير القسري إما إلى المستعمرات في آسيا وأفريقيا أو إلى معسكرات العمل والسخرة في ألمانيا، التي لم تكن الأوضاع فيها تختلف كثيراً عن الأوضاع السائدة في المستعمرات، وبعد ذلك بدأ النظام النازي في عملية الإبادة والحل النهائي النازي للمسألة اليهودية والتي استمرت حتى نهاية الحرب.

إذن فالنازية هي وليدة الحضارة الغربية، ومع هذا يتساءل بعض الدارسين الغربيين للإبادة النازية عن الكيفية التي أمكن بها لمجتمع غربي يقال إنه "متحضر" مثل المجتمع الألماني (مجتمع هيجل وفاجنر وهايدجر) أن يفرز حركة بربرية تماماً كالحركة النازية ثم يخضع كل أعضاء المجتمع لها؟ وفي محاولة الإجابة على هذا السؤال، ذهب بعضهم إلى القول بأن النازية هي مجرد انحراف ليس عن مسار التاريخ الألماني وحسب وإنما عن مسار التاريخ الغربي ككل.

إن جوهر الفكر النازي، متمثلاً في كتابات أدولف هتلر (وغيره من المفكرين النازيين) لا يختلف كثيراً عن فكر سير آرثر بلفور صاحب الوعد المشهور (وغيره من الساسة والمفكرين الاستعماريين) فكل من هتلر وبلفور يدور داخل الإطار الإمبريالي العرقي المبني على الإيمان بالتفاوت بين الأعراق، وعلى حل مشاكل أوروبا عن طريق تصديرها، وكلاهما يؤمن بفكرة الشعب العضوي، وكلاهما يرى في اليهود عنصراً غير مرغوب فيه، ومن ثم ضرورة وضع حل نهائي للمسألة اليهودية في أوروبا .

وكلاهما لا يلتزم بأية منظومة أخلاقية سوى منظومة المنفعة المادية ومنظومة الصراع الداروينية، وقد تم الحل النهائي في حالة بلفور بنقل (ترانسفير) اليهود خارج إنجلترا وأوروبا إلى فلسطين .

وإذا كان فكر هتلر هو نتاج لحضارة الغرب، خصوصاً في القرن التاسع عشر، والتي تدور داخل الإطار العرقي العلماني الإمبريالي الدارويني، فلابد أن تكون هناك نقاط اتفاق بين هذا الفكر والفكر الصهيوني الذي هو أيضاً نتاج المعطيات الفكرية نفسها، وبالفعل، نجد أن الفكر الصهيوني يتحدث عن اليهود

باعتبارهم عناصر بكتيرية، والواقع أن تعبير البكتريا المجازي (هو تعبير دارويني لا علاقة له بقيم مثل المحبة والمساواة والعدل) يستخدمه كل من هتلر ونوردو وهرتزل، الذين يتحدثون عن اليهود باعتبارهم شعباً عضوياً منبوذاً، كما أن الصهيونية ترى ضرورة إخلاء أوروبا من اليهود، ولعل الخلاف الوحيد هو أن الصهاينة يفضلون الطريقة البلفورية على الطريقة الهتلرية.

وبعد أن تطرقنا للأيديولوجية النازية كمثال لأهمية الأيديولوجية في تغيير مصير الأمم، حتى وإن كانت تلك الأيديولوجية لاتتفق مع المنطق والعقل السليم، فسنحاول أن نركز على عنصر الصبر والمثابرة وهو العنصر الآخر المهم في نجاح الأيديولوجيات، وسنضرب مثالاً آخر لأيديولوجية أشد دهاءًا وذكاءًا ومكراً ظل طرفها المستفيد منها متواريا عن الأنظار ولكنه ورغم ضلالة مقاصده، إلا أنه تذرع بالصبر وثابر حتى يصل إلى غايته، وتأقلم مع الظروف واستفاد من أخطائه وطور من أساليبه وأطروحاته العقائدية واللفظية والمادية، تارة بالمجاهرة وتارة أخرى بالبطش وتارة ثالثة بتدبيره الأمور من وراء حجاب فجعل من غيره أداة يحركها، سواء كان ذلك الغير أفراداً أو جماعات أو دول، أما أدواته ووسائله في تحقيق ذلك فهي أشد تعقيدًا وتطورًا بحيث يصعب اكتشاف مؤامراته، وإذا ما تم اكتشافها فغالبا مايكون ذلك بعد فوات الأوان، ولابد لنا عند استعراض هذه التجربة ألا نكتفي بمقتها فحسب، بل يجب علينا دراستها والتركيز على جانب المثابرة فيها الذي امتد قروناً عديدة وقف فيه معتنقوها ضد غيرهم من البشر من المسيحيين والمسلمين وحتى بني جلدتهم اليهود، ولازال صراعهم مستمراً إلى يومنا هذا لتحقيق الأيديولوجية الصهيونية أيديولوجية التفوق على الغير واستعباده .

الأيديولوجية الصهيونية (الضلال والمثابرة):

بداية يجب أن نفرق بين بعض المصطلحات التي تختلط بمصطلح الصهيونية حتى يكاد يغلب على ظن البعض أنها تعني شيئاً واحداً، ومن بين تلك المصطلحات مصطلح العبرانيين(٥) ويقصد بهم أبناء سيدنا إبراهيم الذي عبروا الفرات باتجاه فلسطين، وقد سماهم سكان فلسطين القدماء العرب اللخميون بالعبرانيين كناية عن ترحالهم من مكان إلى آخر.

ومصطلح اليهود ويقصد به كل من انتسب إلى اليهودية بصرف النظر عن الوطن الذي يعيش فيه أو اللغة التي يتحدث بها أو الجنس الذي ينتمي إليه. وأساس التسمية كما وردت في القرآن الكريم التوبة والعودة إلى الحق مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى "إنا هدنا إليك"، أما سياسياً فإنها تعني الانتساب إلى مملكة يهوذا التي استمرت حتى عام ٥٨٦ ق.م.

www.books4all.net

ومصطلح الإسرائيلي يقصد به المنتمون إلى مملكة إسرائيل التي قامت عام ٩٢٣ ق.م. بعد أن هزموا سكانها العرب اليبوسيين، ولكن تلك المملكة انتهت عام٧٢٢ ق.م. على يد الأشوريين، أما في وقتنا الحاضر فقد عادت تلك التسمية إلى الظهور مرة ثانية في القرن العشرين لتطلق على الدولة التي تم تأسيسها بناءًا على قرار من الأمم المتحدة بعد احتلال فلسطين .

وتبدأ قصة الصهيونية حينما ولد لسيدنا إبراهيم عليه السلام ولدان هما إسحاق ويرجع اليه اليهود وإسماعيل ويرجع إليه العرب، ومن ذرية إسحاق جاء سيدنا يعقوب ولقبه إسرائيل أي عبد الله وأخوه آدوم.

وقد أنجب سيدنا يعقوب سيدنا يوسف إلى جانب إخوته الإثنى عشر، ثم تمضي قصة سيدنا يوسف إلى أن أصبح سيدنا يوسف وزيرًا للمالية هناك، إذ

أن لقب العزيز الذي ورد في القرآن الكريم يعادل هذا المعني، ثم استقدامه لأبيه سيدنا يعقوب وأبنائه إلى مصر .

وقد مر بنا في فصل المؤامرات على الأنبياء قصة سيدنا موسى مع اليهود وما لقيه من عنت منهم، وهوالذي سار بهم إلى النجاة من فرعون وجنده بأمر من الله. ثم قادهم يوشع بن نون بعد وفاة سيدنا موسى علية السلام واحتلوا أرض الكنعانيين العرب ولكنهم تعرضوا لعدة هزائم إلى أن وحد كلمتهم نبي الله داود عليه السلام على الإيمان الصادق الذي جاء في الزبور، وهو عبارة عن حكم ومواعظ. وسار بهم إلى جبل أشم ذي حجارة صلبة وقوية كان العرب الكنعانيون يطلقون علي حجارته اسم الحجر الصوان أو الصيوان، وأسموا الجبل اسم جبل صوان التي جاءت منها كلمة جبل صهيون، وقام سيدنا داود فيما بعد ببناء قلعة حصينة من حجار ذلك الجبل، ومن المفارقات أن كلمة الصهيونية ترجع الي أصل عربي(٦)، ثم وسع مملكته التي استمرت على هذا الحال في عهد ابنه سليمان عليهما السلام.

ولكن بعد وفاة سيدنا سليمان عليه السلام انقسم اليهود إلى قسمين، قسم يضم أحفاد بني سيدنا يعقوب يهوذا(٧) وبنيامين الذين أسسوا مملكة في الجنوب أطلقوا عليها اسم "مملكة يهوذا" ومقرها أورشليم وعاصمتها قلعة جبل صهيون، والقسم الآخر يضم أبناء الأسباط العشر الآخرين من أبناء سيدنا يعقوب الذين أسسوا مملكة الشمال وأطلقوا عليها اسم مملكة إسرائيل ومقرها في الضفة الغربية نهر الأردن (السامرا). ومع مرور الأيام دب الخلاف والنزاع بين المملكتين فاغتنم الآشوريون تلك الفرصة وأغاروا على مملكة الشمال (مملكة إسرائيل) بقيادة " شلمنصر الثالث " عام ٨٥٣ ق.م وهزمهم في موقعة" كركر " ثم قام القائد الآشوري " سرجون الثاني " بعد ذلك بسحق

القبائل التي تناسلت من الأسباط العشر وأسر ما تبقى منهم وأنهي بذلك مملكة إسرائيل " مملكة الشمال " .

أما مملكة الجنوب فقد هجم عليها الملك البابلي " نبوخذ نصر" عام ٥٨٦ ق.م ودمر هيكل سليمان وحمل رؤساء قبيلتي يهوذا وبنيامين أسرى إلى بابل، فكان هؤلاء الأسرى يجتمعون على ضفاف الفرات يسترجعون ذكريات مملكتهم البائدة وما آل إليه حال شعب كان من المفترض به أن يكون شعب الله المختار، ويحدثون أنفسهم بعودة مملكة تمتد من الفرات إلى النيل، بل إلى ما بعد ذلك . واتخذوا من جبل صهيون الذي كان يمثل قوتهم في الماضي رمزاً لذلك الحنين .

ومن تلك الأشجان والتطلعات بدأ بعض الحاخامات من أحفاد يهوذا بتكييف الديانة اليهودية الغراء التي جاء بها سيدنا موسى لتتوافق مع طموحات أولئك المتطلعين إلى جبل صهيون، أي الأجداد الأوائل لصهاينة اليوم، ولكن وقوع هؤلاء الأجداد بالأسر وقلة حيلتهم جعل من الصعب عليهم آنذاك أن يحولوا حلمهم إلى حقيقة فحولوه إلى أساطير وبدأوا بكتابة توراة وتلمود هما في الحقيقة مزيج بين الأصل والتحريف لقصص وأساطير تصوروها رغم تناقض تلك الأساطير مع ما جاء به سيدنا موسى عليه السلام، وفي عام ٥٢٩ ق.م استطاع قورش الملك الفارسي أن يغزو عدة ممالك بما فيهم البابليين، ولما جاء ابنه قمبيز حرر اليهود من الأسر وعادوا إلى فلسطين، ولكنهم عادوا بفكر غير الذي جاء به سيدنا موسى عليه السلام وجعلوا من الديانة اليهودية أداة تحريض لليهود كافة على الغير، وأصبح ديدنهم هو البحث عن القوة، وتصوروا أن إلههم هو إله الحرب وسفك الدماء لتحقيق تلك الأحلام الدموية، وأن غيرهم من البشر من طينة شيطانية بينما هم مخلوقون من نفس الله وأنهم هم وحدهم

أبناؤه، وإذا كان الله قد منح غير اليهود الصورة البشرية فإنما فعل سبحانه ذلك إكراماً منه لليهود[٨] حتى يتمكن اليهود من التعامل معهم وتسييرهم لخدمتهم، وأن الله لايسمح لغير اليهود بعبادته ولا يتقبل العبادة من غيرهم ، وأن خيرات الأرض هى خالصة لليهود وأن كل ما بيد غير اليهود هو ملك لليهود، ولذلك فلا تثريب على اليهودي أن يستحل حتى دم غير اليهودي وهم يستندون إلى قتل سيدنا موسى للمصري كدليل على ذلك الاستحلال، وأنه يجوز لليهودي غش وخداع وظلم غير اليهودي، وإذا عامله معاملة جيدة فإن ذلك يجب أن يكون من باب التقية ودفع الضرر، وترجم أحد الصهاينة الأوائل واسمه إليعازر عام ٤٤ ق.م تلك التصورات المريضة إلى توراة محرفة تحت اسم توراة عصر الأسر البابلي أو توراة الفرات والتي أطلق عليها اسم "شريعة موسى" وقد كان أول صراع لهم في تحقيق أيديولوجيتهم مع بعض إخوانهم اليهود الذين استهجنوا ما جاء فيها بعد أن هالهم ما تحتويه هذه التوراة الصهيونية من تحريض على القتل والبطش والدمار لكل ما هو غير يهودي، فنشب صراع بين الطرفين انقسم اليهود بعده إلى ثلاث فرق (جماعات) رئيسة[٩] هى :

أ- الجماعة الصدوقية : نسبة إلى زعيمهم الكاهن الذى عاش فى القرن الثالث الميلادى، ويقال نسبة إلى بيت صدوق وهم من الأثرياء الذين انحازوا إلى إليعازر، ولا يؤمنون إلا بالشريعة المكتوبة واتخذوا من سفر يوشع دستوراً لهم وجادلوا بنفي العالم الآخر، وهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار .

ب - الجماعة الفريسية : وقد دعت في بادىء أمرها إلى الأعمال الصالحة والزهد وظهرت فيهم" المزامير " ثم " الأمثال " ثم " الجامعة " وتأثر عامة اليهود بمناخ المحبة الذي أشاعته تلك الأسفار، ولكن قسماً منهم اتجه بعد ذلك للدفاع عن الشريعة الشفوية (التلمود) التي شابها الكثير من التشويه.

ج – الجماعة الأسينية : وقد اتجهت اتجاهاً مغايراً لاتجاه الفرقة الصدوقية فنادت بالمحبة وأنكرت الطقوس الدموية، وقد برز من هذه الفئة فيما بعد "يوحنا المعمدان " وهو سيدنا يحيى (عليه السلام) والذي قال عنه تعالى في سورة مريم : "يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا"(٣) وذلك لأن هذا الاسم لم يكن مألوفاً عند اليهود، ويسميه المسيحيون يوحنا المعمدان لأنه كان يغطس رؤوس التائبين بالماء كرمز على غسل قلوبهم وتطهيرها من الدنس .

استفاد الصهاينة عبر التاريخ من الديانة اليهودية رغم تحريفهم لتوراة نبيهم سيدنا موسى عليه السلام فظلوا مواكبين لليهود ولليهودية مع تمسك شديد بأيديولوجيتهم الهدامة دون أن يتمكن اليهود المعارضين لهم من الفكاك منهم، وكانوا يحيكون المؤامرات والفتن ضد من لايتبع ملتهم سواء كانوا من اليهود أومن غيرهم، كما أنهم كانوا الأعلى صوتاً والأشد قسوة على غيرهم، وكانت ردود أفعال ضحايا هذه المؤامرات موجهة ضد الصهاينة الذين يعيشون بين ظهرانيهم وليس ضد اليهود كطائفة من البشر أو اليهودية كدين. ولكن الصهاينة نجحوا فى الترويج بأن كل رد فعل ضدهم إنما هو موجه لليهود حتي يختلط الأمر على اليهود وعلى غيرهم من منتقدي الصهيونية.

ومنذ السنوات الأولى لنشر أفكارهم الهدامة وبعد تآمرهم على سيدنا عيسى عليه السلام حمل الحواريون رسالته من بعده فدخلوا في صراعات مع كهنة الصدوقيين إلى أن ضاق الحاكم الروماني" تيطس"(١٠) ذرعاً بتلك الصراعات فهاجم الجميع واحتل أورشليم وطرد اليهود الذين آمنوا بالمسيحية والذين لم يؤمنوا بها على حد سواء، إلى أن انتهي معظم وجودهم في القدس عام٧٠ م، وحينما ظهر الوجود اليهودي مرة أخرى بادعاء يهودي اسمه باركو

شياس وادعي أنه المسيح المنتظر هاجمهم هارديان ودمر القدس وبني مكانها مدينة جديدة اسماها " إيليا " وحرم على اليهود دخولها .

قصة الصهيونية وأوروبا :

أما قصة اليهود أو الصهاينة منهم مع كل بلدان أوروبا المسيحية فقد كانت تبدو وكأنها شهر عسل سرعان ماينتهي بالطلاق وسفك الدماء، فمنذ حرضوا القائد الروماني على قتل السيد المسيح، والمسيحيون يحملون في نفوسهم حقداً على اليهود ورغبة في الانتقام منهم متى ما سنحت الفرصة لهم، وفي مرحلة لاحقة من التاريخ استطاع خاقان الخزر اليهودي أن يزرع اليهود في قلب الإمبراطورية الرومانية الشرقية وفى أعلى المناصب التي تمكنهم بحكم مواقعهم من أن يتخذوا القرارات المصيرية التي تخدم اليهود في نهاية الأمر كهدف أساسي وتخريب الدين المسيحي كهدف أسمى، وقد تسنى له ذلك من خلال مصاهرة الملوك الرومان حتى تمكن يهود الخزر من المسيحية، وتحالف اليهود معهم لصد الفتوحات الإسلامية، وكان الدافع لذلك هدف ظاهري هو مقاومة الإسلام الزاحف تجاه العاصمة الرومانية الشرقية بيزنطة ومنع غارات الروس الرامية إلى احتلال الأراضي الواقعة حول نهر الغولى حتى مصبه في بحر قزوين، أما الهدف الخفي لذلك التحالف فهو رغبة يهود الخزر في السيطرة على الدول المسيحية والانتقام منها بشتى الوسائل من تخريب للدين وإذكاء لنار الخلاف بينها عقائديًا .

وفي خضم الصراع المسيحي اليهودي حدثت حروب ومجازر بين الطرفين إما بسبب تحميل اليهود وزر صلب المسيح أو بسبب إجبار غير المسيحيين من مسلمين ويهود وغيرهم على اعتناق العقيدة المسيحية. ويصف بعض كتاب التاريخ العلاقة بين الطرفين ضاربًا مثلا باليهود المشتتين في شبه جزيرة

أيبيريا حينما التأمت الهوة بين طائفتي الرومان والقوط الغربيين بفضل تحول القوط عام ٥٨٧م من المسيحية الآرية إلى المسيحية الكاثوليكية، فبدأ التوتر بين الجماعة المسيحية الموحدة والطائفة اليهودية التي ازداد شعورها بذاتها بعد صدور سلسلة من التشريعات المناهضة لليهود والتي تدل على نفوذ الكنيسة الكاثوليكية على الدولة، وشهد القرن الثالث عشر عملية خروج اليهود من شبه الجزيرة الأيبيريه برغبة ممن يريد ذلك منهم وبقاء من يريد البقاء شريطة التحول إلى المسيحية، فتظاهر بعضهم باعتناق المسيحية بينما بقوا على ماهم عليه وممارسة العادات اليهودية سراً، وعلى الرغم من إجبارهم على اتخاذ أسماء مسيحية فإنهم تحايلوا على ذلك بإضافة كلمة ابن إلى الأسماء الأسبانية المعروفة للمسيحيين. وفي نهاية الأمر تآمر يهود شبه جزيرة أيبيريا مع يهود شمال إفريقيا ليحصلوا على تدخل العرب المسلمين لصالحهم، وقد تمتع اليهود خلال الوجود الإسلامي في شبة الجزيرة الأيبيرية بالمزايا والانتشار والاستقرار والتسلل إلى بلاط الخلفاء واستغلال نفوذهم بما يخدم أغراضهم، ثم تآمروا مرة أخرى ضدهم وحرضوا المسيحيين لطردهم وتدميرهم، وقد استقر هذا الحقد في وجدانهم منذ تشتتهم، ومنذ ذلك التاريخ وهم يعيشون من غير دولة ولا حكومة ولا جيش بل تراهم مبعثرين بين أرجاء الكرة الأرضية. وقد حاول الصهاينة ابتداع وسائل للدفاع عن كيانهم والمحافظة عليه فاستنبطوا وسيلتين خطيرتين هما المال والتآمر، وقرروا تدمير كل ما هو قائم من مبادئ وعلوم ومثل عليا تقوم عليها النصرانية وهدم الأعمدة التي شيدوا عليها بنيانهم الفكري، ونرى اليوم ما تعيشه أوروبا تحت سيطرتهم من اقتصاد وإعلام والتغلغل في كل دول أوروبا وتقرير مصيرها والسيطرة على كل ما يصدر منها من قرارات داخلية وخارجية. وبالرغم من اختلاف جنسياتهم وتباعد أوطانهم

فهم يسعون وراء غاية واحدة مشتركة هي نقض الحقائق القائمة وهدم كل ما هو ثابت، ولم يستطيعوا تحقيق ذلك بالقوة وإنما من خلال احتكار الأسواق المالية فطموحهم هو أن يكونوا أسياد العالم وأن يديروا حركته الاقتصادية كيفما يشاؤون، ولا يمكن الحديث عن الاختراق لدول أوروبا والمسيحية عامة دون التطرق إلى مأساة الحروب الصليبية تحت عباءة الصليب والتي بدأت منذ عام ١٠٩٥م في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي والتي طحنت المسلمين والمسيحيين معا ولم تخمد إلا بعد أن تأكد الغرب الأوروبي من عجزه عن الاستيلاء على بلاد المسلمين في الشرق. وقد جنى اليهود من تلك الحروب فوائد جمة جراء تخطيطهم لها تخطيطًا محكمًا من كل الجوانب أهمها:

١- احتاجت الحروب الدامية بين المسيحيين والمسلمين إلى أموال طائلة لشراء السلاح والطعام لكلا الطرفين جنى اليهود من ورائها أرباحاً تفوق الخيال فهم أصحاب تلك التجارة منذ القدم.

٢- تسلل اليهود الخزر إلى الأرض المقدسة التي يحلمون بها وفي داخلهم حقد دفين خاصة أحبار اليهود المطرودين من الجزيرة العربية وسعوا لتحقيق الحلم اليهودي من خلال الخلاص من المسيحيين والمسلمين على حد سواء.

٣- تحويل الأنظار المسلمة والمسيحية عن اليهود والالتفات إلى حربهما ضد بعضهما.

٤- منح اليهود في الأندلس فرصة لتثبيت أقدامهم فيها سواء في المناطق التي يقطنها المسلمون أو تلك التي حقق المسيحيون فيها انتصاراً، وعندما انتهت الحروب الصليبية ألب اليهود المسيحيين على المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية مرة أخرى أواخر القرن الخامس عشر.

ورغم أن عدد اليهود في بلاد الإنجليز لم يتجاوز الألفين وخمسمائة يهودي عام ١٢٩٠م، إلا أنهم سيطروا على بلادهم تماما، فقام الإنجليز بطردهم من إنجلترا، كما طرد الملك الفرنسي " فيليب لوبل" اليهود من مملكته عام ١٣٠٦م، لكن اليهود عادوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى إنجلترا وفرنسا بكثافة فراراً من محاكم التفتيش الأسبانية ولم يخرجوا من هذين البلدين بل تمكنوا منهما تماما، وعملوا على تأسيس المحافل الماسونية التي تنفذ أهدافهم بأسماء مختلفة. ولو لاحظنا تاريخ دخول الماسونية إلى أوروبا لوجدناه متوافقا مع الفترة الزمنية التي سمح فيها لليهود بالعودة الى البلاد الأوربية بعد طردهم منها، ويعتبر عام ١٧١٧م هو العام الذي بدأت الماسونية فيه بالانتشار في بريطانيا ثم انتقلت إلى معظم البلدان الأوروبية، ويصف بعض كتاب التاريخ تفجير الثورة الفرنسية عام ١٧٦٨م بأنها ثورة صهيونية من ألفها إلى يائها انتقاما من لويس الخامس عشر الذي كافح الماسونية بكل ما يملك من قوة فأصدر منشوراً عام ١٧٣٧م منع فيه حاشية الماسونيين من حضور مجلسه، وأيده البابا الكيمندس الثاني عشر في مكافحة الماسونية فأصدر منشوراً عام ١٧٣٨م يهدد فيه الكهنة وغيرهم بالويل إذا ما انضموا إلى تلك الجمعية أو ناصروها.

وفي القرن الثامن عشر حدث تطور في الفكر اليهودي، إذ كان من تعاليم اليهودية ختان الذكور وتحريم لحم الخنزير وما الى غير ذلك من المحرمات فجاء رجل يهودي اسمه موسى مندلسون فنادى بتحرير اليهود من بعض المعتقدات اليهودية القديمة مثل الصلاة على الميت، وأباح لحم الخنزير وألغى بعض المحرمات فلاقت دعوته صدى عند يهود ألمانيا وأمريكا وعارضها اليهود الأرثوذكس في روسيا وبولندا وهنغاريا (١١).

وفي بداية القرن العشرين سعت الصهيونية الحديثة لغزو الفاتيكان حامية المسيحية الكاثوليكية، فقابل "تيودور هيرتزل" الأب الروحي للصهيونية الحديثة في شهر نوفمبر ١٩٠٤ البابا ببوسي العاشر ودخل معه في مناقشات مطولة حول علاقة الكنيسة بالشعب اليهودي وموقف الفاتيكان من اليهود عبر التاريخ محاولاً بذلك الربط بين بعض نصوص التوراة في الماضي والمستقبل عن وحدة الوجود اليهودي المسيحي،وكان هدف هيرتزل من ذلك الحوار هو حث الفاتيكان على بذل الجهد للتعاطف مع اليهود حول الأراضي المقدسة في فلسطين، وأن يكون لهم وضع خاص يمكن الجماعات اليهودية من تحقيق أهدافها، كما حاول الصهاينة على مر الزمان الإبقاء على مخططاتهم سرية، وقد عبرت مجموعة بروتوكولات حكماء صهيون عن ميراثهم الأخلاقي والديني والسياسي الذي ينم عن حقد دفين لم تستطع الأيام محوه مثل تخريب الأديان والقيم،وقد تم تأجيل القضاء على الإسلام إلى مرحلة لاحقة لأن المسيحية كانت هدفهم المباشر آنذاك، فكان من بين فقرات البروتوكول السابع عشر(١٢) ما نصه " إن حرية العقيدة الدينية معترف بها اليوم في كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع خطوات وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك عندما يحين الوقت المناسب لهدم القصر البابوي والمقصود بانهيار المسيحية هو الهدم المعنوي عن طريق التسلل إلى معقل الكاثوليكية وتوجيهه إلى خدمة الأغراض الصهيونية، فتبقى المسيحية رمزاً خاوياً من المعاني الدينية، وهو الأمر الذي سيحدث لبقية الأديان فيما بعد، وقد تم الكشف عن بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٠٥ في روسيا، عندما عادت سيدة روسية كانت تقيم في باريس تدعى "جوليدا وتميرملينا" إلى روسيا وكان معها البروتوكولات بصفتها عضواً في المراتب العليا لجمعيات "الماسون" والتي تم

تطوير عملها عام ١٨٦٩ في مدينة براغ في اجتماع سرى عقد حول قبر رجل يهودي يدعى " سيمون بن يهودا " واتفق على اتخاذ خطوات جديدة للعمل السري اليهودي لتطوير الحركة والتعاليم الماسونية التي تقررت عام ١٧٠٧ في فرنسا لتتلاءم مع الجو المسيحي الجديد الذي ظهر في بريطانيا والولايات المتحدة وانتشار المذهب البروتستانتي فيها، فأسفر الاجتماع الذي تم حول قبر سيمون بن يهودا عن إنشاء تنظيم صهيوني عالمي يضم ثلاثمائة شخص ليشكلوا بذلك حركة سرية تحكم العالم، ولا يحق لأي عضو من أعضاء هذه الحكومة الكشف عن نفسه أو عن هوية زملائه لأي سبب من الأسباب، وهم يعملون بجد واجتهاد دائبين لتنفيذ مآربهم، وعندما يموت أحد أعضاء الحكومة السرية يتم تغييره على الفور بغيره من أفراد الصف الثاني الذين لايعوزهم الحماس والتفاني في العمل بالنصوص المتعلقة بالتلمود .

وللصهاينة قدرة كبيرة على تزييف الحقائق والتاريخ ولديهم وسائل دعائية فائقة، فقد استطاعت الصهيونية أن تجعل من محرقة اليهود في ألمانيا النازية أسطورة لاستغلال كل شئ لمصلحة فكرة واحدة وهي إجبار المجتمعات الغربية على الانقياد لرغبتهم وعدم الوقوف أمام مصالحهم مستغلين في ذلك خلق إحساس لدى الأوروبيين بالذنب تجاههم. يقول ناحوم جولدمان" في كتابه سيرة ذاتية : إن إسرائيل تلقت من ألمانيا خمسمائة مليون دولار كتعويضات وإن ألمانيا لم تلتزم بتعهداتها وذهب خليفته هيرتزوج إلى النمسا يهددها إذا لم تدفع النمسا لإسرائيل ثلاثين مليون دولار كتعويض عن مأساة اليهود،ثم عادت إسرائيل تطلب ثلاثين أخرى ثم ثالثة، وكان التهديد بسبب إنكار النمسا أنها نازية. ويرى المؤرخ الأمريكي " هوفمان" أن هتلر كان يرغب في إحياء المدينة الغربية في العقود الوسطى للقرن العشرين فعمل على عزل اليهود وإبعادهم

وإذا لزم الأمر تدميرهم من أجل سيادة الثقافة الألمانية والأوروبية، لكن جهود هتلر أدت إلى أنه كان هو المؤسس الحقيقي لدولة إسرائيل بدفعه اليهود الخزر أساتذة إثبات الإحساس بالذنب على الغير لإنشاء دولة لهم، وينقل عن الحاخام" شوارتز " فى نيويورك تايمز ١٨ مايو ١٩٩٣ قوله لتحقيق أهدافهم لإنشاء دولة قام الصهيونيون عمدًا بإثارة معاداة السامية ولم يكن اهتمامهم هو إنقاذ اليهود بل على العكس إراقة الدماء اليهودية ليطلبوا من الدول المساعدة لإنشاء دولتهم، ولا شك أن ديجول كان أشجع الفرنسيين في العصر الحديث الذي لم يخش اليهود ونفوذهم في بلده وقال : في فرنسا جماعة ضغط قوية موالية لإسرائيل وهي تمارس نفوذها في وسائل الإعلام على وجه الخصوص، ولم تختلف باقي دول أوروبا ذات الثقل في العلاقات الدولية عن فرنسا وإنجلترا، فالصهاينة استطاعوا اختراق كل مقدراتها وشئونها السياسية والمالية. ولا يمكن بحال حصر اليهود في تلك الدول بل يكفي الإشارة إلى أن دزرائيلي وهربرت صمويل يهوديان من المارانوسي توليا رئاسة وزراء بريطانيا، وعمل دزرائيلى كل ما في وسعة لتحقيق أغراض اليهود مستعينا بنفوذ جيمس روتشيلد، ممثل الروتشيلديين في إنجلترا بعد أبيه فكون مع دزرائيلى عام ١٨٦٠م الاتحاد العالمى اليهودي لتجمع يهود العالم تحت زعامة محفل الشرق الأعظم الماسوني في فرنسا، وفي عام١٩١٧ دخلت البرتوكولات الصهيونية مع الجيش البريطاني مدينة القدس .

وحتى الشيوعية ذات الستار الحديدي كان للصهيونية نصيب في التغلغل إلى أعماقها .وهناك من المؤرخين من يربط بين الشيوعية والصهيونية التي كانت نتاج عمل كارل ماركس اليهودي الألماني والتي تلقفها لينين عام ١٩١٨ وطبقها في روسيا وتخلصوا من حكم أسرة رومانوف المسيحية شديدة التمسك بدينها،

وقد تألفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي في عهد لينين من ١٢عضواً من بينهم تسعة يهود، ولينين نفسه كان يهوديًا من أمه ومتزوج من يهودية،وقد جاء في كتاب يهود ضد إسرائيل ص ١٨ أن لينين كان حاضراً في اجتماعات بازل الصهيونية عام١٨٩٧ أما في عهد ستالين فقد تألفت اللجنة المركزية عام ١٩٣٦ من تسعة وخمسين عضوا منهم ستة وخمسون عضوًا يهوديا والثلاثة الآخرون متزوجون من يهوديات وعلى رأسهم ستالين نفسه، ولم يكن الانتشار اليهودي لبلدان العالم وخاصة أوروبا انتشاراً عشوائيا وإنما كان تركيزهم الرئيسي على الدول ذات الثقل والقرار المؤثر في العالم، ولذلك كانوا مع فرنسا ثم بريطانيا أيام كانت الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ثم روسيا الشيوعية وأخيرا انتقل الثقل الصهيوني إلى الولايات المتحدة كما سنورده في الفقرات التالية للدلالة على أهمية الصبر والمثابرة في تحقيق أيديولوجيتهم .

أمريكا والصهيونية :

حينما أدرك الصهاينة أن أمريكا هي القوة البارزة في العالم سعوا بشتى الطرق إلى اختراقها من كل الجوانب، فأفرزوا مع الأيام بمثابرتهم نفوذاً جباراً في دولة أصبحت هي القوة الوحيدة في عالم اليوم حيث سيطروا على مقدراتها وأقدارها اقتصاديًا وعسكريًا وسياسيًا ووجهوا كل ذلك نحو مصالحهم، فباتوا يملكون إمبراطوريات الإعلام والمال في أيديهم، وتصدر كل القرارات الأمريكية المتعلقة بمصالحهم السياسية والاقتصادية عن طريق أعوانهم في الكونغرس والبيت الأبيض ولايستطيع الرئيس الأول في العالم أن يحكم أمريكا إلا من خلالهم، أما إذا حاول الحيدة عن أهدافهم المرسومة فإن مصيره معروف سلفًا وأقله الخروج من البيت الأبيض بفضيحة تلازمه مدى الحياة، والتاريخ ماثل

أمام الجميع بدءاً من نيكسون وحتى كلينتون، وما يحدث من سياسات أمريكا تجاه الفلسطينيين خير شاهد، فكل القرارات الإستراتيجية تصنع في إسرائيل وتأخذ طريقها لمجرد التصديق عليها في البيت الأبيض لتفوز الصهيونية بالمغانم ولتتحمل أمريكا وزر المغارم.

وسنحاول أن نسرد بعض الوقفات للتاريخ الصهيوني في أمريكا [١٣] فنبدأ بالقول إن اختلافنا مع أمريكا لا يجب أن يحجب عنا أنه كان لها مواقف تستحق الإشادة مثل حماية المسلمين من بطش المتطرفين الصرب في البوسنة والهرسك وكوسوفا مثلما كان لها مواقف تستحق الشجب مثل مواقفها من القضية الفلسطينية . وعلينا أن نتذكر أن أمريكا مثلها مثل أية دولة قوية تحاول أن تصنع لنفسها حاضراً قوياً ومستقبلاً زاهراً، وقد نجحت بالفعل في صناعة ذلك لنفسها فتفوقت على بقية بلدان العالم اقتصادياً وعسكرياً وعلمياً وما إلى ذلك من مظاهر القوة والازدهار، إلا أن شيئاً واحداً يدرك قادتها أنهم لايستطيعون التحكم به وهو مصيرهم أومصير دولتهم، فهم يدركون أنه مرهون بغضب الصهيونية أو رضاها عنهم، ولذلك تجد أنهم يقفون مكتوفي الأيدي أمام إملاءات صهيونية لايستطيعون حيالها إلا السمع والطاعة حتى وإن كانت تلك الإملاءات لاتصب في مصلحة دولتهم. وهو ما أشار إليه الرئيس الأمريكي السابق كارتر في كتاب ألفه في أواخر عام ٢٠٠٦م تحت عنوان السلام لا الفصل العنصري.

ونبدأ قصة الصهيونية في أمريكا بالزعيم الأمريكي "بنيامين فرنكلين" الذي تنبأ بتلك السيطرة مبكرًا وتحديداً في عام ١٧٨٩م عندما دارت المناقشات لوضع دستور الولايات المتحدة بعد حرب الاستقلال إذا قال في خطاب له: «هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك الخطر العظيم هو خطر

اليهود أيها السادة : في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوي الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية فيها، ولم يزالوا منعزلين لاينتجون إلا بغيرهم، وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب ماليا كما هي الحال في البرتغال وأسبانيا، منذ أكثر من ألف وسبعمائة سنة واليهود يندبون حظهم ويظنون أنهم طردوا من ديار آبائهم، ولكن أيها السادة لن يلبثوا إذا أعطتهم الدول المنتصرة اليوم فلسطين أن يجدوا أسبابًا للعودة إليها (أى إلى الدول المنّصرة، لماذا لأنهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض ولابد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم، إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص دستورها فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة إلى حد يقدرون معه أن يحكموا شعبا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحينا من أجله بأرواحنا وحريتنا الفردية، ولن تمضى مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود في حين يظل اليهود في البيوتات المالية يتندرون بسرور بغبائنا . إننى أحذركم أيها السادة، أنكم إذا لم تبعدوا اليهود نهائيا فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبورهم.إن اليهود لن يتخذوا أمثالنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقط، إن اليهود خطر على هذه البلاد إذا ما سمح لهم بحرية الدخول. إنهم سيقضون على مؤسساتنا، وعلى ذلك لا بد ان يستبعدوا بنص الدستور".

وعلى الرغم من تحذيرات الزعيم الأمريكي" فرانكلين" الواضحة والقوية للمواطنين الأمريكيين عام ١٧٨٩م إلا أن اليهود بأساليبهم الاحترافية المعروفة استطاعوا التدفق على الولايات المتحدة منذ عم ١٨٨١م، وقبل مرور مائة سنة على ذلك التحرير كان اليهود الروس قد اجتاحوا الأراضي الأمريكية باتباع كل

الطرق الملتوية واخترقوا كل أركانها مع نهاية القرن العشرين، فسيطروا على الولايات المتحدة بكاملها اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا من خلال السرد التالي(١٤) :

١٨٨٥م: أول غزو ونفوذ يهودي للسيطرة على المسرح ومن ثم باقي الفنون من صحافة وإعلام وموسيقى وسينما ... الخ .

١٨٩٩ م: محاولات اليهود حذف كلمة " المسيحي " من لائحة حقوق الإنسان التي أعدتها ولاية فيرجينيا .

١٩٠٥م: تأسيس منظمة " حلقة العمال " في نيويورك على يد مجلس الطائفة اليهودية لكي يتم التسلل إلى النقابات غير اليهودية .

١٩٠٦ - ١٩٠٧م : إرسال يهود أو كلاهما بعريضة إلى المؤتمر السنوي الدستوري للولاية احتجوا فيه على استعمال كلمة "المسيحي" في الدستور الجديد للولايات المتحدة، وتمكن اليهود في نفس السنة من إرغام مدارس ولاية تكساس على إسقاط رواية تاجر البندقية للكاتب الإنجليزي المشهور وليام شكسبير من برامجها التدريسية وذلك لما جاء فيها من وصف لهم.

١٩٠٦ م : تأسيس اللجنة اليهودية الأمريكية "ايباك" .

١٩٠٧ - ١٩٠٨م : تقديم طلبات عامة من اليهود لعلمنة المنظمات العامة كجزء من مطالبة اليهود بحقوقهم الدستورية، ومسارعة الحاخامات اليهود في الحملة على بيان قاضي المحكمة العليا بروار الذي قال إن هذه البلاد مسيحية .

١٩٠٨ - ١٩٠٩م : عملت الطائفة اليهودية في تاماجواد بنسلفانيا على إحباط القرارات التي اتخذت لقراءة الإنجيل يوميًا في المدارس، وقاطع اليهود التجار الذين يزاولون أعمالهم في يوم السبت في نيويورك، وبذلوا محاولات لإدخال فكرة عطلة السبت في الأعمال التجارية العامة .

١٩٠٩ - ١٩١٠م : الدعوة إلى إدخال فكرة العطل اليهودية في الحياة العامة.

١٩١٠ -- ١٩١١م : تمكن اليهود من إسقاط " تاجر البندقية " من البرامج التدريسية في هارتفورد .

١٩١١ - ١٩١٢م : طالب اليهود في باسابيك " نيوجيرسي" الهيئة التدرسية بالتوقف عن قراءة الإنجيل وأناشيد الميلاد في المدارس .

١٩١٢ - ١٩١٣م : موافقة مجلس التعليم في شيكاغو بعد هياج شديد من اليهود على رفع عيد الميلاد من قائمة الأعياد الرسمية العامة في المدارس.

١٩١٤ - ١٩١٥م : بذل مجلس الطائفة اليهودية في نيويورك محاولات عديدة لضمان تعديل قوانين الأحد .

١٩١٥ - ١٩١٦م : معارضة اليهود لحركات متعددة ترمي إلى جعل المدارس حرة في استعمال الإنجيل.

١٩١٩ - ١٩٢٠م : نجاح مجلس الطائفية اليهودية " الكهيلا " في نيويورك في حملته طلب المعلن اليهودي مساعدًا يهوديًا في حين لم يكن في وسع أي معلن غير يهودي أن يطلب مساعدًا غير يهودي.

البرنامج اليهودي العام في كل مكان الآن يتلخص في[١٥] :

١- تثبيت أقدامهم في مناحي الحياة .

٢- تحطيم كل ما هو غير يهودي أو مناوئ لليهود

٣- تمجيد اليهودية في جميع مظاهرها .

ويقوم هذا البرنامج علي :

١- إلغاء الصلوات المسيحية.

٢- إلغاء روايات شكسبير من المدارس العامة .

٣- إقامة محاكم يهودية في الأبنية العامة .

غدر الصهيونية بحلفائها:

في عام ١٩٤٤ اغتيل اللورد البريطاني[١٦] موين في القاهرة وتم اكتشاف منفذي الاغتيال فأصدرت المحكمة المصرية حكمها بالإعدام على الشابين الإسرائيليين اللذين ارتكبا تلك الجريمة، وهما الياهو حكيم والياهو بتزورى ؛ وقد نفذ الحكم فما كان من بن غوريون إلا أن قدم احترامه الكلي للمواطنين اللذين أعدما، وكانت ردة فعل ونستون تشرشل عنيفة عندما علم بالحقائق فوصف العملية بالجريمة المخزية، وقال: "أعلن صراحة أنه إذا كانت أحلامنا التي بنيناها على الصهيونية ستنتهي بدخان بارود الاغتيالات، وإذا كان كفاحنا من أجل مستقبلها ستحصده عصابة لصوص وإرهاب فإنني سأضطر لإعادة النظر بمواقفنا " .

وفي عام ١٩٤٩ تآمرت الصهيونية على وزير الدفاع الأمريكي "جيمس فورسنال" في عهد الرئيس الأمريكي "هاري ترومان" .وقد جاء هذا التآمر نتيجة وقوف الوزير فورسنال ضد الإعتراف بإسرائيل الذي أعلنه صراحة ولأول مرة الرئيس الأمريكي "هاري ترومان"، ولم يقف أمام ذلك الاعتراف سوى وزير الدفاع الجنرال "جيمس فورسنال" حيث عارض الرئيس ترومان في تأييد قيام إسرائيل في قلب الوطن العربي، وكان السبب في ذلك هو اهتمام فورسنال بقضية فلسطين والتي اتخذ منها موقفا معارضاً لموقف حكومته، وكان فورسنال يدعو الحكومة الأمريكية إلى توثيق الصداقة مع الأقطار العربية، وألا توافق الولايات المتحدة على قرار تقسيم فلسطين وإقامة الدولة الصهيونية، فبدأت بعد ذلك حملات الضغط تمارس على"فورسنال" وبدأت معها المؤامرات ضده، وانهالت عليه التحذيرات من كل جانب ليكف عن ذلك، إلا أنه استمر على موقفه المبدئي، ولم تيأس الصهيونية حينما وجدت أن الوعيد لم يجد نفعاً، فبدأت بنشر الشائعات حوله واتهامه بالإرهاق العصبي لدفعه إلى الاستقالة، واتهامه كذلك بعدم القدرة على إدارة وزارة الدفاع، ولم تهدأ تلك الشائعات إلا بعد أن قدم استقالته في مارس عام ١٩٤٩م، أي قبل أن يكمل فترة الستين عاماً، ولكن فورسنال استمر في نشر مذكراته وفي إلقاء المحاضرات التي تفضح مخططات الصهاينة، ومن بينها المحاضرة التي ألقاها في جامعة "برستول" حيث كانت محاضرته حول ضعف الحكومة الأمريكية وصعوبة رسم وتنفيذ سياستها بسبب التغلغل الصهيوني. وكانت هذه المحاضرة السبب الذي دفع عملاء الصهيونية إلى اتخاذ قرار التخلص منه نهائيًا، وقد كان ذلك في منزله حيث تم تصفيته بواسطة دفعه إلى السقوط من نافذة مطبخه في الدور

السادس، ووقع "فورسنال" إلى الأرض ولقي حتفه، والغريب في الأمر أن التحقيق اختتم بالقول إن الحادث كان قضاءً وقدرًا .

في أعقاب ثورة يوليو[17] وفي عام١٩٥٢، كانت العلاقات جيدة بين عبد الناصر وأمريكا، وأثمر ذلك التعاون عن الكثير من الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية حتى ساد اعتقاد بأن أمريكا ستحاول بناء السد العالي، وبالفعل فقد خصصت الإدارة الأمريكية لمصر مساعدة مالية قدرها ٥٠ مليون دولار، وهذا ما اعتبرته الزعامةالصهيونية نذير شؤم عليها ويضر بالمصالح الإسرائيلية السياسية والمادية إذ أنه سيخفض قيمة المعونات التي ستصب في الخزانة الإسرائيلية.

ولم يكن النفوذ الصهيوني في أمريكا آنذاك قد بلغ أوجه، فلجأت الصهيونية إلى أسلوب آخر هو تعكير العلاقات بين مصر وأمريكا، فأقدمت على إرسال عملائها المدربين إلى مصر بمهام عديدة منها إلقاء القنابل على المؤسسات الأمريكية وقتل مواطنين أمريكيين بهدف تدمير العلاقة الجيدة بين مصر وأمريكا، فزرعوا قنابل صغيرة علي شكل كتب في مكتبات المركز الأمريكي للمعلومات بالإسكندرية والقاهرة، وألقوا قنابل أخرى مشابهة وضعت في مسرح مترو غولدن ماير والأبنية العائدة لمواطنين أمريكيين، إلا أن أجهزة الأمن المصرية استطاعت اكتشاف مدبري المؤامرة، وقد كانت هذه الحوادث الإرهابية ضد الأمريكان كافية لتقويض العلاقة بين أمريكا وإسرائيل، ولكن الإدارة الصهيونية كانت قد أعدت لكل شيء عدته فتظاهرت بالانزعاج والتبرؤ مما حدث وحاول شمعون بيريز وموشي دايان إلقاء مسئولية ما حدث في مصر على عاتق وزير الدفاع الإسرائيلي " لافون" بشكل شخصي، ثم تقدم

بنحاس لافون باستقالته من منصب (وزير الدفاع) عام ١٩٥٥، أما بن غوريون فقد حاول جاهداً عدم إعادة فتح ملف القضية، ولكن عبد الناصر بادر بكشف تفاصيل هذه المؤامرة وتم القبض على اليهود المشاركين فيها مما أدى ذلك إلى أزمة وزارية في إسرائيل ووجدوا لها مخرجاً باستقالة بن غوريون عام ١٩٦١، وكانت نتيجة هذه المثابرة الصهيونية استمرار العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وبشكل أقوى من ذي قبل، واستخلاص وسائل صهيونية تلجم السياسيين الأمريكيين عن إلقاء اللوم على إسرائيل مهما كانت الأسباب .

وفي دراسة حديثة لستيفن والت الأستاذ بجامعة هارفارد، وجون مارشيمر أستاذ العلاقات الدولية بجامعة شيكاجو أكد المؤلفان أن إسرائيل ليست حليفاً أميناً لواشنطن فهي تحرج السياسة الأمريكية بسبب سياستها العدوانية تجاه الفلسطينيين وتوسعها المستمر داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة وتجسسها على الولايات المتحدة نفسها (قضية بولارد وإيباك) وتسريبها معلومات أمنية مهمة للصين، وخلص المؤلفان إلى القول إن إسرائيل أصبحت عبئاً إستراتيجياً على الولايات المتحدة، ومع هذا فإن عهد سطوة اللوبي الإسرائيلي داخل أمريكا لن يغرب قريباً .

الجرائم الصهيونية ضد اليهود :

لم تقتصر جرائم الصهيونية[١٨] على الأعداء أو الأصدقاء فحسب، ولكنها امتدت لتشمل اليهود الرافضين لمنهجها وأساليبها القمعية :

ففي عام ١٩٤٠: وفي أيام الانتداب البريطاني على فلسطين قام الصهاينة بتصفية بعض اليهود الذين لم ينصاعوا لأوامرهم، فكانت تلك القصة شاهداً

على أن فكرة الإرهاب الصهيوني متجذرة في صميم إيديولوجية هذه الحركة،إذ لامجال للصفح ولا للعفو عندهم حتى عن اليهود المخالفين لهم، فالرحمة عندهم تضر بالمصالح الحيوية .

وفي ٢٥ نوفمبر ١٩٤٠ رفض بعض اليهود النزول من السفينة التي حملتهم إلى فلسطين وفضلوا الهجرة إلى أوروبا، فتم تفجير السفينة "باتريا" بمن فيها من اليهود في ميناء حيفا وقتل ٢٧٦ مهاجراً يهودياً ثم ألقيت المسؤولية يومها على البريطانيين، ولم يكتشف سر ذلك إلا بعد عشر سنوات حيث تبين أن عصابة الهاغانا الصهيونية اتخذت قراراً بعدم السماح لباتريا بمغادرة حيفا بحجة أنه لا يجوز طرد اليهود من بلادهم "إسرائيل" الذين رفضوا النزول فيها، وحينما أصر الركاب على قرار المغادرة تمت مؤامرة تصفيتهم فأبلغوا بإنهم سيعودون من حيث أتوا، وفجأة سمع دوي انفجار تبعه موتهم . وقد كان مشهداً مروعاً والناس يسمعون صراخ اليهود الذين غدر بهم الصهاينة يرتفع، وهم يشاهدونهم يلقون بأنفسهم في الماء، وقد تكرر نفس المشهد بعد ذلك بخمسة عشر شهراً حينماً انفجرت الباخرة "ستروما" في البحر الأسود وقتل في هذا الحادث الذي دبره الصهاينة ٧٦٩ مهاجرًا يهوديا ً، وقد وصفت الوكالة اليهودية هذا العمل بأنه قمة التضحية بالذات .

وفي عام ١٩٤١ تلاقت رغبة النازيين بالتخلص من يهود أوروبا مع رغبة الصهاينة في جذب اليهود الأوروبيين إلى فلسطين .

وفي عام ١٩٥٠ - ١٩٥١م : نفذت الاستخبارات الإسرائيلية في بغداد عمليات قتل تمت بالاتفاق مع بعض شخصيات من السلطة العراقية الحاكمة ولم يكن ضحاياها سوى اليهود العراقيين، وكان هذا هو مفهوم بن غوريون للأمن الإسرائيلي.

وفي عام ١٩٥٠ : ألقيت في مارس قنبلة على مقهى بالدار البيضاء حيث كانت تلتقي الشبيبة اليهودية المثقفة والتي لم تسفر بمعجزة عن جرح أحد.

وفي يناير عام ١٩٥١ : ألقيت قنبلة على كنيس مسودا سمتوف والتي قتلت عجوزا وجرحت شابين قامت بالقائهما عناصر الاستخبارات الإسرائيلية بإشراف عملاء أرسلوا خصيصاً من فلسطين بهدف تخويف الجالية اليهودية وإشعارهم بعدم الأمان في العراق، وبالتالي لايجدون أمامهم سبيلاً سوى الهجرة إلى إسرائيل .

وفي عام ١٩٧٧ : كتب الصحفي نادل العضو السابق في منظمة شتيرن مقالاً في صحيفة يديعوت أحرونوت أن مردخاي[١٩] بن بورات (رئيس جمعية اليهود القادمين من البلدان العربية) كان المنظم الأساسي للعمليات الإرهابية المعادية لليهود التي جرت في العراق من ١٩٥٠ - ١٩٥١م وكانت هذه العلميات تشكل منعطفًا ليس من ناحية الوسائل فحسب، بل من ناحية الخطط والأهداف كذلك بهدف التأثير على اليهود وتخويفهم فإنها تضرب اليهود العراقيين بحجة إنقاذهم .

لعبت الازدواجية دورًا بارزاً فى التأثير على الرأى العام العالمى، ورويداً رويداً اخترقت الدعاية الصهيونية وسائل الإعلام لطمس حقيقة الكفاح الفلسطيني في محاولة لتحويل انطباعات الناس عن تلك الحقيقة حتى أصبح معظم الناس مهيئين للاقتناع بأن العرب هم من يسعون إلى العنف فى الوقت الذى يتم فيه إبراز المنظمات الصهيونية وكأنها بريئة من كل شر.

يقول الكاتب اليهودي[٢٠] ليني برينر في كتابه الصهيونية في زمن الدكتاتورية " لم تكن الصهيونية أبداً مطابقة في امتدادها لا لليهودية ولا للشعب اليهودي فالأغلبية

الساحقة من ضحايا هتلر لم يكونوا صهاينة، كما أن أغلبية اليهود في بولندا مقتوا بشدة سياسات مناحيم بيجن عشية الحرب العالمية الأولى .

وكان راثنو يهودياً ومستشاراً لألمانيا وهو الذي وقع في عشرينيات القرن العشرين معاهدة فرساي التي رفض اثنان من مستشاري ألمانيا قبله التوقيع عليها فحقد الألمان على اليهود بسببه واغتاله أحد الألمان لشعورهم بظلم تلك الاتفاقية لهم.

حينما زار بيغن أمريكا عام ١٩٤٨ بعث العالم اليهودي أينشتاين والمؤرخة اليهودية "حنا ارندت" برسالة إلى صحيفة نيويورك تايمز يقولون فيها إن من بين الظواهر المقلقة في زماننا ظهور حزب الحرية" حيروت" في دولة إسرائيل، فهو حزب مرتبط بشكل وثيق في تنظيمه ومناهجه بالنازية والفاشية، ورفض أينشتاين عرضاً بأن يتولى بموجبه الرئاسة في إسرائيل.

ويرى موشيه هيرش الحاخام الأكبر لطائفة الحراس "ناطوري" أو بالأحرى حراس المعبد "ناطوري كارتا" "علينا أن نعلم أتباعنا الدين والإيمان الذي أهملته الصهيونية باعتبارها شكلاً من أشكال العنصرية"، وعلق على باب بيته لافتة كتب عليها " هنا يسكن يهودي، ولكن ليس صهيونياً " وقال في مناسبة أخرى: كان من الخطأ الفادح السماح بقيام هذه الدولة المصطنعة، فقد اتسعت هذه الأرض المباركة لكل من العرب واليهود، إننا نصلي دائماً لزوال هذه الدولة الصهيونية. ورفضت طائفته الاعتراف بإسرائيل واحتجت على استخدام كلمة إسرائيل على أساس أنه يحمل مدلولات دينية لاعلاقة لها بدولة إسرائيل الصهيونية . وحينما انتصرت إسرائيل في حرب ١٩٦٧ أعلنت الطائفة الحداد وطالبت بانسحاب القوات الصهيونية من الأراضي العربية المحتلة . وحينما

اقترح عرفات إقامة دولة ديمقراطية في فلسطين يتمتع العرب واليهود فيها بالمساواة رحبت الطائفة بقيام دولة تمكن اليهودية من الازدهار كما كان الحال أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا، وقد لاقى أفراد هذه الطائفة شتى أنواع الاضطهاد من الصهاينة ولكنهم لم يتزحزحوا عن مواقفهم. وموقفها هذا شبيه بموقف طائفة أخرى اسمها "أجودات إسرائيل" إذ أعلنت هذه الطائفة بعد أيام من إنشاء إسرائيل أن الصهيونية تشكل خطراً روحياً ومادياً على شعبنا اليهودي" ويمثل هذه الطائفة حزبها الذي يحمل اسمها والذي أسس عام ١٩١٢ ولكنه أعلن أنه على الرغم من أن التعاون مع الصهيونية سينزل غضب الرب على الوطن القومي اليهودي ويعيق عودة المسيح لكنهم شاركوا في الحكومات الإئتلافية الإسرائيلية .

www.books4all.net

وفي الخمسينيات من القرن العشرين كتبت الكاتبة اليهودية دورتي تومسون تقول:" هؤلاء اليهود الذين ادعت الصهيونية أنها أنقذتهم من اضطهاد العرب في العراق يجلسون الآن على ضفاف نهر الأردن يذرفون الدموع السخية على أيامهم الزاهرة في العراق"

وتتساءل الباحثة اليهودية الأمريكية روبرتا شتراوس في كتابها" مصير اليهود" عن اليهودية أهي ديانة أم قومية أم حضارة أم دولة ؟ ومن هم اليهود ؟ هل هم جنس أم شعب أم سلالة عرقية ؟ من أين جاؤا وكيف انتشروا في العالم ؟ وكيف أصبحوا ملوكاً في الغرب الرأسمالي وفي نفس الوقت أصحاب نفوذ في المجتمع الشيوعي ؟ لقد كون اليهود ثروات ضخمة عبر التاريخ من الربا وتجارة الرقيق، وفي نفس الوقت ينادون بالقيم والأخلاق . فكيف تستقيم هذه المتناقضة وتنضوي في إطار واحد؟

وفي عام ١٩١٠: استطاع العالم الكيميائي السويدي مارتين اكنبيرج اختراع الرسائل الملغومة قبل انتحاره في سجن لندن عام ١٩١٠ ومنه تعلم الإرهابيون الصهاينة خاصة منظمة شتيرن والأرغون هذا الأسلوب ونقلتاه إلى الشرق .

وفي عام ١٩٤٧: شهد العالم موجه من الرسائل الملغومة وجهت إلى شخصيات بريطانية كان يعتقد أنها غير متعاطفة مع الصهيونية وأهدافها.

وفي٢٤ سبتمبر ١٩٧٢ ركزت صحيفة الصنداي تايمز على كيفية بدء إسرائيل الإرهاب بواسطة البريد بعد أن حمل مقال في الصحيفة إسرائيل المسئولية الكاملة وذلك لأنه لم يسبق لمنظمة أيلول الأسود أو لأية منظمة فلسطينية أخرى أن فعلت شيئا إلا وأعلنت مسئوليتها عنه، وحتى مأساة ميونيخ تحملت المنظمة مسئوليتها، وهو الحادث الذي وقع في ٥ سبتمبر ١٩٧٢ بعد قيام فدائيين فلسطينيين بمهاجمته المدينة الأولمبية والقبض على ٩ لاعبين إسرائيليين كرهائن .

فهل يعقل إذن ألا تتحمل مسئولية الرسائل المفخخة باستثناء الرسالة الأولى التي تسببت بمقتل دبلوماسي إسرائيلي عام ١٩٧٢ في مكتبة بلندن وهي خطأ على ما يبدو وأخرى مرسلة من الهند تسببت في جرح يهودي (فيفيان برنسيز) فكل الرسائل التى كان مصدرها أوروبا وكانت موجهة إلى شخصيات يهودية في أوروبا وأمريكا اكتشفت سلفا أو تبين أنها غير مفخخة، وفي المقابل نرى أن الرسائل التي وجهت لشخصيات عربية وفلسطينية انفجرت وتسببت بمقتل أو جرح الأشخاص المقصودين.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفلسطينيين[٢١] قادرون على إحكام الأفخاخ داخل الرسائل مما يعني أن أسباب عدم الانفجار في الرسائل التي وجهت للشخصيات اليهودية في العالم لم تكن فنية بقدر ما كانت مقصودة ومتعمدة .

ومما سبق نجد أن المسئولين الأمريكيين[٢٢] تعودوا النظر إلى إسرائيل على أنها الولد الصالح وإلى العرب على أنهم الولد الضال ونري العكس تمامًا أيضا حين تسخر لإسرائيل جميع أجهزة الدولة ووسائل الأعلام لتبرير أفعالها وإعطائها صفة المشروعية.

وعلى الرغم من العناصر السلبية الآتية :

١- أن هذه الحركة الصهيونية التي استوحت أيديولوجيتها من أجداد لها عاشوا من قبل ظهورها وشوهوا رسالات بعض أنبياء الله فتقولوا على هؤلاء الأنبياء الأصفياء الأخيار وألصقوا التهم الباطلة ضدهم وضد رسالتهم السماوية وأدوارهم وتاريخهم، ومن هؤلاء الأنبياء والرسل كان كل من إسحق، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، داود وسليمان عليهم السلام أجمعين، وقتلوا بعضهم الآخر، وقد ذاق فريق كبير من الأنبياء من هول هذه الجريمة على طول تاريخهم خاصة في الفترة التي أعقبت رحيل نبيهم الكريم " موسى عليه السلام ".. ومما يثير الدهشة أن هؤلاء الأنبياء كانوا من قوم بني إسرائيل أنفسهم ،خاصة عيسى ابن مريم عليه السلام الذي ناله وأمه الأذى الكثير، بل وتعداه من الجانب المعنوي إلى الجانب المادي أيضاً. كذلك لم يسلم من تلك الجرائم المعنوية بعض الأنبياء من غير بني إسرائيل مثل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. ولاشك أن الرجوع إلى سيرة هؤلاء الأنبياء بالتفصيل وفق ما جاء بالكتب المقدسة وكتب التفاسير والتاريخ الديني سوف يوضح لنا ذلك بشكل كبير .

٢- أن العقيدة الصهيونية[٢٣] (أيديولوجية) فاشية تخلق القداسة على الأرض (أرض الميعاد) والشعب (الشعب المختار) وإقصاء الآخرين (الصراع

مع الأغيار والعقلية الجيتوية) ومثل هذه الأيديولوجيات تتسم بالجمود والانغلاق.

٣- ورغم حدوث تطورات عميقة داخل الدولة الصهيونية وخارجها، من أهمها ظهور النظام العالمي الجديد، وتصاعد معدلات العلمنة بين يهود العالم،إلا أن التجمع الصهيوني ونخبته الحاكمة مستمرون في استخدام نفس الخطاب الصهيوني القديم والمقولات القديمة للثقافة السياسية الصهيونية.

٤- تأسيس دولة على أسس أيديولوجية دينية ذات طابع أسطوري، وهي أيديولوجية لا تستطيع أن تعيش إلا بحماية قوة عسكرية غاشمة.

٥- إذكاء الروح العنصرية بين يهود النخبة المنحدرين من أصول أوروبية ويهود الدرجة الثانية المنحدرين من أصول شرقية وإفريقية.

٦- الطابع العسكري التوسعي للدولة اليهودية.

٧- أن الفكر الصهيوني فكر اختزالي يتجاهل معطيات الواقع سواء كان الأمر يتعلق بواقع أعضاء الجمعيات اليهودية في العالم أم واقع الفلسطينيين العرب.

٨- أن جذور ودوافع العدوانية لدى الشخصية الصهيونية الإسرائيلية تجاه الجنس البشري تتضح في استلهام الروح العدائية في التراث الديني اليهودي ونصوص العهد القديم والتلمود وما فيها من أسفار محرفة تعلن العداء للإنسانية، وأن الصهيونية كفكر وسلوك موبوءة بالتعصب العنصري والديني واضطهاد الشعوب والتنكيل بها، بل إنها ترى أن ذلك أمر واجب في سبيل تحقيق دولتهم، وأن هناك مجموعة من الأفكار المشتركة بين النازية والصهيونية

كفكرة النقاء العرقي والقومية العضوية (الشعب المختار) وتقديس الدولة، واستخدام النازيين والصهاينة الخطاب الدارويني المبني على تمجيد القوة.

وعلى الرغم من كل ذلك الفكر الضلالي الذي يهدد كل أيديولوجية بالفشل الذريع، إلا أن كل تلك المثالب لا تنفي أن الصهيونية قد حققت بمثابرتها على الباطل عدداً من النجاحات في ثلاثة أمور جوهرية.

فقد نجحت الصهيونية في:

أولاً: تحويل روح التكتل الطائفي الديني للأقليات اليهودية إلى أيديولوجية سياسية مستترة بالدين تهدف إلى تأسيس "وطن قومي" ودولة يهودية، وبذلك تخرج اليهود من المرحلة الطائفية القابعة داخل أحياء "الجيتو" إلى العالمية السياسية والاستعمارية.

www.books4all.net

ثانياً: نجحت الصهيونية في التحام مصالح البرجوازية اليهودية بالبرجوازية الأوروبية، وأوهمت أيضاً الليبرالية الجديدة، وبخاصة النخب المثقفة في البلدان الأوروبية بأنها حركة تجديدية ذات أيديولوجية علمانية مستقلة .

ثالثاً: نجحت الصهيونية في تأسيس الدولة اليهودية وتقديمها للرأي العام الغربي على أنها امتداد للمشروع الغربي في الشرق الأوسط، وأنها تمثل واجهة الديموقراطية والتقدم في محيط متخلف اقتصادياً وتقنياً وتحكمه نظم استبدادية !

أما بالنسبة لنا فإننا نجد أنفسنا في نهاية الأمر في مواجهة مع قوة عاتية هي الصهيونية استطاعت أن ترسم لنفسها أيديولوجية خاصة بها وأن تطورها مع مرور الأيام وأن تصل إلى ماهي عليه الآن بمثابرتها على الباطل، بينما نفشل نحن رغم سمو مبادئنا بسبب خوائنا الأيديولوجي وضيق صدرنا واستعجالنا في جني النتائج. فما هي قصة ذلك الفراغ الأيديولوجي ؟

على الرغم من أن أمة العرب أمة اتسمت بمواصفات الأمة القومية وعمتها مفاهيم مشتركة وتكلمت قبائلها وشعوبها بلغة واحدة وتجمع معظم أبنائها تحت راية الإسلام، واتحدت دولها عمليا أحياناً ونظرياً في أحيان أخرى وتناسبت أسرها مع بعضها البعض من مشرق العالم العربي إلى مغربه إلا أن الظروف التاريخية التي أوردناها سابقاً حالت دون صياغة أيديولوجية يتفق عليها العرب، وذلك لانشغال كل مجموعة عربية بتحديات خارجية وداخلية لاقبل لهم بها، فنتج عن ذلك فوضى عارمة وتشتت في الرؤى والطموحات، ولم تهدأ لهم هادئة تمكنهم من الإجماع على أيديولوجية واحدة ذات أهداف مشتركة تجمع بينهم، وبالتالي فإن معضلة أبناء هذه الأمة هي أنهم غير قادرين على بلورة ردود الفعل الموحدة لأن مآسيهم مختلفة ومصائبهم متعددة مما أدى إلى تناثر أهدافهم وربما إلى تناقضها، وهو الأمر الذى أدخلهم في معارك فعلية أو لفظية أو سياسية مع غيرهم ومع أنفسهم، وأدى بهم إلى انهيار تدريجي لا يعلم نهايته إلا الله سبحانه وتعالى .

لقد كانت الفترة التي جمعت العرب هي مرحلة بداية الدعوة الإسلامية، لأن أول ما أوصى به رسولنا الكريم ﷺ هو " التوحد حول المبادئ السامية التي جاء بها الدين الإسلامي "، وأخر ما أوصى به قوله ﷺ" لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " . فأصبح العرب ومن معهم من المسلمين

يلتفون حول مفهوم أيديولوجي واحد وصفه النبي ﷺ بقوله " لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها .." وفي تلك المرحلة من التاريخ، أخذت كل الفوارق بين ما هو عربي وغير عربي ومسلم وغير مسلم تنصهر تدريجيًا في بوتقة واحدة هي الإسلام، فمن لم يكن مسلماً بدينه كان مسلماً بثقافته.

ولكن ماهو حاصل الآن أن الدول العربية أخذت بالانقسام على نفسها بحيث أصبح بعضها يقترب من الإسلام وبعضها الآخر يبتعد عنه، إلى أن وصلت كل دولة إلى تكوين أيديولوجية إقليمية أو دولية خاصة بها، مما أدى إلى اختفاء الأيديولوجية الموحدة بين العرب. فنجد بعضهم قد فرضت عليه ظروفه أن يتأقلم مع المستجدات الدولية مكرها،بينما نرى بعضهم الآخر يبتعد عن الدين متحمساً لأفكار أخرى (شيوعية - ماسونية - علمانية) أو غيرها، وأبقى فقط على المظهر الشكلي للإسلام ، ونرى أنظمة حكم أخرى لم تكتف بالابتعاد عن الإسلام فحسب، بل أجبرت شعوبها على اعتناق تلك الأيديولوجيات المستوردة.

ووجدت الأقليات العربية غير الإسلامية والأقليات الإسلامية غير العربية الموجودة في البلدان العربية نفسها أمام ضغوطات ومغريات لسلخها عن محيطها العربي والإسلامي مما أحدث عند بعضها حالة من الارتباك والتذبذب الذي أدى إلى مزيد من الانقسامات حتى بين تلك الأقليات بين أكثرية متمسكة بانتمائها المتوارث وأقلية مستجيبة لمغريات الإنسلاخ المجهولة.

ومن الضروري أن نوضح أن أي مجموعة تتسابق مع غيرها في ركب الحضارة تسعى لتحديد أيديولوجية معينة تؤمن بها وتلتف حولها ويدخل في عضويتها من شاء أن يدخل فيكون له مالها وعليه ما عليها دون إكراه، ويخرج منها من أراد أن يخرج دون استجداء.

أما واقع حالنا كأمة عربية فإننا نعيش بلا أيديولوجية نلتقي أو نفترق عليها، وأصبح طموحنا هو الصراع مع المستجدات اليومية من أجل البقاء كأفراد أو كجماعات أو حتى كدول، وأما الحكماء من حكام ومفكرين فأصبحت مهمتهم مناشدة غيرهم من الحكام والمفكرين المزهوين بسلطانهم وعلمهم ألا يخرقوا سفينتنا التي نركبها جميعاً بأي ثمن، وأما جامعة الدول العربية التي كان من المفترض أن تكون محل تشاورهم واتخاذ قراراتهم،فقد تأثرت بهذه التناقضات والاختلافات فأصبحت أقرب ما تكون إلى الرمز منها إلى الموئل .

ولابد لنا هنا أن نذكر أن الذين يستهدفون العرب كدول أو حكام أو شعوب يلجأن إلى التعميم فيتهمون جميع الأنظمة العربية أو الحكام العرب أو الدول العربية أو العرب بلا استثناء بالتخلف وبأنهم المتسببون فيما يحيق بهم من نكبات بما في ذلك من ظلم يقتضي الإنصاف توضيحه وهو أن هذا التعميم الفج يساوي بين حكام أنصفوا شعوبهم وبين أخرين ظلموهم، وبين من بددوا ثروات أوطانهم، وبين من أحسنوا تدبيرها، وبين أنظمة الحكم الديمقراطية والأخرى القمعية، وبين شعوب عربية ناهضة وأخرى غارقة في السطحية أو الترف، ولكن من الواضح أن هذا التعميم المتعمد مقصود منه الإساءة إلى الجميع، فليس المهم هو الإنصاف بل المهم هو زعزعة ثقة أبناء الأمة العربية بكل حكامهم أو بأنفسهم أو بإخوانهم ومحبيهم .

وقد مر بنا كيف اختلطت مفاهيم إعادة بناء الذات عند عرب اليوم بسبب الأحداث الجسام التي مروا بها خلال القرنين المنصرمين فقد عاشوا مرحلة انهيار الدولة العثمانية، وما تلا تلك المرحلة من رغبة في الاستقلال، ثم عاشوا مرحلة الوعود الكاذبة التي وعدهم إياها الغرب بالاستقلال وتكوين دولة أو أكثر ينتمون إليها ويحققون في ظلها ما يصبون إليه من طموحات،ثم مكابدتهم

لمأساة تقسيم دولهم إلى دويلات متعددة بما يخدم مصالح الدول المستعمرة وإنشاء دولة إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني، وأخيراً خيبة أملهم في الانقلابات العسكرية التي طرحت شعارات الحرية والعدالة والمساواة ليكتشفوا بعدها أن محرك تلك الانقلابات والثورات هم مجموعة من المنتفعين وأن كل هذه الشعارات البراقة كانت خدعة توارى خلفها أولئك الثوريون والانقلابيون ليسيطروا على الحكم إلى أبد الآبدين، ولينهبوا ثروات أوطانهم ويعلقوا على المشانق هامات من يعارضهم .

وقد تبين من خلال الوثائق التي بدأت تنشر حديثاً، أن معظم هذه الثورات كانت بتدبير من الدول الاستعمارية التي لم تستطع أن تحافظ على وجودها العسكري في المنطقة العربية وغيرها من المناطق في العالم، فلجأت إلى النخب العسكرية لتحكم بالنيابة عنها، وحينما ضاقت تلك الدول الاستعمارية ذرعاً بتلك النخب العسكرية أخذت تروج لشعارات جديدة سامية مثل الحرية والديمقراطية والمساواة والعدل، إلا أن النخب العسكرية القديمة طورت هي الأخرى نفسها فلجأت إلى الانتخابات التي يطالب بها المجتمع الدولى لتقنعه وتقنع شعوبها بأنها ديمقراطية، وكانت تلك النخب من الذكاء بمكان بحيث استنسخت كل ما يمكن أن يبدوا انتخابات نزيهة إلا شيئاً واحدًا فقط وهو ألا تكون نتيجة الانتخابات لغير صالحها .

وكانت النتيجة المأساوية أن الشارع العربي الحديث بدا مفككاً على نفسه ولم يعد هناك شعور بالانتماء أو الولاء لبعضه البعض كالسابق، و حل محله شعور بالانغلاق الطائفي والعشائري والأيديولوجي والحقد والكراهية والعداء والتهكم والسخرية واستهزاء الأخ بأخيه، وخير دليل على ذلك ما تعرضه المواقع الالكترونية والفضائية من تعصب أعمى للأنا الفردية والاجتماعية

والحدودية، ومؤامرات العداء المصطنع بين فئات المجتمع المختلفة وبين الجيل القديم والجيل الجديد وبين الرجل والمرأة وبين الدين والسياسة وبين الروح الرياضية والتعصب الأعمى وبين اللهو البريء والإدمان على متابعة الراقصين والراقصات وبين محاولات لم شعثنا ومؤامرات تفتيت شملنا.

وهكذا انقسم العرب على أنفسهم أيديولوجياً وفكرياً إلى قوميين وإسلاميين ويساريين وعلمانيين وشعوبيين وتقدميين ورجعيين وما إلى ذلك من تقسيمات مزقتهم وفرقتهم إلى أن أصبحوا كالأخوة الأعداء، والغريب أن تجد اتجاهاً فكريا ينادي بالديمقراطية والحرية إذا كان نظام الحكم ضد توجهاته، أما إذا تغير ذلك النظام وإتفق مع هواه فإنك تجده من أشد الناس ضراوة في محاربة المخالفين له بالرأي، ومثال ذلك ما تناقلته الصحافة عن صحيفة أسبوعية عربية تقول المصادر الصحفية عن رئيس تحريرها بأنه صاحب توجهات ماركسية، إذ جاء في الصحيفة مقالاً هدفه تأييد الحكومة في توجهاتها ضد لبس الحجاب،وإلى هنا فالأمر طبيعي بالنسبة لصحيفة موالية للحكومة في توجهها سواء قبلناه أم رفضناه، ولكن ماهو غير طبيعي أن المقال تمادى في الطعن والتشنيع ليثبت أن الأطروحات المنادية بالحرية واحترام الرأي الآخر هي مجرد شعارات استهلاكية يتساوى فيها المتزمتون والليبراليون، إذ اعتبرت الصحيفة في مقالها الذي لم يكن يحمل توقيعاً أن الحجاب دخيل على الإسلام وزي المومسات والعاهرات والوثنيين والعبيد داعياً الناس للتخلي عنه لأنه مصدر للأوساخ.

وعلى مر التاريخ، بذل المخلصون من أبناء هذه الأمة حكامًا ومحكومين جهودا جبارة في سبيل وحدة العرب ولإنقاذ أمتهم مما هي فيه من محن حتى

أصبح الحرص الشديد على جمع كل العرب وحكامهم تحت كلمة واحدة بحد ذاته عنصر ضعف يقوض جهدهم المنشود، فلم يبق أمامهم إلا التخلي عن شعارات الوحدة الشاملة وأصبح لزاماً على كل زعامة عربية مخلصة أو مجموعة زعامات منهم أن يصيغوا أيديولوجية يرون فيها الخلاص لهم ولأمتهم العربية مما هي فيه وذلك بالتشاور مع المخلصين من أبنائها ثم عرض تلك الأيديولوجية على من يتفق معهم من الزعماء العرب وممن يتوسم فيهم الإخلاص لأمتهم، فإن اتفقوا معهم كان بها، وإلا فإن عليهم المضي بتطبيق تلك الأيديولوجية السامية بالوسائل التي يرونها مناسبة وبقدر إمكانيتهم، فإنتظار توافق العرب مجتمعين على أيديولوجية واحدة هو الذي أضاع الفرص والجهد وهو نقطة الضعف التي راهن عليها المغرضون لإجهاض أي تحرك إيجابي لإنقاذ الأمة مما هي فيه، وإذا كانت هناك أيديولوجيات عنصرية كالتي ضربنا أمثلة لها في الصفحات السابقة قد نجحت بصورة أو بأخرى، فما بالنا نتردد في صياغة أيديولوجية سامية لن تعجز عن تحقيق نجاحات في بيئة محدودة وهي التي نجحت منذ بزوغ فجر الإسلام في استقطاب القلوب المتلهفة للحق ودحض الباطل، ولا بد للأيديولوجية العربية المقترحة من شروط أساسية منها :

أن لا ينفرد برسمها شخص واحد مهما علا شأنه، وأن لا تكون مفروضة من أشخاص أو أحزاب يسوقون أبناء الأمة العربية إليها ليجبروهم على تبنيها بالإرهاب الفكري أو ما سواه من أشكال الإرهاب المادي والمعنوي، بل يجب أن تكون مشروعاً مفتوحاً يشارك فيه كل مجتهد مخلص على حدٍ سواء، أو أن تكون ناتجة عن بحوث مشتركة حكومية أو أهلية .

وأن تقوم دولة عربية أو أكثر بتبني ودعم مثل هذا المشروع القابل للتعديل وفق مقتضيات الظروف الطارئة، فإن تقاعست الدول القادرة على ذلك وجب

على رجال الأعمال وذوي النفوذ التصدي لهذا المشروع والدفع باتجاه تحقيقه بقدر استطاعتهم.

وأن يتم التخطيط لتلك الأيديولوجية بصبر ومثابرة في كل مرحلة من مراحل نموها ونشأتها والمضي فيها، فمما يعاب علينا أننا نخطط لأميال بينما يخطط غيرنا لأجيال. لم يلجأ أعداؤنا وهم يكيدون لنا ويتآمرون علينا إلى مجرد كراهيتهم لنا أو محاولتهم السيطرة علينا، بل إنهم أبعد نظراً من ذلك حيث خططوا لسنين طوال وواجهوا الانتكاسات في فترات أمجادنا المؤقتة، وتشاغلوا عنا إلى أن تخمد نارنا، وتظاهروا بالاستسلام إلى أن تذهب ريحنا، وإذا ما تأملنا في الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الصبر بأنواعه لوجدنا فيها المعاني الكثيرة، ولا نقصد هنا الصبر على المكاره فحسب، فالصبر عليها أصبح بالنسبة للإنسان العربي والمسلم عادة يومية، ولكن المقصود هو الصبر الأيديولوجي البعيد عن الزفرات اليائسة التي تدفع البعض منا إلى القيام بأفعال أو ردود أفعال فردية أو جماعية يائسة تكون نتيجتها أنها تدمر أكثر مما تعمر، إنه صبر المفكرين الواعين والقادة المخلصين والمتأملين الصبورين الذين يزرعون ليحصد أبناؤهم أو أحفادهم، وذلك هو قمة الإيثار.

أما تلك الأيديولوجية فعناصرها مقترحة ولا يجب الإصرارعلى تبنيها أو رفضها دون تبصر، وتتمثل في أنها :

أيديولوجية تفتخر بدينها الإسلامي وبتعاليمه السامية وبمنهجه العلمي والمنطقي، ولكنها لاتؤمن بالجمود العلمي و بأن حل مشاكلنا يتمثل فى إعادة الزمن إلى الوراء والتمسك بأفكار وأعمال ثبت خطؤها، وتجاهل الواقع الجديد الذي يفرض نفسه على العرب، شاؤا ذلك أم أبوا.

أيديولوجية تؤمن بالعروبة كإنتماء دون استعلاء على الغير أو إحتقار للذات، تحترم الغرب والشرق وكل من طور نظمه الإدارية بما يكفل كرامة مواطنيه، وطور نظمه المالية والإدارية بما من شأنه الحفاظ على الأموال العامة والممتلكات، وتحترم تفوق الغرب والشرق العلمي والتكنولوجي فهم شركاء معنا في التاريخ الإنساني ولهم مآثر كثيرة، وأضافوا ما لا يمكن نكرانه من إنجازات مشكورة لسنا ومازلنا نلمس آثارها في ميادين العلم والطب وغيرهما من مجالات العلوم، ولكن تلك الأيديولوجية لاتحقر في نفس الوقت من شأننا بسبب تكالب الدنيا بقضها وقضيضها علينا منذ قرون غابرة ولاتغفل ما أسهم به أجدادنا وآباؤنا للبشرية ولا تيأس من أن يقدم أبناؤنا في قادم الأيام أو العقود مانحن عاجزون عن المساهمة به في حاضرنا .

أيديولوجية لا تلجأ إلى مواقف متطرفة، تقدم للغير ذريعة للتدخل العسكري أو السياسي، وهي أيديولوجية مجردة من شوائب الحقد الطائفي والعرقي والمذهبي والديني ومتمسكة بالتسامح.

أيديولوجية لا تقوم على الإكتفاء برفض ما هو سطروح بحناجر مدوية وكتابات مشحونة بالعاطفة الخالية من أي منطق أو تفكير عقلاني واقعي يقوم على حسابات دقيقة لما بين أيدينا وما لدي الآخرين من قدرات، وعلى فهم ودراية كاملة بمتطلبات مرحلة لا تقبل الأوهام ، فمن دون ذلك سيزداد العرب غربة فى بلادهم، وتصبح أطروحاتهم عن الأمة الواحدة الممتدة من الخليج إلى المحيط مجرد أضغاث أحلام، ومن دون ذلك سنخسر هذه البقعة الجغرافية من العالم، التى تمثل مهبط الرسالات السماوية ومهد الحضارات الإنسانية، لأن الإخلاص وحده لا يكفى بل يجب أن يقترن بالحكمة التي تحوله من مجرد

أماني عاطفية إلى تصورات قابلة للتطبيق وقادرة على حل المشكلات الطارئة والمزمنة و الانتقال بنا من التخلف إلى التقدم.

أيديولوجية تستفيد من أخطاء الماضي وتتطلع إلى المستقبل بثقة، وهي أيديولوجية حاملة فى رحمها مفكرين نفضوا عن أنفسهم غبار الجمود ولكنهم رفضوا مسخ هويتنا وخصوصيتنا، فهي إستراتيجية تعبر عن الماضي والحاضر والمستقبل وتستوعب ألوان الفكر والثقافة.

أيديولوجية لا ترمي كل من يخالفها الرأي بالخيانة والعمالة والتآمر، بل تتوقف أمام كل موضوع لتقييمه إذ أنه من المؤكد أنه يوجد من بين مخالفيها من العرب من هم لايقلون إخلاصًا لهذا الوطن عن من يتبناها .

أيديولوجية تؤمن بأن الديمقراطية المرشدة هي أولى علامات النجاح، وعلى إمكانية استعادة العرب لمكانتهم المفقودة فى النظام الدولي لأنها ستجعل القرار فى يد الشعوب وليس بزعماء يدعون الإلهام أو فى أيدي سلطات مستبدة أو حكام شموليين باعوا السيادة الوطنية والاستقلال من أجل البقاء فى كراسي الحكم أطول فترة ممكنة لخدمة أنفسهم على حساب مقدرات الوطن وثرواته، ودفعوا بالعقول العربية النابهة إلى نزيف منظم أو خمول مزمن، ولاهي ديموقراطية الغوغاء الذين وجدوا ضالتهم في الديموقراطية فحولوها إلى فوضى شعبية تنساق وراء الشعارات، وليس لديها ميزان تحدد به الحدود لتقف عندها إذا ما تعارضت أولوياتها مع أولويات دولها، ولاهي ديموقراطية الأنانيين الذين قطعوا أوصال وطنهم بسيوف الطائفية والمذهبية والتمسك بكل ما من شأنه تمييزهم تمييزاً سلبياً عن إخوانهم ومواطنيهم أو حتى عن بقية البشر.

أيديولوجية لا يقتصر مفهومها عن الوحدة على أنها الوحدة السياسية فحسب، ولكنها تنظر إليها على أنها وحدة تكاملية مبرمجة ومدروسة بشكل علمي وعملي، وقد يكون للوحدة السياسية الشاملة أو الجزئية حاضراً أو مستقبلاً نصيب فيها أو قد لا يكون، إذ أن الأمر يعتمد على الحاجة إليها لا إلى التطلع العاطفي لها، ولنا في الوحدة الأوروبية قدوة وهي التي فكرت في الوحدة الاقتصادية والفكرية عن طريق المضي قدماً فى الإصلاح السياسي والاقتصادي والثقافي، ولم تحدث نفسها في إلغاء بعضها البعض أو الاندماج السياسي المفروض.

منتدى سور الأزبكية www.books4all.net

الحواشي المرجعية

(١) عبد الوهاب المسيرى . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣ مج١، ص١٧٧

(٢) هتلر، أدولف . كفاحي : قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته. عرض وتحليل فريد الفالوجي . القاهرة : دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥ . ص١٦٥، ٢٩

(٣) عبد الوهاب المسيرى . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. مج١، ص١٨٦ .

(٤) هتلر، أدولف . كفاحي. ص١٣٧

(٥) محمد سيد طنطاوي . بنو إسرائيل في القرآن والسنة . ص ١٠ .

(٦) علي إبراهيم . وأخيراً نجرؤ على الكلام . ص ٥٣ .

(٧) نفس المصدر . ص٤٢

(٨) محمد خليفة التونسي . الخطر اليهودي . الكويت: ذات السلاسل. ص٦٠

(٩) محمد سيد طنطاوي . مصدر سابق . ص٨٠ .

(١٠) علي إبراهيم . وأخيراً نجرؤ على الكلام . ص٤٧ .

(١١) الموسوعة العربية العالمية. إشراف محمد شفيق غربال . ج٢، ١٩٨٥ .

(١٢) عجاج نويهض . بروتوكلات حكماء صهيون . ط٤ . بيروت : دار الإستقلال، ١٩٩٦ . ص٢١٢ .

(١٣) فورد، هنرى . اليهودى العالمى . ص١٨ .

(١٤) نفس المصدر . ص ١١٩ .

(١٥) نفس المصدر . ص ١٢٥

(١٦) هاليفـي، إيــلان، ألفـريد ليلينتـال . إســرائيل من الإرهـاب إلى مـجـزرة الدولة . ص١٢٢، ص ١٢٦

(١٧) نفس المصدر . ص١٢٨ .

(١٨) نفس المصدر . ص٨٧، ص ٨٨ .

(١٩) نفس المصدر . ص٩٠ .

(٢٠) ياسر حسين. يهود ضد إسرائيل . الجيزة: مركز الحضارة العربية: ١٩٩٧ . ص١٧

(٢١) هاليفى، إيلان . مصدر سابق . ص ١٣٤

(٢٢) نفس المصدر . ص١٢٢

(٢٣) عبد الوهاب المسيرى . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. مج٢، ص ٢٣٢

منتدى سور الأزبكية www.books4all.net

الخاتمة

هذا هو كتاب " المؤامرات: حقائق أم نظريات؟ " بين أيديكم الكريمة، مررنا من خلاله على الآراء المختلفة حول نظرية المؤامرة واستعرضنا ألواناً مختلفة منها وتطرقنا إلى أنواعها ومنهجها، ثم عرجنا على المؤامرات التى استهدفتنا وكذلك سبل الوقاية منها وذلك من خلال تبنى إستراتيجية جديدة بفكر نير وبصبر وثبات. ولنا أن نقرأ هذا الكتاب للتمعن، وقبول ما جاء به أو ببعضه أو حتى رفضه. فليس المهم كل ذلك ولكن المهم هو أن يشعر كل منا بالخطر الكبير الذي يحيق بنا إن نحن قبلنا منطق المؤامرة أو رفضناه دون البحث الجاد الذي لايمكن أن يتأتى عن طريق التلقين والترديد الذي يقصد البعض من ورائه أن يوهمنا بأنه أعفانا من دروب البحث حتى يريحنا من عنائه ولكنه في الواقع يسعى إلى تخديرنا حتى لانستفيق من سباتنا فننتبه إلى مايحاك ضدنا من مكائد ودسائس ومؤامرات.

وكلي أمل أن تولي المعاهد العلمية والجامعات العربية هذا الموضوع أهمية بالغة فتجعل منه مادة علمية يدرسها الطلاب ويتناولها الباحثون فى أطروحاتهم ودراساتهم

وربما يسعنا الأمر لنطلق على هذا الموضوع اسم "علم المؤامرات"

والله ولي التوفيق

قائمــــة المصــــادر

(١) إبراهيم محمود. ***أئمة وسحرة : البحث عن مسيلمة الكذاب وعبد الله إبن سبأ في التاريخ.*** لندن . رياض الريس، ١٩٩٦ . ٢٦١ ص

(٢) أبو اليسر فرح . ***تاريخ مصر فى عصري البطالمة والرومان*** . القاهرة : عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٢ .

(٣) أحمد أنور زهران. ***الحرب المحدودة والحرب الشاملة.*** القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٨٩ . ١٧٥ص .

(٤) أحمد بدر . ***الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية*** . الكويت : دار العلم، ٣٢٤ ص .

(٥) أحمد حسن صبحي . ***المسلمون والمسيحيون تحت الحصار اليهودي.*** القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢ . ٢٥٣ص .

(٦) أحمد شلبي . ***اليهودية: مقارنة الأديان. ط١*** . القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣ . ٣٧٧ص.

(٧) أسعد الحمراني ***الإسلام بين المذاهب والأديان. ط٢*** . بيروت . دار النفائس، ١٩٩٢ . ١٥٢ص .

(٨) إسماعيل أحمد ياغي . ***تاريخ العالم العربي المعاصر*** . الرياض : مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠ . ٤٨٧ ص.

(٩) إسماعيل علي أحمد ياغي . ***الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث . ط٢*** . الرياض : مكتبة العبيكان، ١٩٩٨ . ٣٢٨ص .

(١٠) أشرف راضى . ***المؤامرة الأمريكية لاحتلال الكويت بين الحقيقة والخيال*** . القاهرة : الزهراء للإعلام العربى . ١٩٩٢ . ٢٩٤ ص.

(١١) ***الإشاعة والحرب النفسية*** . المركز العربي للدراسات الأمنية . الرياض . ٣٢٢ ص .

(١٢) ***أعمال ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي***. تحرير سعد لبيب . القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٩٦ . ٣٢٠ص .

(١٣) صحيفة لوياريزيان ليبريه . ألكسندر، فيليب . ***الانحياز لإسرائيل***..

٢٩ فبراير ١٩٨٨

(١٤) أمرنجر،تشارلز. ***المطرقة والدرع: المخابرات المركزية الأمريكية***. تعريب غانم زين الدين. بيروت: دار الحسام، ١٩٩٢ . ٤٠٨ص .

(١٥) أمير يكن. ***العصبية القبلية والإمام المظلوم. ط٣*** . دمشق : دار المعرفة، ١٩٩٢ . ١٦٤ص .

(١٦) أندرو، كريستوفر، أوليغ غورديسكي. ***الاستخبارات السوفياتية في العالم (١٩١٧-١٩٩٠)*** . بيروت: دار الحقيقة، ١٩٩١ . ٧٥١ص .

(١٧) ***الأهرام*** ١٠ أكتوبر ٢٠٠٥ . ص ١٧ .

(١٨) بروكلمان . كارل . ***تاريخ الشعوب الإسلامية*** . ترجمة نبيه فارس، منير البعلبكي . ط١١ . بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٨ . ٩٠٣ ص .

(١٩) بطرس غالي.***الإستراتيجية والسياسة الدولية***.ا لقاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧ . ٢٩٥ص

(٢٠) بلوش، جوناثان، باترك فيتز جيرالد . ***الاستخبارات البريطانية وعملياتها السرية في أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط*** . ترجمة عفيف الرزاز. بيروت. مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٧، ٣٤٦ ص .

(٢١) ***تاريخ الحضارات العام***. إشراف كروزيه، موريس . ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، بيروت . عويدات للنشر . ٢٠٠٣ . ٧ مج . (مج ٧ : العهد المعاصر) .

(٢٢) جارودي، روجيه . ***الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية*** . تقديم محمد حسنين هيكل . ترجمة محمد هشام . القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨ . ٣٤٣ ص .

(٢٣) جمال بدوي. ***الطغاة والبغاة***. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٦ . ١٥١ص .

(٢٤) حمد سعيد الموعد. ***حرب المياه في الشرق الأوسط***. دمشق : دار كنعان، ١٩٩٠ . ٢٢٧ص .

(٢٥) خير الدين الزركلي . الإعلام : ***قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء*** .... ***ط١٣*** .بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٨ . ٧مج .

(٢٦) دورندان، غي . ***الدعاية والدعاية السياسية***. ترجمة رالف رزق الله . د.م المؤسسة الجامعية، ١٩٨٠ . ٣٧٣ ص .

(٢٧) ذياب البداينة. ***الأمن وحرب المعلومات***. عمان: دار الشروق. ٢٠٠٢ . ٤٩٠ص.

(٢٨) ***ديوان الإمام على بن أبى طالب***. تحقيق رحاب خضر عكاوى . بيروت : دار الفكر العربى، ١٩٩٢ . ١٦٠ص.

(٢٩) ***الرأي العام*** ع ١٣٢٥٣ / ٣ أكتوبر ٢٠٠٣ . ص٣٣ .

(٣٠) ***الرأي العام*** ع ١٣٢٨٠ / ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣ . ص ٣٥ .

(٣١) رياض نجيب الريس . ***رياح الجنوب : اليمن ودوره فى الجزيرة العربية١٩٩٠- ١٩٩٧*** . ط٢ . بيروت: المؤلف، ٢٠٠٢ . ٤٦٤ص .

(٣٢) زهدي الفاتح . ***المسلمون والحرب الرابعة . ط١*** . (د.م.، د.ن.)، ١٩٦٩ ٢٤٦ ص.

(٣٣) سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث. ***أطلس تاريخ الأنبياء والرسل :*** الرياض . مكتبة العبيكان، ٢٠٠١ . ١٧٥ ص .

(٣٤) سامي نجيب . ***أفاعي العلمانية وأحاديث الإفك*** . القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٩٩٣ . ٢٠٥ ص .

(٣٥) سعيد الجزائري. ***حرب المخابرات في العالم*** . بيروت : دار الجيل، ٢٠٠٠ . ٣٧٥ص .

(٣٦) سعيد سراج . ***الرأي العام: مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة***. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب . ٢٧٩ ص .

(٣٧) سيد قطب . ***الإسلام ومشكلات الحضارة*** . . ط ١٢ . القاهرة : دار الشروق، ١٩٩٣ ١٩٩ ص .

(٣٨) السيد ياسين . ***الأسطورة الصهيونية والانتفاضة الفلسطينية*** . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١ . ٣٢٠ص .

(٣٩) شبكة المشكاة الإسلامية . ***الموقع الإلكترونى . استشهاد الإمام على رضى الله عنه.***

(٤٠) ***شؤون الأوسط*** . "***حرب الموز***" . ع ٨٢ . أبريل ١٩٩٩ ص ٧٩ .

(٤١) شوجر، بيتر . ***أوروبا العثمانية (٣٥٤ -- ١٨٠٤)*** القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٩٨ . ٣٥٢ ص.

(٤٢) صفي الرحمن المباركفوري . ***الرحيق المختوم : بحث في السيرة النبوية*** . بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩ . ٥١٢ ص .

(٤٣) صلاح أبو السعود . ***المرجع الكامل في الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية منذ سقيفة بني ساعدة إلى اليوم . ط١*** . القاهرة : مكتبة النافذة . ٢٠٠٥ . ٢١٥ص .

(٤٤) صلاح سالم . ***حروب المنطقة العربية.*** القاهرة: دار الشروق. ٢٠٠١ . ٣٢٥ص .

(٤٥) صلاح منتصر. ***الذين غيروا القرن العشرين.*** القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠٠ . ١٩٨ص .

(٤٦) صلاح نصر . ***الحرب النفسية : معركة الكلمة والمعتقد*** . ط٢ . [د.م.]: الوطن العربي للنشر، ١٩٨٨ . ٤٦٧ص .

(٤٧) عادل ثابت. ***فاروق الأول :الملك الذي غدر به الجميع*** . ترجمة محمد مصطفى غنيم . ط٥ . القاهرة: أخبار اليوم، ١٩٩٠ . ٢٨٧ ص .

(٤٨) عايش محمود زيتون . ***علم حياة الإنسان : بيولوجيا الإنسان*** . القاهرة : دار الشروق . ١٩٩٦ . ٢٩٣ص .

(٤٩) عبد الخالق عبد الله . ***العالم المعاصر والصراعات الدولية.*** الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٩ . ٢٦٨ص .

(٥٠) عبد الرحمن الرافعي . ***في أعقاب الثورة المصرية*** . ط٣ . القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٨ . ٣ جـ .

(٥١) عبد الستار فتح الله سعيد. ***الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.*** ط٥ . المنصورة : دار الوفاء، ١٩٨٩ . ١٧٢ص .

(٥٢) عبد العزيز بلقزيز. ***الأمن القومي العربي.*** القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩ . ١٤٦ص

(٥٣) عبد المنعم الحفني . **موسوعة القرآن العظيم** . ط١ . القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣ . ٢جـ .

(٥٤) عبد الهادى البكار . ***أسرار سياسية عربية.*** ١٩٨٣ . عبد الله خلف . صحيفة الوطن الكويتية . ١١ يوليو ٢٠٠٥ .

(٥٥) عبد الوهاب الكيالي . ***الموسوعة السياسية.*** ط١ . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١ . ٢جـ .

(٥٦) عبد الوهاب المسيرى . ***الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ.*** القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٧

(٥٧) عبد الوهاب المسيرى . ***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية.*** القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣ . ٢مج.

(٥٨) عثمان بن محمد الخميس . ***حقبة من التاريخ.*** الكويت : المؤلف، ٢٠٠٣ . ١٩١ص.

(٥٩) عجاج نويهض . ***بروتوكولات حكماء صهيون . مجموعة الأجزاء الأربعة*** . ط ٤ . بيروت : دار الاستقلال، ١٩٩٦ . ٦٤٤ ص .

(٦٠) علاء الدين المدرس . ***المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام*** . دمشق : دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥ . ٢٠٠ص .

(٦١) ***العلاقات العربية الإيرانية*** . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة : المعهد، ١٩٩٣ . ٤٣٨ ص .

(٦٢) علي إبراهيم . وأخيراً نجرؤ على الكلام : الإستراتيجية والأساطير الصهيونية . القاهرة : مؤسسة المسيرة العربية، ١٩٩٨ . ٥٠٦ ص .

(٦٣) علي عبد الرحمن السلمان . ***عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب*** . القاهرة : دار الأزل، ٢٠٠٠ . ٢٧٧ ص .

(٦٤) علي محمد جريشة، محمد شريف . ***أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي*** . القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨ . ٢٥٦ص .

(٦٥) عماد على حسن . ***مجلة شئون عربية*** . ع ١٢٤ . ٤٣ .

(٦٦) عمر هارون خليفة. ***علم النفس والمخابرات.*** بيروت : المؤسسة العربية للدراسات،. ٢٠٠٠ . ٣١٥ص

(٦٧) عواشه محمد حفيق . ***الرأي العام بين الدعاية والإعلام.*** الجامعة المفتوحة . ٢٤٥ ص

(٦٨) عوفر، تسفي، آفي كوبر . ***الاستخبارات والأمن القومي*** . ترجمة دار الجليل . عمان : دار الجليل، ١٩٨٨ . ٥٢٠ ص .

(٦٩) فاروق عمر العمر. ***صناعة القرار والرأى العام*** . الكويت: المؤلف، ١٩٩٦ . ١٩٢ص.

(٧٠) فاروق عمر العمر. ***١١سبتمبر وإدارة الأزمات والكوارث.*** القاهرة : ميريت للنشر، ٢٠٠٢ . ١٨٠ ص .

(٧١) فتحي عبد القادر سلطان، محمد رجب سلامة . ***المخلب الدموى الشين بيت (الشاباك)*** : جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي . عمان . الأهلية للنشر، ٢٠٠٢ . ٥٠١ص .

(٧٢) فتحي علي حسين . ***المياه وأوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسط .*** تقديم محمد عبد الهادي راضي. القاهرة. مكتبة مدبولي . ٢٣٥ ص .

(٧٣) فريد الفالوجي. ***جواسيس الموساد العرب : أشهر ٢٥ جاسوساً.*** القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣ . ٥٠٠ ص .

(٧٤) فورد، هنري . ***اليهودي العالمي*** . إعداد جيرالد . كي . سميث . ترجمة خيري حماد . بيروت : منشورات المكتب التجاري للطباعة . ١٩٩٦. ٢٥٥ص

(٧٥) فوزي منصور . ***خروج العرب من التاريخ*** . ترجمة طريف عبد الله، كمال السيد . القاهرة : مكتبة مدبولي . ط ١، ١٩٩٣ . ٢٤٤ ص .

(٧٦) فوللر، جراهام إي، إيان أوليسر . ***الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة***. ترجمة شوقي جلال . القاهرة . مؤسسة الأهرام، ١٩٩٦ . ٢١٥ ص .

(٧٧) كلاين، راي . ***الجاسوسية في عصر الإلكترونيات*** . ترجمة سمير عبد الكريم. (د.م) دار قتيبة، ,١٩٩١ ٣٢٠ص .

(٧٨) مؤيد عبد الجبار الحديثي. ***العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي*** . عمان . الأهلية للنشر، ٢٠٠٢ . ٢٧٦ ص .

(٧٩) ماتران، روبير . ***تاريخ الدولة العثمانية*** . ترجمة بشير السباعي. القاهرة : دار العلوم للدراسات، ١٩٣٥ . ٢٣٤ ص

(٨٠) مجلة المجتمع ."***المنظمات غير الحكومية وعلاقاتها بأجهزة الاستخبارات الغربية***" . ع ١٢٠٤ . ١٨ يونيو ١٩٩٦ ص ص ٢٠ – ٢٥.

(٨١) محمد جابر الانصارى . ***مجلة شئون عربية*** . ع١٢٤ . ص ٢٦ .

(٨٢) محمد الجزائري.. (وآخرين) ***الموسوعة السياسية والتاريخية*** (١٩٠٠ – ٢٠٠٢) ترجمة أياد ملحم. بيروت : دار الحسام، ٢٠٠٣ . ٤٣٩ ص .

(٨٣) محمد الخضرى . ***الدولة العباسية*** . بيروت : مؤسسة دار الكتاب الحديث، ,١٩٨٩ ٢ج، ٤٩٦ص.

(٨٤) محمد سلامة جبر . ***موجز تاريخ الأنبياء والرسل*** . ط ٢ . الكويت: المؤلف، ٢٠٠٦ . ١٥٨ ص .

(٨٥) محمد سيد طنطاوي . ***الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام***. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١ . ٢٩٤٠ ص .

(٨٦) محمد سيد طنطاوي . ***بنو إسرائيل في القرآن والسنة*** . ط٢ . القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠ . ٧٥٨ص .

(٨٧) محمد صادق . زلزلة . ***الإيدز: معضلة القرن العشرين***. الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٦ . ٢٩٥ ص

(٨٨) محمد عبد القادر حاتم . ***الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية***. بيروت. مكتبة لبنان، ١٩٧٣ . ٤٣٨ ص.

(٨٩) محمد عبد المعز نصر. فلسفة ***السياسة*** عند الألمان : ***دراسات فى الفكر الألمانى الحديث*** . بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٢

(٩٠) محمد على القطب . ***الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ***. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٠ . ١١١ص.

(٩١) محمد كرد علي . ***الإسلام والحضارة العربية . جـ١*** . ٣٦٣ ص .

(٩٢) محمد مؤنس عوض. ***الحروب الصليبية: السياسة، المياه، العقيدة***. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ٢٠٠١ . ١٧٢ص .

(٩٣) محمد محمود الصواف. ***المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام*** . القاهرة: دار النصر، ١٩٧٩ . ٢٧١ ص .

(٩٤) محمود إسماعيل. ***الحركات السرية في الإسلام*** . القاهرة : سينا للنشر . ط ٥ . ١٩٩٧ . ٢٢١ ص .

(٩٥) محمود عرفة محمود . ***العرب قبل الإسلام . أحوالهم السياسية والدينية***. القاهرة : دار الثقافة العربية، ١٩٩٨ . ٥٢٨ ص .

(٩٦) مختار التهامي. ***الرأي العام والحرب النفسية***. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧ . ٣٧٥ص .

(٩٧) مذكرات مستر همفر : ***الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية*** . ترجمة ج.خ . (د.م.) : المؤلف، ١٩٧٣ . ١٤٥ ص .

(٩٨) مسعود الخوند . ***الموسوعة التاريخية الجغرافية*** . بيروت: الشركة العالمية للموسوعات، ٢٠٠٢ . ١٦جـ .

(٩٩) مصطفى طلاس. ***الإستراتيجية السياسية العسكرية***. دمشق.دار طلاس، ١٩٩١ . جـ١، ٥١٠ ص

(١٠٠) ممدوح الزوبي. ***الدعاية الصهيونية أو، الطرق الخفية لتنفيذ القرار الصهيوني***. بيروت: دار ابن كثير، (١٩٩٤ ص ٢٩٨).

(١٠١) منير البعلبكي . ***موسوعة المورد العربية:*** دائرة معارف ميسرة. بيروت. دار العلم للملايين . مج١ ص ٦٩٦ .

(١٠٢) ***الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي*** . إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية . الإسكندرية: مكتبة علاء الدين، ٢٠٠٠ . ٢مج .

(١٠٣) نبيل السمان. ***حرب المياه من النيل إلى الفرات.*** ط٢ . فلسطين: دار المستقبل، ١٩٩٧ .

(١٠٤) هاليفي، إيلان، ألفريد ليلينتال . ***إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة*** . ترجمة رياض صوما . بيروت . دار المروح، ١٩٨٥ . ١٥٥ ص .

(١٠٥) هاني لبيب . ***أزمة الحماية الدينية : الدين والدولة في مصر*** . القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٠ . ٢٩٨ص .

(١٠٦) هايك، ف.ا. ***الطريق إلى العبودية*** . ترجمة محمد مصطفى غنيم .

(١٠٧) هتلر، أدولف . كفاحى : ***قراءة جديدة فى مذكرات هتلر ونهايته*** . عرض وتحليل فريد الفالوحى . دمشق : دار الكتاب العربى، ٢٠٠٥ . ٢٢٤ ص.

(١٠٨) ويلبر، دونالد . ***إيران . ماضيها وحاضرها*** . ترجمة محمد حسنين.
القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٨٥ . ٢٨٦ص .

(١٠٩) ياسر حسين. ***يهود ضد إسرائيل*** . ط ١ . الجيزة : مركز الحضارة العربية، ١٩٩٧ . ١١٠ ص .

(١١٠) ياسين سويد . ***مؤامرة الغرب على العرب*** : محطات في مراحل المؤامرة ومقاومتها. بيروت : المركز العربي للأبحاث والتوثيق، ١٩٩٢ . ٤٠٧ ص .

(١١١) يانج جورج . ***تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل*** .
ترجمة أحمد شكري . القاهرة : مكتبة مدبولي، ١٩٩٠ . ٦٠٨ ص .

(١١٢) يوسف أبو بكر، نبيل سالم. ***حرب المعلومات بين العرب وإسرائيل.***
بيروت: دار الجليل، ١٩٨٩ . ١٤٣ص .

(١١٣) يوسف العاصي الطويل. ***أحمد ديدات بين القاديانية والإسلام.***
القاهرة :مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢ . ٤٥٥ص .

(١١٤) يينبرغ،آدم ،، مارك باري. ***وكر الجاسوسية: جاسوسية الشركات الأمريكية.*** تعريب فواز زعرور.الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٣ . ٣٠٢ص.

كتب للمؤلف :

- محمد على جناح سفير الوحدة وقائد الانفصال ١٩٧٧.
- صناعة القرار والرأى العام ١٩٩٦.
- إدارة الأزمات والكوارث ١٩٩٨.
- ١١ سبتمبر وإدارة الأزمات والكوارث - طبعة منقحة ٢٠٠٢
- دول القوة ودول الضعف ٢٠٠٥.

رقم الإيداع ١٤٤٤٩ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 17 - 4861 - 0

مطابع التجارية - قليوب - مصر

هذا الكتاب

انقسم السياسيون والإعلاميون إلى فريقين متعارضين فى تناولهم لمفهوم المؤامرة ، وقد أدى ذلك الاختلاف إلى إرباك غيرهم من الذين يحتارون فى تفسير بعض الأحداث التى تمر بهم ، أو بدولهم، وما إذا كان وراء ذلك مؤامرة ما ، أم أنهم يعيشون وَهْمَ نظرية المؤامرة ، ويأتى هذا الكتاب محاولة لتناول هذا الموضوع مع سرد أمثلة لوقائع تاريخية قديمة وحديثة لا تتعلق بالقضايا السياسية فحسب ، ولكنها تتناول المؤامرة كظاهرة يتعرض لها الأفراد والجماعات والشركات ، وخاصة دولنا العربية ، وأمتنا الإسلامية ، وهل هى مؤامرات حقيقية، أم نظريات وهمية !؟

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر